أحمد ناجي

حرز مكمكم

صفصافة
SEFSAFA PUBLISHING HOUSE
WWW.SEFSAFA.NET

t.me/qurssan

أحمد ناجي/ أحمد ناجى كاتب وروائي ومجرم. مواليد المنصورة 1985. صدر له روايات: روجرز، استخدام الحياة. ومجموعة قصصية واحدة "لغز المهرجان المشطور". يعيش حاليا في لاس فيجاس بأمريكا حيث يواصل محاولاته وتجاربه لتطوير صناعة الطعمية المصرية.

https://ahmednaji.net/

حرز مكمكم

طبعة 2020

رقم الإيـــداع: 2019/28567

الترقيم الدولي: 978-977-821-131-3

جميع الحقوق محفوظة ©

عدا حالات المراجعة والتقديم والبحث والاقتباس العادية، فإنه لا يسمح بإنتاج أو نسخ أو تصوير أو ترجمة أي جزء من هذا الكتاب، بأي شكل أو وسيلة مهما كان نوعها إلا بإذن كتابي.

No part of this book may be reproduced or utilized in any from or by means electronic or mechanical including photocopying recording or by any information storage and retrieval system without prior permission in writing of the publishers.

الناشر

محمد البطلي

إخراج فني

علاء النويهي

الأراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبّر بالضرورة عن رأي دار صفصافة.

تم كتابة هذا الكتاب بدعم من منحة الصندوق العربي للثقافة والفنون أفاق للكتابة الإبداعي

دار صفصافة للنشر والتوزيع والدراسات

5 ش المسجد الأقصى - من ش المنشية - الجيزة - ج م ع.

t.me/qurssan

حرز مكمكم

القراءة والكتابة داخل السجن

أحمد ناجي

SEFSAFA PUBLISHING HOUSE
WWW.SEFSAFA.NET

t.me/qurssan

بطاقة فهرسة

إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية،
إدارة الشئون الفنية

ناجي، أحمد
حرز مكمكم/ أحمد ناجي .
الجيزة، دار صفصافة للنشر والتوزيع والدراسات، ٢٠١٩
٢٦٦ ص، ٢٠ سم
تدمك ٣-١٣١-٨٢١-٩٧٧-٩٧٨
١- المذكرات في الأدب العربي
٢- القراءة
أ- العنوان

٨١٨,٠٣

رقم الإيداع: ٢٨٥٦٧/ ٢٠١٩

t.me/qurssan

t.me/qurssan

t.me/qurssan

فرش وتقديم

حملتُ الحقيبةَ الخضراء التي تحوي ما سمحوا لي بالاحتفاظ به من ملابس، وفي اليد الأُخرى الكيس البلاستيك الذي يحوي الطعام. تحت إبطي البطانية التي تكرّم ضابط المباحث بالسماح لي بإدخالها. كنتُ أتعثر في بدلة السجن الزرقاء الفضفاضة ذات الملمس الخشن. أربعة مُخبِرين يحيطون بي من كل اتجاه بينما ضابط المباحث ورتبة أُخرى في المقدمة، وأنا أتبعهم.

خلفهم كنتُ، لكني كنتُ أتقدم..

عبرنا حديقة صغيرة، وسط أشجارها الكثير من الصبار. في زاويتها ينتصب تمثال نصفي، نُحت من الخشب لكن مشوه الأبعاد، يجسد شخصًا مُقيدًا من يديه، ويتلوى من مغص ما. رفعتُ رأسي في اتجاه المبنى الذي نتقدم نحوه؛ كان من طابقين مطليًّا باللون الأزرق السماوي. على واجهته جدارية تصور منظرًا طبيعيًّا استوائيًّا لشلال ينهمر من سطح المبنى حتى الأرض ليسير في جدول صغير داخل غابة استوائية تتكاثر فيها الأشجار والورود الملونة، لا تشوه انسيابية المشهد غير الثقوب التي تمثل النوافذ والباب الحديد للمبنى. توقفتُ مُتأملًا المشهد العجيب؛ آخر ما تصورت وجوده في السجن أن أقابل فن الكيتش

t.me/qurssan

مُكتملًا خرائيًّا مقززًا. لوحات المناظر الطبيعية التي كانت تُطبع على ورق الحائط في الثمانينيات والتسعينيات تغطي المبنى من الخارج والداخل، لكن هذه المرة مرسومة بجهد يليق بفنان بذل كل حرفيته، ومُحنه محاولًا جعل مبنى السجن مبهجًا.

أنت في كابوس داخل رأسك، ولست في السجن، وإلا كيف يمكن أن يصمم أحدهم سجنًا يحتوي على مثل هذه التفاصيل الفنية التي تثير أعصابك واشمئزازك أنت بالذات بخلاف بقية البشر. لو كانت الجدران كالحة السواد أو صفراء مُتسخة، كما العادة في المباني العامة للمصَالح الحكوميةِ، ما كان هذا ليقبض قلبك مثل لوحات الطبيعة الاستوائية الصَامتة.

لكزني مُخبِر في كتفي، فوَلجتُ من الباب. تبعتُ السَادة الجدد -الضباط- نحو الطابق الثاني. على الجدران والسقف توالت صور الكيتش والخراء الملون. مشهد لغروب الشمس في غابة شجرية تنبسط أسفل تلة يعلوها كوخ خشبي أوربي الطراز. يجاورها منظر غروب آخر على شاطئ رملي يَصطف عليه النخيل، أما الفواصل التي يمكن فيها أن تريح عينك فهي لوحات لآيات من القرآن الكريم.

لوحات الكيتش الخرائي التصويري مرسومة بحرفية عَالية. مثلًا في إحداها تتخلل أشعة الشمس أوراق الأشجَار الخضراء، فنُشَاهدُ بوضوح ضربات الفرشاة تخلط اللون البرتقالي بالأخضر

t.me/qurssan

لتعكس صورة الغروب، هناك فنان أو نقاش استخدم فُرشَاة بمقاسٍ صغير وأخذ بضربات متأنية على الحائط يلون أطرَاف أوراق الشجر الخضراء بأشعة الشمس البرتقالية. الأبعاد والعمق والمنظور إلى حد كبير مُنضبطة في معظم اللوحات. اندهشت لأن معظمها ذات عمق؛ ثلاثية الأبعاد وليست ثنائية الأبعاد فقط.

هذا كيتش مُنفذ بإخلاص وإتقان رغم ضحَالة الفكرة وقسوتها على عيني ومعدتي. أتذوق الفن من معدتي وبالتالي ينعكس العمل بألم أو لذة أو انقباض. تتفاعل أعضاء جهازي الهضمي من المعدة حتى الأمعاء ومجاري البول بشكل لا إرادي مع أي عمل فني.

هناؤك وشقاؤك، أول عذاب أدركت أنه سيكون خبزك اليومي في سجن عنبر الزراعة بطرة، حيث جئت مَحكُومًا عليك بالسجن لعامين بتهمة خدش الحياء العام.

تخيلتُ السجن دائمًا على هيئة غُرفة مَعزُولة عن العالم الخَارجي رمادية اللون. داخل هذا الحيز لا يولد أصلًا إلا اللون الرمَادي. لكن حين أصبح السجن معيشتي، بدا خيالي وتصوراتي عن السجن صور رومانسية سَاذجة تشكلت من شذرات مُتنَاثرة من الأعمال الأدبية والفنية التي عالجت السجن. أما الواقع فمليء بالألوان ورسومات الرومانسية الأوربية التي تعتبر بالنسبة للمصري المعاصر لوحات جميلة يشترونها ويعلقونها في بيوتهم وعلى

t.me/qurssan

جدران محلات العصير. بمثل هذه الألوان تسعى الدولة والسلطة لتحسين سجلها في مجال حقوق الإنسان حتى يكون السجن جاهزًا لاستقبال الوفود والإعلاميين لكشف الأكاذيب والادعاءات المسيئة.

في أكثر من مُنَاسبة حينما يُعلن عن العفو عن عشرات الشباب أو بعض المسجونين كانوا يحبسوننا في الزنازين، ثم يطلبون من المجندين العاملين في الحراسة ارتداء ملابسهم المدنية والجلوس في الحديقة حيث تفتح أبواب السجن للصحفيين وكاميرات التلفزيون لتصويرهم باعتبارهم المساجين الذين تم العفو عنهم، على خلفية من لوحات الشواطئ الاستوائية والغابات النرويجية.

يرقصون ويضحكون للكاميرات ويسجدون مُعفرين جباههم بالتراب وهم يرفعون أيديهم بالدعَاءِ والشكر للرئيس ولوزير الداخلية ولرحمتهم، وسعة صدرهم، وحسن تربيتهم، وبياض سريرتهم.

حتى العزلة التي توهمتها مُرَافقة للونِ الرمادي في السجنِ لم تكن موجودة. حين أغلق السجَان باب العنبر وجدت نفسي في عنبر يتسع لستين سجينًا، لكن متكدس بأكثر من هذا العدد. استلقى بعضهم على الأرض وفي الحمامات أو المطبخ، بينما مُنحت سريرًا علويًا، حيث السرير عبارة عن مصطبة خرسانية

t.me/qurssan

بطول مترٍ و80 سم وعرض 30 سم. بعد أول ساعة مُحَاطًا بنظرات المساجين الذين دهشوا من الطريقة التي دخلتُ بها للعنبر مَصحوبًا برئيس المباحث شخصيًّا، الذي اختار بنفسه المكان الذي أرقد عليه، وجدتنى مُجبرًا على الصلاة معهم، بل شرب الشاي ومُمَارسة الابتسام والاستماع والسؤال وكل طقوس وأساليب الاندماج الاجتماعي.

لا مهرب من المجتمع حتى في السجنِ، لكن في مُقَابل عبء وثقل طقوس الاندماج الاجتماعي كان الترحيب والتعاون من الجميع. تقدم أحد الشباب وتناول حقائبي، نظف المصلب ومسحه بقطعة قماش مبللة، بينما أجلسني زميل آخر على مصلبه، وآخر أعد لي الشاي، ورابع عزم عليَّ بسيجارة. بعد تنظيف المصلب فرش الزميل البطانية التي سمحوا لى بإدخالها، وضعها بشكل مُزدوج لتصبح مرتبة في ذات الوقت بحيث أنام على نصف، وأتغطى بالنصف الآخر. كنا لا نزال في شهر فبراير والبرد والرطوبة يستهدفان العظام. بابتسامة على وجهه قال: «فرشتها لك ساندوتش».

علق زميل آخر مادحًا عمله: «فلان أحسن واحد بيفرش في السجن». تعالت الضحكات، حيث إن مثل هذه النكات والتعليقات والإفيهات التي هجرتها منذ مرحلة الثانوية العامة تعود هنا وسط أكثر من ستين ذكرًا لتصبح العناصر الأساسية التي تتشكل منها

t.me/qurssan

اللغة اليومية. فنطق أحدهم لكلمة «بيفرش» تستعدي ضحكات وتعليقات حول «التفريش» و«التقفيش» بالضرورة، كأن يقول مسجون لآخر عرضًا: «خد»، فيرد مسجون ثالث: «عيب كدا يا فلان ياخد فين»، ليضحك نصف العنبر على التلميح الجنسي السفيه. اللغة التي بسببها سُجنت أصبحت داخل السجن الحساء الذي أتناوله يوميًّا بصحبة فتافيت خبز الكيتش المصري. أعطنا كفافنا يا رب السموات يا مالك الملك تهبه من يشاء وتعفو عمن تشاء وتذل من تشاء.

اُبتكرت السجون بشكلها الحديث بداية من القرن التاسع عشر كوسيلة للتأهيل والإصلاح، لا العقاب. لكن في الدول التي لا تزال في حيرة بين شريعة دينية تستخدم العقوبات البدنية كوسيلة للترهيب والتقويم، وبين القانون الحديث الذي يهدف لاستقامة مسار الطاقة الإنتاجية للمجتمع من خلال تقويم الفرد وتأهيله. تكون النتيجة مُجتمعًا مُعطلًا تحت وصَاية سلطات دينية وثقافية واجتماعية مسؤوليتها إخصاء أي انتصاب، وردع أي اختلاف، وفرض خوائها كنموذج وحيد يُحتذى به.

لم يعَادِك المجتمع لا خارج السجن أو داخله. ولم تسعَ يومًا لتغييره، وباستثناء فترة في الطفولة حلمتَ فيها أنك المهدي المنتظر، وهو ما اكتشفتَ أنه فانتازيا متكررة لدى كل طفل مسلم.

t.me/qurssan

لم أمتلك طرحًا كاملًا عن الحياة أو أي موضوع بما يؤهلني لتعليم الآخرين أي شيء أو هدايتهم أو تنفيرهم. كتبتُ رواية عن شتاتي الخاص. عن أصدقائي الذين أحببتهم، ولم يحبوني، والذين أحبوني بالرغم من أنني لم أرَ نفسي جديرًا بكل هذا الحب. عن المدينة التي ابتلعت سنوات شبابي، وصنعت مني جاهلًا غرورًا.

لم أكن جزءًا من صراع سياسي، لم يكن هناك إخوان أو سلفيين أو تيارات دينية مُتطرفة ليرفعوا علي القضية ويتهموني بخدش الحياء العام. بل مواطن مُتعلم يعمل بمهنة المحاماة، مدعوم من مواطن آخر أتفه منه يعمل بمهنة الصحافة. والنيابة العامة، أحد عناصر السلطة القضائية، هي مَن تولت القضية وحركتها، وهي مَن استأنفت على الحكم حينما حكمت محكمة أول درجة بالبراءة. كان الخصم مُخدوش الحياء هو السلطة التي تدعي أنها ليست دينية، والتي تلوح بنار الجحيم في يدها، وتدعي أنها نار التنوير.

t.me/qurssan

t.me/qurssan

صدى طه حسين

قلب رئيس المباحث في الكتبِ التي في الحقيبة. كنت عاريًا إلا من البوكسر الذي يستر عورتي وجولي مخبرون وسجانون؛ من السجن، ومن القسم حيث أتيت.

الآن يجري تفتيشي ومراسم تسليمي من القسم للسجن.

أُمرت بخلع ملابسي بجوار بوابة السجن كجزء من عملية التفتيش وسط هذا الجمع البهيج، تركوني عاريًا بالبوكسر تحت الشمس وهم يوقعون الأوراق ويفتشون كل قطعة قماش في الحقيبة بدقة وتأنٍّ وتمهل. أخيرًا منحوني بنطالًا أزرق، وما يشبه القميص باللون نفسه مكتوب على ظهره كلمة «نزيل».

رئيس المباحث هزّ رأسه، وخاطبني بالعامية لكني سأكتب الحوار بالفصحى: «لن يمكن السماح بإدخال هذه الكتب دون العرض على الأمن الوطني، سوف أضعها في الأمانات. لدينا في السجن مكتبة يمكنك الاطلاع علي الكتب التي فيها». الكتب التي صادرها هي رواية «مجهولات» لباتريك موديانو ترجمة رنا حايك، ورواية «تشحلة وحزقيل» لألموج بهار ترجمة نائل الطوخي.

تناول ضابط برتبة رائد دفتري الأسود الجلدي، الدفتر الذي

t.me/qurssan

أحمله لأدوّن الملاحظات واليوميات وأحيانًا تفاصيل تتعلق بالعمل الصحفي، قلب فيه، ثم خاطبني هامسًا: «أنا علشان عارف أنك كاتب وكدا، هسمح لك بالكشكول دا والأقلام».

تلعثمت كلمات الشكر مع همهمات الاضطراب في شفتيّ. طوال إجراءات التفتيش والفحص لم أكن أنطق سوى ثلاث كلمات مُضطربة؛ «تمام»، و«حاضر»، و«شكرًا».

كنتُ مرهقًا بعد ثلاثة أيام نمتُ فيها على البلاطِ في القسمِ. مرهقًا من الترحيلة في عربةٍ من الصفيح مليئة بالقاذورات، من التوتر، من الجوع وافتقاد الشهية للطعَام في الوقت نفسه، من القلق، من الخوف، من المذلة والهوان، من وجودى فجأة وسط معركة لم أخترها.

حينما دخلت عنبر 2/4 اقترح زميل عليّ الاستحمام، وكنت لم أستحم لأكثر من أربعة أيام، فلم يكن مَسموحًا بالاستحمَامِ في حجز القسم. دخلتُ الحمامَ وأغلقت الستارة المتسخة خلفي، حاذرت الاقتراب من الجدران التي تتمشي عليها صراصير وحشرات أخرى مُختلفة الأحجام والأنواع. استحممتُ، أجمل حمام أخذته في حياتي كلها، كل نعمة يجنيها المرء داخل السجن بعد شقاء تُعَادل كل نعيم ولذات الدنيا والآخرة.

خرجتُ من الحمام باتجاه مَرقدي ونمت حتى المساء. حينما

t.me/qurssan

استيقظت كانت الحياة المسائية تحدث في العنبر. الألعاب المهربة والممنوعة كالشطرنج وورق الكوتشينة تجمع مجموعات من المسَاجين يتبادلون اللعب، وأمام التلفاز وقف آخرون.

أُغلقت الأنوار عند تمام الساعة الثانية عشرة، وتشتتت مجموعات اللاعبين، فعلى كل سجين الالتزام بفراشه وعدم مُغَادرته إلا للحمام. نظرتُ أسفل مصلبي، يقرأ الزميل في المصلب السفلي كتاب «سيدة من مصر» لجيهان السادات، على ضوء لمبة كهربائية موصولة بسلك طرفيه في فيشة الكهرباء المثبتة في الحائط. تقلبت داخل ساندوتش البطانية عاجزًا عن النوم. راقبتُ الزميل وهو يغلق الكتاب، فسألته بمنتهى الأدب والحياء هل يمكن أن أطلع عليه، تَبسم وناولني الكتاب، ثم قام بتعديل وضع لمبته، ألبسها أولًا نصف زجاجة كلور بلاستيكية بحيث تَحجب ضوء اللمبة ولا تسمح له بالانتشَارِ إلا من قَاع الزجَاجة المشطور حتى تتحول اللمبة لأباجورة أو لمبة سهاري ولا ينتشر ضوءها في بقية العنبر.

قضيتُ الليلة مع سرد لسيرةِ السيدة جيهان السادات، عبقريتها، طيبة قلبها، كفاحها من أجل التعليم، مُحَاولتها لتثقيف زوجها من خلال دعوتها المثقفين والكتاب للغداءِ والإفطَار معهم، نشَاطها في مجَالِ العمل الخيري ومُعَالجة ضحايا الحرب، دورها في دعم مشروعات قوانين الأحوال الشخصية وألمها من الإشاعات

t.me/qurssan

المغرضة التي تنال من أدوارها وتتهمها اتهامات باطلة.

الكتاب التافه المناسب فعلًا لقضاء أول ليلة في السجن، تختلط فيه الأكاذيب بالمبالغات. مليء بقصص النميمة حول علاقاتها برؤساء الدول العربية وزوجاتهن من الشيخة فاطمة في الإمارات وحتى زوجة القذافي، غفوت عند شروق الشمس.

في الصباح حينما استيقظتُ، أمسكتُ الدفتر الأسود. ودوّنتُ بقايا الحلم الذي حلمتُ به. نظرتُ على المرقدِ المجاور، لمحتُ كتابًا آخر صغيرًا بغلاف قديم يحمل صورة مرسومة لطه حسين، والعنوان كان «مع أبي العلاء في سجنه». تبسمتُ ورفعتُ رأسي للسقفِ مُستلطفًا الإشارة الميتافيزيقية. المصادفات المترابطة لا تحمل أي دلائل يمكن تفسيرها بشكل منطقي، لكنها تمنح مشاعرنا وانفعالاتنا ثقة أكبر في منطقها. أحدهم يفكر فيك. أحدهم يهمس باسمك، لا تزال بعيدًا عن بوابة النسيان.

في مُقدمةِ الكتاب الذي حمل ختم مَكتبة السجن، واحتفظتُ به حتى بعد خروجي، يتحدّث طه حسين عن رحلته الشخصية مع أبي العلاء المعري، منذ دراسته المستفيضة عنه في مطلع حياته العلمية، لكن كتابه هذا يأتي بعد مضي عقود على بداية علاقتهما، يعود طه حسين لحبه الأول مقدمًا هذا الكتاب البديع.

في رحلته الصيفية مع العائلة لفرنسا، يقرر الاستئناس بصحبة

t.me/qurssan

أبي العلاء. يعيد طه حسين في الكتابِ قراءة أبيات أبي العلاء التي أحبها، وشغف بها، ويأخذنا في رحلة ننتهي فيها داخل سجن أبي العلاء، أو للدقة كما يحددها طه حسين سجون المعري الثلاثة؛ سجن فقدان البصر، سجن البيت الذي لزمه ورفض مُغَادرته حتى نهاية حياته، وسجن الجسد الذي يخنق النفس. يُعلقُ أبو مؤنس بأن أبا العلاء طوال حياته كشَاعر سعى لوضع المزيد من القيود والسجون على نفسه، فألزم نفسه بما لا يلزم، فبدلًا من الالتزام بقافيةٍ واحدة كما جرت العادة الشعرية، ألزم نفسه بقافيتين.

لا ينجذب مثل غيره من شعراء تلك الحِقبة للإقامة في بغداد وامتداح الشيوخ والأمراء وعلية القوم، أو الغناء لجميلات القيان. يصارع أشباح الميتافيزيقيا، وتجار الأديان والأخلاق.

هو في عمله، لا يسعى إلى التواصل مع الآخرين، أو نقل رسالته لقوم ضالين، ولا يطلب من أحد الانصياع له أو الثورة على سجون الأوهام والدين وأخلاق الإنسان المتناقضة.

يروي هذه العدمية التي ترى الحياة ترابًا في تراب، ولا قيمة فيها إلا لما ألزم به ذاته كفنان. هذا الاستغراق اللانهائي في اللغة وآدابها، تقليب الحروف والكلمات ونظمها. شهوة وجذوة تضيء ظلامه في السجون التي وضعها شاعر المعرة لنفسه.

يكتب طه حسين كتابه أثناء رحلة صيفية مع الأولاد والعائلة

t.me/qurssan

لفرنسا، وهو يقطع حديثه وتحليله لأشعار أبي العلاء ليروي لنا ملاحظات عن محطات القطار التي يعبرها، والنسيم العليل على الشواطئ الأوربية، ثم فجأة ينتقل للحديث عن نص لبول فاليري عن الفنان التشكيلي ديجا واقتبس من نص بول فاليري نصًّا ترجمه للعربية وأهداه لي قائلًا:

«فليست حياة رجل من الناس آخر الأمر إلا مصادفات يتبع بعضها بعضًا. وإلا أجوبة دقيقة وغير دقيقة لهذه الأحداث أو تلك».

يتدحرج طه حسين على الشواطئ الرملية بمنتهى الحرية في هذا الكتاب، بين يومياته وتعليقاته الساخرة من نفسه، ومن المجتمعات العربية وبين أبي العلاء، يحذر في أكثر من موضوع أن هذا الكتاب ليس دراسة نقدية، بل متعة ذهنه يستمتع فيها بصحبة رفيقه التاريخي.

لكن وقع كتابه عليك لم يكن ممتعًا، بل دفعك لدوامة من الأفكار الكئيبة في بداية سجنك. كل يوم بل كل ساعة كنتَ تجلد نفسك على ما ورطت نفسك فيه، تعاتب نفسك بينما تستحم وسط الصراصير التي ترعى على جدران الحمام: «لماذا فعلت بنفسك ما فعلت يا أحمد؟ ولماذا ألزمت نفسك بالكتابة على هذه الشاكلة؟ هل تستحق تلك الأوهام التي تطاردها في الكتابة هذه التضحية؟».

أنت لم تأخذ نفسك وما تفعله بجدية، بل كنت تلهو، فكيف

t.me/qurssan

وصلت في لهوك إلى هنا دون أن تعي خطورته؟

في شهر يوليو حيث الحر والرطوبة تأكل الجلد في السجن، وصلني من رفيقي العزيز أحمد وائل كتابان من اختياره، الأول هو نسخة نادرة من ديوان «أبي حكيمة، أو راشد بن إسحاق الكاتب» بتحقيق لمحمد حسين الأعرجي. والثاني هو «مستقبل الثقافة في مصر» لطه حسين.

كنتُ أتعفن حرفيًا، وجسدي لا يتوقف عن نضح العرق، حينما وصلتُ إلى الفصول الأخيرة من كتاب طه حسين، حيث يرسل رسائل مبطنة ومكشوفة إلى أجهزة الأمن العام وجهاز النيابة العامة تحديدًا الذي كان طه حسين متهمًا أمامه ذات مرة، يقول أبو مؤنس:

«ما أكثر ما يعاب أدباؤنا بأنهم لا يعنون إلا بظواهر النفوس، ولا يصورون دخائلها، ولا يتعمقون ضمائرها، ولا يرسمون شيئًا من ذلك في ما ينتجون، ولكن دعهم يفعلون ما يلامون على إهماله، ودعهم يظهرون النفس الإنسانية عارية كما يفعل زملاؤهم الأوربيون، وثق بأنهم قادرون على ذلك خليقون أن يبرعوا فيه ويبهروا به إن حاولوه. دعهم يفعلون ذلك ثم انظر ما يصب عليهم الجمهور ورجال الدين وإدارة الأمن العام والنيابة من المكروه».

لكني كنت حذرًا جدًا يا أستاذنا. أدركت هذا الواقع منذ بدأت الكتابة وتعرفت على تاريخ السلالة التي أنتمي إليها. حاولت

t.me/qurssan

قدر الإمكان التعبير عما أريد، ثم البحث عن طرق ملتوية لنشره، بداية من النشر بأسماء مستعارة، وحتى الاحتفاظ به ضمن دفاتر اليوميات أو النشر في دوائر خاصة ومُغلقة.

إن خيار البرج العاجي ليس نَابعًا من التعالي، بل من خوف الكاتب من الإحَاطة بما يضمر، وما قد يترتب على ذلك من ضرر له أو كما يصوغ طه حسين تلك المعضلة:

«الأدباء عندنا ليسوا أحرارًا لا بالقياس إلى الدولة ولا بالقياس إلى القراء، وما أكبر النبوغ الذي يضيع ويذهب هدرًا؛ لأنه يكظم نفسه، ويكرهها على الإعراض عن الإنتاج خوفًا من الدولة، أو خوفًا من القراء، فليس كل موضوع يعرض للأديب عندنا تسيغه القوانين ويحتمله النظام ويرضى عنه ذوق الجماهير».

كتب طه حسين ما سبق عام 1938، كان منتشيًا بفرحة التوقيع على معاهدة 1936، رأى أن مصر حصلت أخيرًا على استقلالها، وكتابه هو بيان عمل وبرنامج مُقترح للارتقاء بحَالِ الثقَافة والتعليم في مصر. يُضحِّي الكَاتبُ في مثل هذه الحالة بتفرده ونبوغه وبما يريده، ليقدم لدولته وجمهوره ما يريدونه منه وما يتصورونه عنه؛ حامل شعلة النور وسط الظلام، نبي منبوذ يبصر وينجم ويضع الدليل لسبيل الترقي والتقدم لأمته.

t.me/qurssan

اليوم السادس، الجمعة 26 فبراير 2016

نمت بعمق، ولم أرغب في الاستيقاظ. لا يوجد تريض ولا يُفتح باب الزنزانة يوم الجمعة. لا يُسمح للمساجين بالخروج للمسجد والاستماع لخطبة مندوب وزارة الأوقاف المعرص، لكن صوته يدوي من الميكروفون في كل السجن، يسب اللعنات على تجار الدين وإخوان الشياطين، ويدعو بالتوفيق والنصر للقيادة السياسية.

داخل العنبر وجدتهم فرشوا سجاجيد الصلاة في الممر. تقدم أحدهم وهو ضابط سابق في الحرس الجمهوري، متقمصًا دور الخطيب، ممسكًا بحزمة أوراق في يده يقرأ منها الخطبة التي حضرها.

بسمل وحوقل الضابط السابق في الحرس الجمهوري والمتهم بسرقة وتبديد أوراق سرية هامة، وأخذ يخطب وهو يتهته عاجزًا عن نطق جملة واحدة بشكل صحيح، كان الاستماع له مؤذيًا لأذني خصوصًا وموضوع الخطبة حساس جدًا، حيث أخذ على عاتقه من داخل عنبر 2/4 بسجن الزراعة الرد على ادعاءات الغرب التي وصفت الرسول بأنه نبي النساء والشهوة الجنسية. دافع الضابط السابق والسجين الخطيب عن تعدد الزوجات، وقدم شرحًا تفصيليًا لأسباب كل زواج تزوجه الرسول. أوشكت على قتل نفسي من الغباء والتهتهة والتلعثم، الرجل كلما هم بقراءة آية

t.me/qurssan

أو حديث تخرج الكلمات من فمه وكأن حروفها تتكعبل بعضها في بعض.

t.me/qurssan

طرطرة في زجاجة

أدخلوا لي كرسيًّا في قفص الاحتجاز، وفي مثل هذا الوقت عند الظهيرة تكون الحركة هادئة في قسم الشرطة. أخرجت رواية موديانو وكنت اقرأها حين دخل ضابط، وأخذ يصيح «لم حاجتك فورًا، فيه تفتيش ولازم نحركك من هنا». وضعتُ كل الأكياس الصغيرة في أكياس أكبر. أخرجوني من القفص وسحبني الضابط نحو عربة الترحيلات، بعدما أخذ تليفوني الذي سمحوا لي باستخدامه طوال الأيام الماضية. كان هذا الضابط أكثرهم لطفًا لذا صدقت كل ما يقوله ونفذت باستسلام ورضا طلباته، وتصنع هو الوداعة وهو أمرني: «استخبى هنا في العربية على ما بتوع التفتيش يمشوا».

والعربة كانت شاحنة ضخمة بصندوق من الصفيح مطلي بالأزرق مثل تلك المستخدمة في نقل جنود الأمن المركزي. ركبت في صندوقها وحيدًا، وأغلقوا الباب خلفي، ثم فجأة تحركت السيارة، فأدركت الخدعة.

تحقق لهم ما أرادوا، أن أُرحل إلى السجن بعد ثلاثة أيام في قسم الشرطة. جعلوا الأمر مُفَاجئًا حتى لا أستغيث، ولا يعلم أحد.

t.me/qurssan

استغرقت الرحلة نحو ساعة ونصف، كنتُ وحيدًا داخل العربة الواسعة ومع كل اهتزاز وتأرجح أتخبط في جدران الصفيح من اليمين لليسار ومن تحت لفوق، ومع كل حركة أشعر بالبول يضغط على مثانتي ويزيد من ألمي، ورائحة بيض فاسد تعبئ الهواء. أرضية العربة مغطاة بالزبَالةِ والطينِ وأكياسِ البلاستيك وزجاجات المشروبات الغازية الفارغة.

تناولتُ واحدة، فتحت غطائها، أنزلتُ البنطلون، ووجهتُ حشفة قضيبي نحو فتحة الزجاجة، فخرج سَائل البول أصفر دافئًا.

ارتخت أعصابي وجسدي في راحة عظيمة، وشعرتُ بغلالة سوداء تزاح من على عقلي.

أبدًا لا تدخل السجن بمثانة مُمتلئة، فإنك لا تعرف متى سيُسمح لك بالتبول.

حجز الاستيفة بقسم بولاق

اليوم الثاني، 22 فبراير 2016

على بعد أمتار من هنا يقع حمام بولاق القديم. أحد الحمامات العامة التي لا تزال تعمل حتى أيامنا هذه. رجالة بتبلبط ببوكسرات مبلولة. هناك أيضًا منطقة البواكي التي كانت أهم أسواق القاهرة والشرق كله في عالم ما قبل القرن التاسع عشر، هنا تتجمع

t.me/qurssan

البضائع القادمة من سائر البلدان المصرية، وتلك القادمة من الشمال، ومن بلاد الشرق. على الأرجح منذ ذلك الزمن لا يزال قسم الشرطة في مكانه.

تهدأ الحركة في القسم ليلًا، تظهر حيوانات الليل، مجموعة من القطط الصغيرة تلهو، تحاول اختطاف طعامي، وعرسة تظهر وتختفي وهي تعبر بين الغرف.

t.me/qurssan

t.me/qurssan

في تماثل المكتبات الرسمية

أدين لمكتبةِ مدرسة «طه حسين الثانوية - بنين» القابعة في سندوب بمدينة المنصورة بجزء كبير مما أنا عليه الآن. كانت تلك هي أول مدرسة حكومية أدخلها بعد رحلة طويلة مع المدارس الخاصة في مصر وفي الكويت حيث قضيت طفولتي. مبانيها وحماماتها ونظام إدارتها أقرب إلى سجن نموذجي معدوم التأمين. انطباعي الدائم عن جميع مباني المصالح الحكومية والإدارية للدولة المصرية يظل مُتأثرًا بما خبرته في مدرسة طه حسين. الحمامات تفوح برائحة الصُّنان، الغرف سيئة التهوية، الرطوبة تلفحك من كل اتجاه.

تطل فصولنا الدراسية على المقَابر، ويفصل بين سور المدرسة والمقابر مصرف زراعي آسن تطفو على سطحه طبقة رقيقة من الطحالب والعفن تحلق الحشرات فوقها. بينما «صرصار الليل» والضفادع تقدّم معزوفاتها الموسيقية. المهرب الوحيد من الجهل والقذارة التي أحاطت بي كانت المكتبة.

تراكمت في مكتبة المدرسة، منذ الستينيات، الأعمال الكاملة لنجيب محفوظ، توفيق الحكيم، مصطفى محمود، أنيس منصور،

t.me/qurssan

وترجمات لمسرحيات شكسبير، إلى جانب أرفف كَاملة مُخصصة لعلم النفس والفلسفة.

في تلك المكتبة قرأتُ لأول مرة فرويد، ونيتشه، وعشرات العناوين الأخرى التي ساهمت في تطوير معرفتي ونظرتي لنفسي وللحياة. بعض هذه الكتب من المستحيل أن أقدم على قراءته في أي مرحلة عمرية أخرى إلا المرحلة الثانوية. لا أتخيّل أن أقرأ ثُلاثية نجيب محفوظ في أي وقت آخر غير هذه الفترة. هناك أعمال قرأتها وقتها ولا أزال أبحث عنها حتى الآن. مثلًا قرأتُ، وقتها، رواية بعنوان «سروال القس» ظلت عالقة في ذهني بمغامراتها المرحة؛ يصل قس فاضل إلى مستعمرة عراة يسكنها الهيبيون، ويبدأ صراع الفضيلة وحرية الجسد. بفضل الإنترنت عرفتُ أن الرواية للكاتب الأمريكي ثورن سميث، وفي الأغلب الترجمة التي قرأتها كانت لثروت عكاشة.

لا يسمح لنا بالنزولِ إلى الحديقة. بل نقضي فترة التريض في الممرات بين الزنازين في الطابق الثاني فقط. يضمّ الطابق أربعة عنابر يفتح الباب ساعة واحدة لكل عنبر بالتناوب، بجوار السلم طاولة «بنج بونج»، والسلم مثلما يقود للطابق الأسفل يقود للطابق الأعلى حيث سطح المبنى، وغرفة واحدة هي غرفة المكتبة. ما إن دخلتها حتى شعرتُ أنني عدتُ لمكتبة مدرستي الثانوية. باستثناء أن الجالسين فيها عجائز يرتدون الملابس

t.me/qurssan

البيضاء أو الزرقاء. لكن الأرفف، الطاولات، الكراسي، كلها من ذات نوعية الخشب، وحتى الطلاء هو لون الطلاء في مكتبة المدرسة. وعلى الأرفف اصطفت معظم العناوين التي قرأتها في المدرسة؛ الأعمال الكاملة لتوفيق الحكيم، ونجيب محفوظ، وبعض الأعمال المتناثرة لطه حسين.

ذات الطبعة بالغلاف الأخضر من رواية الزيني بركات لجمال الغيطاني، التي استعرتها من مكتبة المدرسة، كتب أنيس منصور بالطبع موجودة، الفرق بين تلك النسخ التي قرأتها في مكتبة المدرسة ومكتبة السجن هو الختم الموجود عليها فبدلًا من ختم مدرسة طه حسين، ختم مصلحة السجون.

معظم الكتب من إصدارات وزارة الثقافة في عصور مختلفة. بعضها يعود تاريخه إلى الستينيات. بعض العناوين من إصدارات الشؤون المعنوية للقوات المسلحة في السبعينيات، معظمها دواوين شعر لشاعرات مجهولات قصائدهن عن حب الوطن، والجندي الأسمر الذي تناديه صارخة لينقذها من ألم غامض، ويستعيد الأرض والعرض. ثم كتب وإصدارات دار الشروق في المرتبة الثانية وصاحبة الرصيد الأكبر بين دور النشر الخاصة من العناوين في مكتبة السجن، وفي ركن قصي تصطف الكتب الدينية في ثلاثة أرفف للكتب المسيحية وجدار كامل للكتب الإسلامية، أما العناوين فهي نُخبة مُختَارة تبدأ من تفاسير الشيخ

t.me/qurssan

متولي الشعراوي إلى إصدارات وزارة الأوقاف في السعودية. ومُجلدات أعمال ابن تيمية، وتفسير ابن كثير، وأعمال ابن القيم الجوزي، وكل العناوين المناسبة لتنشئة الإرهابي الصغير.

الحمد لله، هذه العناوين لم تكن في مكتبة المدرسة الثانوية، لكن هنا في السجن فبالتأكيد هي في المكان والبيئة المناسبة.

يُشرف على المكتبة موظف مدني، ينصرف في تمام الساعة الثانية ظهرًا، لكنه لا يقوم حتى بالأعباء المكتبية. اثنان من المساجين العجائز يتوليان الإشراف على دفتر الاستعارات حيث يسمح باستعارة الكتاب ليوم واحد، ويشرفان على عملية جرد الكتب التي تجري كل ثلاثة أشهر.

كانت الجرائد ومحطات التلفزيون تغطى أخبار قضيتي طوال الأيام السابقة لقدومى للسجن، لذا كنت وجهًا معروفًا، الكل يبتسم في وجهي ويحييني باسمي دون أن أعرف اسمه. بينما أتأمّل أرفف المكتبة تقدّم أحد النزلاء بملابس بيضاء مما يعني أنه محبوس احتياطيًّا، ولم يصدر بحقه حكم بعد. عرف نفسه بأنه حاصل على شهادة الدكتوراة في أحد تخصصات العلوم الدينية من الأزهر، هززت رأسي مُرحبًا، ثم قال إن لديه سؤالًا إذا سمح وقتي، قلت:

- إحنا في السجن يعني مفيش عندنا أكتر من الوقت.

t.me/qurssan

- الحقيقةَ أنا قريت في «المصري اليوم» مقال لدكتور أيمن الجندي، بيقول إن ما كتبته ليس أدبًا، وإنك استخدمت ألفاظًا فعلًا خادشة للحياء.

- معلهش، مين دكتور أيمن الجندي؟

- حضرتك متعرفهوش؟

- لا والله، مش متابع.

- أصله هو كان بيقول...

- معلهش أنا مش مهتم أتكلم في الموضوع دا.

- أصله...

- كفاية أرجوك، أنا مسجون، مش هبقى كمان مسجون، وهتيجي أنت تسمعني شتيمتي، حل عني يا أخي مش عايز اتكلم معاك.

ارتفع صوتك، انفعلتَ. ابتعد هو بخطوات مُتعثرة مُعتذرًا. نظرتَ لأرفف الكتب المتراصة، أدرتَ ظهرك حيث يجلس الموظف المدني والمساجين الآخرون، وبكيتَ لأول مرة في السجن، ولن تكون الأخيرة.

اليوم السابع، السبت 27 فبراير 2016

أنا أذوب في مصلبي من الملل، أقرأ رواية «بابا سارتر» لعلي

t.me/qurssan

بدر وأتمنى ألا تنتهي. أقتصد في مضغ كل صفحة؛ لأن انتهاءها يعني ثقلًا أكبر على صدري من الملل وبطء مرور الوقت.

أفكر في الطزطوز الجميل، في أجمل الطياز التي مرت عليا. أشتاق للجنس، ولا أجد حتى مساحة للاستمناء. في الصباح كان فلان يخبط بيده ويطلب من شاغلي الحمام الخروج ويردد إفيه السجون الشهير: «كفاية لبن بقي هتسدوا البلاعات».

الحب والأحبة يبتعدون. أدرب الذاكرة بالكتابة وتسجيل الأسماء. أعزي الأحلام بالتمنى. أتخيل الجميع معى في نويبع - سيناء، جالسون إلى مأدبة. كل أحبتي بجوار البحر وعلى الرمل أمام الطعام نضحك معًا بلا ضغينة.

نقطة الضعف التي أحاول السيطرة عليها هنا هي الغضب والانفعال. أي لحظة تفقد فيها السيطرة على أعصابك وثباتك الانفعالي عواقبها وخيمة. لا ترغب في النزول إلى الحبس الانفرادي.

اليوم في طرف أنفي يجلس شاعر غاضب.

ساعة التمام دخل أمين شرطة غليظ الملامح، يتمشى في ممر العنبر وعيونه مسلطة عليَّ. بادلته النظر لابسًا الوش الخشب. سأل بحدة، وقد ظن أني مجند متهرب من التجنيد:

- عسكري؟

t.me/qurssan

- لا.

- اسمك إيه؟

- أحمد.

- محكوم؟

- آه.. واخد سنتين.

- بتشتغل إيه؟

- صحفي.

هز رأسه ثم تركني وانصرف.

t.me/qurssan

t.me/qurssan

ضرورة الحزق لولادة الأدب

خلعت ملابسي ثم قرفصت جالسًا في وضع التبول لكن بعيدًا عن عين الكابينة البلدي. أغمضت عيني في تركيز وكتمت أنفاسي مستجمعًا قوتي في عضلاتي وحزقت، شعرت بأثر الضغط في أمعائي لكن بلا نتيجة، لم يخرج شيء. أخذت نفسًا آخر وكررت الأمر ثانية بلطف أولًا ثم بقوة أكبر قليلًا، شعرت باستجابة عضلات دبري هذه المرة، لكن لم يخرج شيء بعد.

حزقت أكثر فظهر طرف الكيس البلاستيكى خارجًا من صرم طيزي. أوجعني الألم لكن مع كل حزقه يبرز الكيس ويتعاظم شعور الراحة، مددت يدي وأمسكت بأصابعي طرف الكيس، وبالتزامن مع الحزق سحبت الكيس خارج صرم طيزي، وبفضل كريم الشعر الذي دهنته سابقًا كانت الولادة/ الإخراج انسيابية، حتى خرج كاملًا وبداخله الأوراق مطوية على شكل أسطوانة وقد علقت بعض قطع الخراء بالكيس الذي يغلفها.

فتحت المياه، وتحت القطرات المنسابة من الدش غسلته مزيلًا آثار الخراء وكريم الشعر قدر المستطاع، فردت الكيس فاستوت الأوراق التي يحتويها.

t.me/qurssan

t.me/qurssan

الكتاب كقناع

يعتمد التخفي على كبت الآراء التي تعبر عن مواقف طبقية أو سياسية أو دينية مع استعمال أكثر الصيغ الحيادية والمطروقة اجتمَاعيًّا في الإجَابةِ عن كل سؤال أو الرد على كل ايماءة، مع الكثير من عبارات مثل: معلهش، والله كريم، وربنا يعينك، إلى اخره.

يتطلب القناع رسم ابتسامة هادئة، تمثيل الود والمحبة وتقبل الشخاخ الذي ينطق به الآخر، مهما حمل الخطاب من كراهية، وغباء، وعنصرية. ابتسم واعتبره نكتة، تظاهر بالبراءة وعدم إدراك حقارته.

استعملتَ القناعِ بِنجَاح فائق في معظم المناسبات الاجتماعية التي فُرضت عليكَ، وفي الظروف التي تطلبت منك الوجود في أماكن عامة، أو الاندماج مع البيئات غير المألوفة.

أثبت القناع كفاءته داخل السجن، خصوصًا في اكتساب احترام ومودة المسجونين والسجانين، لكن عبء ارتداء القناع طوال الوقت كان أثقل فعل على قلبي وروحي في السجن، بعد عبء انتظار مرور الوقت بالطبع.

t.me/qurssan

كانت الكتب في الفترة الأولى هي الاستراحة التي يمكن خلالها نزع هذا القناع. تعمدت الرد على كل مَن يقطع اندماجي في القراءة ردودًا سَاهمة قصيرة ميتة، لإيصال رسالة لهم بأنني غير موجود معهم في الوجود، حين أرتدي قناع الكتاب.

مَثل وجودي في مصلب علوي عبئًا أكبر، على عكس سكان المصَالب السفليه، فكل حركاتي وأشيائي الموضوعة في أكياس بلاستيك مُعلقة على مسامير في الجدار مكشوفة لجميع الأعين. كنتُ أعرف أن الغرض من وضعي هنا أن أكون تحت رقابة العصافير الموجودة في العنبر. كل كلمة أنطقها، وكل فعل، بل وماذا قرأتُ، ومع مَن تحدثتُ، وكم مرة دخلتُ الحمام، ومدة كل مرة، كل هذا يُنقل إلى الإدارة في تقارير مُتعددة من أكثر من مصدر، لكن أسفل قناع الكتاب أدخل في حجاب عن عالم المراقبة. في الكتاب أقابل أفرادًا لا حاجة لارتداء القناع معهم، بل نتناقش بجدية وحدة، ونرد على حجج بعضنا البعض، ونتخيل أحداثًا وافتراضات زمانية ومكانية، يندهش زميل ويهزني برفق: «أنت لسه في أول أسبوع، لحقت تكلم نفسك؟».

t.me/qurssan

الحُر المثير

رغم الزيادة المتسارعة لسكان هذا البلد والتي اقتربت من تجاوز المئة مليون، إلا أن قدرة سكانه على تمييز الإنسان من الحيوان تتضاءل. وكل ما هو حُر رَافض للاندمَاج في العمى القومي يُنظر له كمصدر للإثارة. السلطة ترى في هذه الإثارة مصدرًا للإزعَاج، والقلة ترى في هذه الحرية مصدرًا للإثارة فقط.

اليوم الثامن، الأحد 28 فبراير 2016

استيقظت من الحلم على ضوضاء تدب في أرجاء العنبر. المخبر النبطشي اليوم هو الأكثر إزعاجًا ولزوجة، يدخل في الصباح وهو يخبط على الصفيح ويزعق بصوت عالٍ. صوته أجش بهيمي. فتحت عيني وظللت ممدًا في مصلبي وأنا أحاول الحفاظ على إيقاع منتظم لتنفسي حتى لا أنفعل. شعرت في هذه اللحظة برغبات «هانيبالية»، بأني لو منحت الاختيار والقوة يمكن أن أقيد هذا الحارس إلى كرسي مَائدة، وأفتح رأسه وأطهو مخه أمامه وهو حي وآكله وأطعمه بعضًا منه، وسأكون سعيدًا جدًّا وأنا أسلخه وألتهم مخه.

t.me/qurssan

تمثل قيم الكرم، والرجولة، والجدعنة معايير الحكم وتقييم الشخصية في الطبقات الدنيا، بينما المظهر وماركات الملابس والقدرة الشرائية تمثل معايير التقييم لدى الطبقة الوسطى وما فوق.

هنا في هذا العنبر يبدو التباين واضحًا بين قيم كلا الطبقتين، ومن العجيب هذا الكرم والإيثار الذي يعاملني به المساجين الهاربون من التجنيد. أحدهم من المنصورة أخبرني أن والدي هو من ختنه حين كان صغيرًا، كما كان طبيب الأطفال المفضل لديه. فرض حمايته عليَّ، وكل ساعتين كنت أجده أمامي يحمل في يده هدية مصرًّا على أن آخذها منه ولا أكسفه.

انقطعت الكهرباء اليوم، فانفتح باب مظلم للعذاب. توقفت المراوح في السقف عن الدوران. تعطل سخان الطعام الكهربائي، لا طهو، لا طعام، لا كوب شاي يمكن احتساؤه. توقف الماتور الذي يدفع المياه لذا لا مياه في الصنبور. نظرًا لوجود عجائز ومرضى معنا في العنبر، يمنع أيضًا التدخين لأن الأكسجين يقل بتوقف المراوح. يتجمع ثلاث مرضى بالقلب أمام باب العنبر محاولين التقاط أي هواء. مسجون شاب تناول منشفته، برمها، وأخذ يلفها في حلقات دائرية ليصنع منها مروحة حتى يتنفسوا.

أنهيت رواية ربيع جابر الفراشة الزرقاء، والسؤال الذي يحيرني، لماذا لا يكتب ربيع جابر نسخة لبنانية من مسلسل ليالي الحلمية؟

t.me/qurssan

لماذا لا يهاجر إلى المكسيك ويكتب مسلسلات مكسيكية؟

يحدث الاستنساخ والتناسخ بين النزلاء بداية من تكرار الإفيهات والجمل المفتاحية والختامية، ثم في كيفية لفظ الحروف ومخارجها. حتى الإنجليزية التي يتحدث بها بعض نزلاء العنبر الأجانب تتعرض للتحريف، تندمج كلمات منها في اللغة الجديدة التي تتشكل داخل العنبر، وتندمج أحرف وكلمات عربية في بناء الجمل الإنجليزية. كأنما اللغة في إطار مغلق كهذا فيروس ينتقل بذبذبات الصوت، ويعيد تطوير تكوينه الجيني نتيجة تلك التفاعلات الجماعية.

t.me/qurssan

t.me/qurssan

راحة بال السلطة

أعلى سُلْطة فِي السجن هي المأمور وضابط المباحث. ثم تتوالى الدرجات والتراتبية الشرطية. كل طلب وشأن يخصني يتطلب الحصول دائمًا على موافقة ضَابط المباحث أو «محما بيه» كما ينطق اسمه المخبرون.

لا يسمح للمسجونِ بالزيَارةِ في أول ثلاثين يومًا له في السجن، بينما يستقبل المحبوس احتياطيًّا الزيارة بعد 11 يومًا، لكن يمكن بإذن من النيابةِ العَامةِ تَجاوز هذه القيود. تلقيتُ بعد بضعة أيام من وصولي أول زيارة لي من قِبل المحامي محمود عثمان. أخبرني بينما نحن جلوس على مصطبة الزيارة يحيطنا ثلاثة مخبرين أنه أحضر لي كتبًا وخطابات من ياسمين والأصدقاء. بعد انتهاء الزيارة وانصرافه سألتُ عن الكتب والخطابات فأخبروني أنها عند «محما بيه» لفحصها أولًا.

فركتُ لثلاثة أيام مُتتَالية على مصلبي وفي أرجَاء العنبر، مُتصيدًا كل مخبر يعبر أمام الزنزانة، أو يدخل ليأخذ رغيف خبز، أو طبق مكرونة مما نطبخه. وحينما أمسك المخبر أمنحه علبة سجائر، وأسأله عن الخطابات أو الكتب وأطلب منه أن ينقل سؤالي لـ«محما بيه». في البداية كانوا يكذبون عليّ، يطيبون خاطري بكلمات: أصله مشي، أصله قافل على نفسه.

t.me/qurssan

تطلب الأمر وقتًا أراقب خلاله تغيير قيادات السجن أحيانًا وصعود وهبوط الرتب، والنميمة التي يتناقلها المسجونون القدامى، والجمل التي يفضفض بها السجانون حينما تغدق عليهم بالسجائر أو الفاكهة. عبر هذه الشذرات المعرفية الشبيهة بنص لرولان بارت فهمت أن الأولوية لأي سلطة بما فيها «محما بيه» هي توسيع سلطاته من خلال الصراع الدائم وضرب الخوازيق في زملائه ورؤسائه. أما الهدف الثاني فهو راحة البال.

كل سلطة لا ترغب في أي إثارة، أو إزعاج نابع ممَن تتسلط عليهم، فيكفيه إزعاج مَن يماثله في القوة، أو مَن هم أعلى منه في الرتبة.

طلباتي وإصراري على خطاباتي وكتبي، ليست إلا مصدر إزعاج يأتي له من أسفل السلم.

المخبرون بدورهم -معظم الوقت- لم يحملوا طلباتي لمحما بيه؛ لأنهم لا يريدون إزعاجه، فكل إزعاج يسببونه له ينتقص من صورتهم أمامه ككلاب وظيفتها راحة بال السلطة. في النهاية هم كلاب الراعي/ السجان، لذا اكتفوا باستغلال مذلتي وحاجتي في استحلاب المزيد من السجائر والمزيد من الفاكهة التي أقدّمها لهم قرابين يأكلونها ككهنة وثنيين، لا يوصلون صلواتي أبدًا للآلهة الحجرية.

t.me/qurssan

عنبر 4/2، سجن عنبر الزراعة - طرة.

اليوم الرابع، 24 فبراير 2016

حتى لا أنسى الزمن والأيام، وللحفاظ على إيقاع الزمن، يجب تدوينه. كتابة اليوميات هي وسيلة بقاء حتى لا أنسى ولا يجرفنا تيار وإيقاع السجن الخاص، المنفصل عن الزمن خارجه.

العام في السجن 8 شهور، أي ثلثي المدة. بالتأكيد فهذا الانكماش في أشهر العام له أثره على الأسبوع وعلى اليوم وعلى الساعات. لا أدري هل أتوهم أم أن هذا هو الزمن، لكن بالأمس قضيت الليل أراقب عقارب ساعة صغيرة في الظلام وأنا متأكد أن الثانية هنا أبطأ من الثانية خارج السجن، لدرجة أني سألت زميلًا سهرانًا عن الأمر. راقب الساعة معي لثوانٍ ثم قال: «لعل البطارية قد انتهت».

لاحظت أن زميلًا يضع في النافذة باقة ورد حمراء أخذت تذبل، ربما إذن بالإمكان إدخال أعواد نعناع وريحان وزراعتها في زجاجة بلاستيكية، لإضفاء قدر من الحياة والرائحة الجيدة على هذا المكان، ربما كذلك يمكن الحصول على زهور الياسمين لياسمين.

t.me/qurssan

t.me/qurssan

الحب في غرفة الزيارة

شاهدتَ، في قاعة الزيارة حيث يجلس الجميع على مصاطب رخامية يرعى عليها النمل والصراصير، أعتى الرجال ينهارون على صدور أمهاتهم أو زوجاتهم أو حبيباتهم، كانت هذه النوبات تصيبك أحيانًا رغم محاولات التماسك.

يعرف المسجونُ أن إظهاره لضعفه أو حزنه لأهله لن يغيّر من واقعه شيئًا، بل سيزيد من همهم وقلقهم عليه.

في أول زيارةٍ، يخبرك زميل أكثر خبرة بضرورة حلاقة ذقنك، وتصفيف شعرك. يعيرك أحدهم عُلبة كريم جيل، والآخر يسمح لك برش بخات من عطره المحفوظ في زجاجة بلاستيكية. ينصحك زميل آخر: «يجب أن تظهر أمام الأهل في أفضل حال، حتى لا تثير رُعبهم أو تزيد من بؤسهم وحزنهم، خصوصًا بعدما تكبدوا عناء الطريق والانتظار في الشمس لساعات طويلة منذ الصباح الباكر حتى يسمح لهم بالدخول».

مع اقتراب موعد كل زيارة أصبحت طقوس مثل «كيّ» البدلة بوضعها تحت المرتبة، ضبط قصة الشعر عند حلاق السجن مقابل علبة سجائر، الاستيقاظ مُبكرًا لحلق الذقن والاستحمام،

t.me/qurssan

كأنها استعدادات لموعد غرامي. في النِّهَايَةِ فَهَذِهِ هِي دقائق الغرام المُتَاحة لك، وبالمواظبة والتّركيز على كل تحضيرات الزيارة تروي هذا الغرام، وتحافظ عليه.

يُرمى الرجل في السجن، فيجد كل الهيلمان والصحبة والزحام وقد اختفوا جميعًا، ولا يجد سوى الحبيبات أو الأمهات أو الزوجات هن مَن يسألن عليه، يواظبن على الزيارة وتحضير الأكل والحضن الخاطف عند اللقاء والوداع.

بعد ثاني زيارة، دعاني ضابط المباحث إلى مكتبه. أخبرني أن خطيبتي سألته عن إجراءات الزواج في السجن، وهو أخبرها، لكنه أراد أن يتأكد من موافقتي حتى لا يبدو الأمر أنه «يدبسني» وابتسامة صفراء ارتسمت على وجهه. على ما يبدو كان هذا الضابط، وضباط آخرون معجبون بقصةِ حبي وياسمين، لذا تغاضوا مؤقتًا عن القواعد وسمحوا لها بالزيارة باعتبارها قريبتي، لكن ظل هاجس تغيّر مزَاج الباشا والبشاوات يقلقني أنا وياسمين لذلك فكرتُ في مسألة الزواج حتى تتمكن من زيارتي بشكل رسمي، لكن خفنا من الفكرة. كنا نعرف أن السجن مهما طال فترة مؤقتة، ولا نريد لزواجنا أن يكون ذكرى مُحملة دائمًا بالابتسامات السمجة للسجانين وبالقيود وبدل السجن الزرقاء والصراصير التي ترعى عليها.

بعد مظاهرات تيران وصنافير، تم إيداع عدد من الشباب

t.me/qurssan

والمعتقلين في السجن الذي كنتُ فيه، مما رفع من درجة التأهب في السجن، وعصبية السجانين. نزلتُ في موعد زيارتي المحدد لأجد أمي دون أخي أو ياسمين، ارتعبتُ، وألف سيناريو تتدافع في رأسي؛ ما الذي يمكن أن يكون قد حدث؟ بعد لحظات أتى أخي خارجًا من غرفة رئيس مبَاحث السجن. قال: «لن يسمحوا بدخول ياسمين».

أهالي المعتقلين كانوا على الباب، وإدارة السجن قررت ألا تعترف بتصاريح الزيارة التي يحملونها، تدخلت ياسمين بصفتها محامية لمُساعدةِ الأهالي والضغط على إدارة السجن للسماح لهم بالزيارة، فغضبت إدَارة السجن وقرروا منعها من الزيَارةِ.

استدعاني الضَابطُ، أخذ في إلقاء مونولوج طويل كيف أنه خالف القواعد تسَامحًا وتقديرًا لقصة حبنا وسمح لها بالزيارة، لكن أن تثير هي البلبلة، وتتدخل في ما لا يعنيها، حينها سيضطر للتعامل طبقًا للقواعد، وقفتُ أمامه صَامتًا. كانت أسخف لعب السلطة تُمَارس عليّ. مثلما جرت على آلاف المصريين والنشطاء السياسيين. كان يعرف أنه لو خاطب ياسمين مباشرة فسوف تتمسك بالقانون وبدورها كمحامية وحق الأهالي في زيارة أبنائهم المعتقلين، لكن لو خاطبني أنا بسلطته كسجان وأنا كمسجون فسأخاطب ياسمين بكلماته وسأضغط عليها عاطفيًا من أجل أن تقدّم مزيدًا من التنازلات، وتصبح مثلما يرغب هو.

t.me/qurssan

شعرتُ بالعجز التام، وأوصلني عجزي إلى طمأنينة اللاجدوى فخاطبته رافعًا رأسي للمرة الأولى في مواجهته قائلًا: «اعمل اللي أنت عايزه، بس أنا عايز اشوف ياسمين هذه الزيَارة».

سمح بدخول ياسمين لدقائق في نهاية الزيارة، وبلا كلمات وبعد أسابيع ترسخ ميثاق غير معلن بيني وبين رئيس المباحث، أصبح يعرف أن ما يهمني هو الكتب وزيارة ياسمين والخطابات المتبادلة بيننا، التي كان أفراد السجن يستلذون بقراءتها قبل أن تصلني، بعد تعرضها للفحص وعرضها على جهات أمنية مختلفة لأيام. بالتالي حافظ هو من جهته على وجود هذه العناصر الثلاثة واستخدامها لتطويعي من خلال الحجب أو السماح.

في كل مرة يسمح لي بالحصول على كتاب من الكتب التي تأتيني، يقول: «خد حتة الأفيون بتاعتك».

في غرفة الزيارة تنطلق المشاعر، الدموع والضحكات، والتوتر الذي يعبر عن مشاعر لم تأخذ شكلها النهائي، يحدث هذا تحت أنظار السجانين، والمسجونين الذين يراقبون بعضهم بعضًا. يكتسب الأمر مزيدًا من التعقيد في حالة السيدات المنقبات اللواتي يأتين لزيارة أزواجهن. أحد الزملاء اعترف في لحظة ضعف كيف أنه طوال 18 شهرًا لم يُشَاهد وجه زوجته، وبالتالي أصبحت الزيارة بالنسبة له امتدادًا للسجنِ. في الزيارة كما أثناء وجوده في الزنزانة يعيد من الذاكرة بناء وجه زوجته وتفاصيلها.

t.me/qurssan

زميل آخر تحايل على قواعد غُرفة الزيارة بأن تقف أخته لتفرد سجَادة صلاة تصنع حاجزًا بينه وزوجته وبين بقية قاعة الزيارة لترفع الزوجة نقابها خلف الحجاب. تغاضى السجانون عن هذا الحجاب في البداية ثم تنحنح أحدهم بصوت عالٍ وقال: «ممنوع». تنزل الأخت سجادة الصلاة وترفع الزوجة نقابها فتختفي لحظة الخصوصية التي حاول خلقها.

ينصّ قانون السجون على ساعة كاملة لوقت الزيارة إلا أنه يندر الحصول على تلك الساعة كَاملة. فحسب مزَاج الضابط يبدأ وقت الزيارة، وحين يدق الجرس يأتي الوداع وأحضانه. المسجونون المحظوظون الذين نجحوا في بناء علاقات نفعية مع إدارة السجن اعتمادًا على الواسطة أو العمل كعصافير، يحصلون مُقَابل تجسسهم على زملائهم على وقت إضافي في الزيارة، أو بتعبير ضابط المباحث على قطعة أفيون عاطفي زيادة عن زملائهم.

اليوم الحادي عشر، الأربعاء 2 مارس 2016

الأحلام نافذة تزورني منها الأشياء التي أفتقدها. تتكرر أحلام البحر والشواطئ، الأكل، والأصدقاء، والحبيبات.

حاولت التحكم في أحلامي والتأثير عليها باستخدام معرفتي بالتحليل وعلوم النوم والتلاعب الذهني.

t.me/qurssan

مثلًا، أكثف تركيزي على شخص ما أفتقده طول اليوم، وبالتالي ينسحب هذا التفكير معي إلى النوم فيظهر الشخص أو أثره في الحلم. أحيانًا لا تنفع هذه الاستراتيجية. ففكرت في استراتيجية أخرى، أن أمنع نفسي من التفكير في هذا الشخص، وكلما فكرت فيه شغلت نفسي بأمر آخر، حتى يأتي النوم فتفرض ذكراه المقموعة طوال النهار ذاتها على عالم الأحلام.

اتبعت أيضًا نصيحة هنري ميلر في تسجيل الأحلام، بجوار المصلب وضعت الدفتر الأسود وقلمًا، وأول ما أفعله لدى الاستيقاظ هو تسجيل الحلم وكتابته قبل فعل أي شيء. لتسجيل الحلم يجب كتابته وأنت لا تزال في عالم الأحلام وفي أسر النوم. إذا غسلت وجهك أو شربت ماءً قبل كتابة الحلم، فأنت تسجل الحلم الآن من الذاكرة ومن خارج أرض النوم. لا تبدو الأبعاد والمقاييس كما هي في المرآة.

بعد تسجيل الحلم، يمر النهار وأنا استحلب الحلم مستعيدًا مذاق الحلوى، ضحكة الأصدقاء، شبح الإيروتيكا والانتصابات المدفوعة بالرغبة والحب، لا ضرب العشرة بدافع السأم.

t.me/qurssan

الصدق «منجا»

لم أعرف نوعًا أدبيًّا ينهض بنيانه على الكذب في الموضوع والكسل الفني بدعوى الصدق إلا أدب السجون.

يقدّم أدب السجون ذاته بصفته المعبِّر عن الحقيقة التي لا يمكن للقارئ العادي الوصول إليها. يدخل الكاتب في أدب السجون على القارئ لكي يطالبه بالخشوع والتسليم؛ لقد أتيتُ من الجحيم، ولا سبب لدي لأكذب، إنني أسجل، وأكتب هنا وفاءً لرفاق الزنزانة والتجربة. وحيث إن التجربة تطرح نفسها كثمرة سامية مقدسة فهي لا تلزم نفسها بأي حرفية أو فنية. بعض الكُتّاب يرى أن فنية الكتابة في أدب السجون تناقض الصدق الذي يجب أن يخرج عليه النص، وأن حلاوة النص في صدقه؛ لأن الصدق منجاة، أو كما كان يقول زميل في السجن: «الصدق منجا»، من «المانجو».

تحفل تجارب أدب السجون المصرية بالتناقضات التي تثير الشكوك حول مدى صدق تلك الروايات. في الستينيات ضمت معتقلات جمال عبد الناصر مساجين من التيارين الإسلامي والشيوعي. ومع ذلك يبدو التناقض الصارخ في تسجيل الوقائع بين كتابات التيارين كتشويش متعمد لأي محاولة لرسم صورة

t.me/qurssan

السجون ومعتقلات تلك الفترة اعتمادًا على الشهادات المختلفة، لكن ربما يكون هذا التناقض هو تأكيد لذاتية تجربة السجن لا حقيقتها. فما من حقيقة متفق عليها؛ لأن كل سجين لديه تجربة وألم خاص مختلف عن الآخرين.

تتطلب الحقيقة تسليم واتفاق الجميع، وتبرهن على ذاتها بالدلائل المختلفة، بينما كتابات السجون لا تستند إلا للرواية الشخصية. كل كذب أو تناقض في الرواية يمكن تفسيره بأنه نتيجة للسجن، بالتالي فحتى إذا تضاربت الوقائع واضطربت صورة الحقيقة، يظل الصدق دائمًا في صف الراوي الكاتب، كل تناقض أو خطأ نتيجة سهو أو تعمد يطرح نفسه كنتيجة لتجربة السجن وضغوطها.

ثم يأتي الثقل الأيديلوجي ليبسط ظله ويهبط بوزنه على النص. لطالما كان أدب السجون جزءًا من معركة سياسية مثلما كان السجن في وعي المسجون السياسي جزءًا من معركته. غالبية كتابات أدب السجون العربية التي قرأتها، سُجن أصحابها بسبب نشاطهم السياسي، وبالتالي فالسجن استمرار للنضال السياسي. إنه يحافظ على عقله من الجنون، وعلى روحه من التعفن من أجل مستقبل أفضل يصنعه مع حزبه أو جماعته حينما يخرج. إنه يكتب بعد خروجه من السجن، لكي يسجل تجربة جماعته السياسية على جدار الزمن، لكي يصنع ولو خدشًا بسيطًا في

t.me/qurssan

بنيان جدرانَ السلطة وروايتها، وبالتالي فليست فنية ما سيُكتب عن التجربة هو المهم، بل الطرح الذي ستحمله الوثيقة المكتوبة، ودورها ضمن المعركة السياسية الأبدية للكاتب/السياسي السجين.

وثائق وشهادات السجون ليست أدبًا، وليست فنًّا بالتأكيد، فالفن لا يمكن أن يكون وثيقة إلا بشكل ثانوي.

تسعى الوثيقة إلى الإيضاح وتثقيف الجمهور. الأدب مكتفٍ بذاته، جوهره في تفرده لا في إيضاحه، ومن العمل الأدبي يتعلم الأدباء حرفتهم.

في العمل الأدبي، الشكل عنصر محوري، والشكل والمضمون هما نفس الشيء، أي مغزى العمل الأدبي، بينما في وثائق وشهادات السجون تسود المادة ويكون الشكل الفني مجرد مطية.

لا يدخل المعتقل السياسي السجن وحيدًا، وحتى إن كانت الوحدة رفيقة للتحقيق والاعتقال فدائمًا في كتابته عن السجن تأتي اللحظة التي يلتقي فيها برفاقه في العمل السياسي.

تفرق كتابات السجن بين السجن السياسي والجنائي، وتضع حدًّا فَاصلًا بين العالمين، بل ويتعمد الكاتب إبراز الاختلافات بينه كسجين سياسي وبين السجين الجنائي، حتى لو كان الاثنان في

t.me/qurssan

ذات الزنزانة.

تجربة السجن عندهم هي بوتقة لصهر الجماعة السياسية، لاختبار قناعات أفراد الجماعة، والروابط القائمة بينهم، سواء كانت روابط الأخوة حين تنهمر الدموع عند صلاة الفجر، أو ترتجف الأعضاء في نشوة الأورجازم حين يهمهم الرفاق بأغنية للشيخ إمام.

إن كل كتابة عرفتها عن السجن لم تكن عن السجن، بل تأويلات مُترَاكمة للصراع السياسي الدائر لحظة كتابتها، والسجن يأتي كحلبة من الحلبات المتعددة لهذا الصراع. حلبة تشهد هزيمة الكاتب ومحاولات مقاومته، لكن أحدهم لم يجهزني لتلك اللحظة، ولم يخبرني عن تلك التجربة. توقعت دائمًا المرور بالسجن مثل كل مشتغل بالشأن العام في مصر، لكن لم أتخيّل أبدًا أن يكون سبب سجني هو الأدب والرواية والفن. دخلتُ السجن بهوية الكاتب لا الناشط السياسي.

اليوم الحادي والعشرون، السبت 12 مارس 2016

معظم الزملاء لديهم اهتمام بالغ بمسألة الأحلام. إنها الموضوع الأبرز في كل المحادثات. يروي الحالم حلمه لمن يثق به في انتظار تفسير للرؤي، أو ينادي أحدهم على الآخر مبشرًا إياه بأنه

t.me/qurssan

قد رأى له رؤيا مباركة.

الأحلام نافذة على الأمل. نافذة على عالم آخر غير السجن. هذا كلام يصلح أكثر لأوربا والدول المتقدمة،

أما هنا في السجن المصري الذي بناه الاحتلال الإنجليزي، فللأحلام أبعاد أكثر تعقيدًا تتداخل مع جوهر الإيمان. سورة يوسف هي رفيقة المسجون، والمفضلة من كل سور القرآن لدي غالبية المساجين.

الظلم والسجن موضوع أساسي في السورة، فيوسف ضحية مؤامرة من إخوته، ينفى إلى مصر. ومرة أخرى تتكرر المؤامرة عليه بسبب جماله وعفته تجن نساء مصر، فيكون الحل بوضعه في السجن. في السجن محاصرًا مع زملائه، لا نافذة يطلون منها على العالم سوى الأحلام. يحلم زملاء يوسف ويفسر لهم الحلم. أحدهم سيموت والآخر سيصبح ذا شأن عند الملك.

لأن يوسف نبي يتحقق تفسيره، زميله الذي نجا يصبح مستشارًا للملك ويظل في منصبه حتى يحلم الملك بحلم غامض متكرر، حينها يتذكر مستشاره يوسف رفيق السجن، فيشير إلى الملك بإخراجه من السجن. من السجن يخرج يوسف ليصبح مستشارًا للملك ومسؤولًا عن خزائن مصر، وأخيرًا تتحقق له القدرة على الانتقام من إخوته والثأر لكل ما ضاع من عمره.

t.me/qurssan

قصة ملهمة لكل سجين عبر كل العصور حيثما كان، فكل سجين يرى نفسه يوسف المظلوم، أو رفيقًا ليوسف. كل مسجون ينام ينتظر الرؤيا والبشارة.

هنا في السجن الأحلام ليست أضغاثًا، بل من جوهر العقيدة. الجميع ينام في انتظار الرؤيا، أن يرى عبر الأحلام ما سيكون وأن تكون الرؤيا مُبشرة. مثل صاحبي يوسف الجميع ينتظر حلمًا يسقي فيها ربه خمرًا، والجميع يرتعب من رؤى يكون فيها مصلوبًا تأكل الطير من رأسه.

t.me/qurssan

تدريبات مبكرة على حرق الكتب

لدى عائلتنا تاريخ طويل في التخلصِ من الكُتب بأشكَالٍ مُختلفة.

في صغري أذكر روتينًا دوريًّا يتكرر على فترات مُتبَاعدة أثناء إقامتنا في مصر؛ والدي يفتح الدواليب والأدراج ويبدأ لساعات في تصنيف الكتب والمجلات والدفاتر الموجودة لديه. أعزها إلى قلبه دفاتره الخاصة التي تحتوي على ملاحظاته وتلخيصه لعشرات الكتب، معظمها يدور في فلك التصوف وعلوم الدين الحركية والسياسة، ثم تأتي كتب سيد قطب ورسائل البنا ومذكرات القيادات الإسلامية المختلفة.

يُصنف الكتب ويُرتبها إلى مجموعات، ثم يقوم بتوزيع تلك المجموعات في أماكن سرية مُتنوعة، تبدأ من كراتين فوق السطوحِ بجوار عشش الدجاج، إلى مجموعات أخرى يضعها أمانة لدى أقارب ليس لديهم نشاط سياسي، وأخيرًا كتب يرى وجودها خطرًا عليه وعلى الجميع، وبإمكانه الحصول على نسخ أخرى منها عند الحاجة، فيقوم بحرقها والتخلص بحرص من رمادها.

t.me/qurssan

لم ألتفتُ في صغري لهذا الأمر، بل ظننتُ أنه ممارسة معتادة لدى الجميع، حين كنتُ أسأل أمي كانت تجد صعوبة في شرح طبيعة الموقف السياسي لطفلها الصغير فترد قائلة: «الكتب دي فيها قرآن وآيات ربنا، ولا يصح أن نلقيها في النفايات لذلك نقوم بحرقها».

جدي، الذي كان غفيرًا في أحد المصانع، كان لديه مكتبة ضخمة جدًّا، حكى لي والدي أنه في فترة من الفترات لم يكن لديه المال كافيًا لشراء سرير، فقام برص مجلدات علوم الفلك وأشعار أحمد شوقي -كان يحفظها غيبًا- ونصب منها سريرًا لينام عليه أولاده، لكن لأسباب لا محل لتفصيلها هنا، أصيب في فترة من حياته مع بداية الثمانينيات باكتئاب حاد وتخلص في تلك الفترة من معظم مكتبته، اكتفى بعد ذلك بقراءة الجرائد، تحديدًا جريدة «الأخبار»، أو تصفح ديوان المعري وكتب الفلك شغفه الأعظم الذي دفعه أن يسمّي ابنه البكر في البداية «جالوليلو»، ثم بعد ضغوط عليه بحجة أنه اسم غير إسلامي غيّره إلى ناجي، واكتفى بكتابة عبارة ضخمة على جدار البيت «ناجي جالوليلو».

لكن أبي لم يتخلص من الكتب بسبب اكتئاب مفاجئ، أو تدهور في القدرة على القراءة كجدي، بل حتى لا تستخدم «الكتب» كأدلة ضده في حالة مُدَاهمة المنزل أو القبض عليه، فتعليمات التخلص من تلك الكتب تأتي من الكبار في الجماعة لحماية الكوادر،

t.me/qurssan

فنسخة من «رسائل» البنا، أو «المنهج الحركي للسنة النبوية» يمكن استخدامها كدليل اتهام بانضمامه لجماعة محظورة.

هكذا في ليالي الصيف المملة، وحين كنّا نعود من إقامتنا في الكويت إلى المنصورة لم أكن أجد ما أفعله سوى قراءة كتب أنيس منصور، وخالد محمد خالد، ومسرحيات توفيق الحكيم، كانت هذه هي نوعية الكتب التي يرى أبي أنها لا تمثل خطرًا في حالة مداهمة قوات أمن الدولة للمنزل. لم أكن في حاجة لكتب البنا لكي أعرف الإخوان المسلمين، كنتُ أعيش التجربة بالفعل.

في الكويت، كما في مصر وأكثر من مئةِ دولة أخرى، يمتد الوجود الإخواني ليصنع شبكة من الضمان الاجتماعي لا للأفراد فقط، بل تصل إلى عائلاتهم. كنتُ أخرج بانتظام في جلسات أسبوعية مع أطفال آخرين، معظمهم مصريون آباؤهم من عائلات أو أُسر إخوانية مقيمة في الكويت.

البرنامج المُعد لهذا السن يشمل، إلى جانب قراءة القرآن والتعرّف على السيرة النبوية، عددًا من الأنشطة الترفيهية تُنظم أيام الإجازات الأسبوعية بانتظام، وكطفل انتقل فجأة من قرية من مدينة المنصورة إلى بيئة جديدة كالكويت، كانت مثل هذه الأنشطة مع «الأشبال» مُحيطًا دافئًا مليئًا بالاكتشافات الجديدة، وكاسرًا في الوقت نفسه لأحاسيس الغربة.

t.me/qurssan

لكن الأمور لم تسر بالإيقاع نفسه بعد العودة إلى مصر، ففي قريتنا نُظر لي بشكل «خاص» نظرًا للمكانة التي يحتلها والدي في الجماعة كطبيب ومثل أعلى للكثير من أشبالها، وهو ما لم أكن أعرف عنه شيئًا.

شعرت دائمًا باحتفاء مبالغ فيه من جانب الإخوة يفصح عن نفسه بوضوح في عبارة ترحيبهم الأولى: «أنت ابن الدكتور ناجي حجازي... ما شاء الله، ما شاء الله».

اليوم الثاني والخمسون، الثلاثاء 12 أبريل 2016

حلمت أني خرجت من السجن ليوم واحد، ذهبت لماما في منزل غير منزلنا، واقفة في شرفة مرتفعة وواسعة تنشر الغسيل. وقفت بجوارها صامتًا، ثم أشارت إلى سلم يربط بين الشرفة والسطح، تسلقته فقادنى إلى خارج البيت، جريت فى الشارع.

كان يجب أن أصل إلى المطار لأن بابا وإخوتي ينتظرونني في الطائرة، لكن تهت في طرقات مدينة لا أعرفها. تعبت من الجري والمشي، فوقفت في شارع ضيق كأني داخل حارة من حواري مصر القديمة. وجدت ولدًا يبيع الحشيش لكنه حين رآني تعبًا وجائعًا، أعطاني رغيف خبز وداخله قطعة حشيش وطلب مني أكلها. كان الرغيف طازجًا وساخنًا ولذيذًا. كنت أقضمه من طرف

t.me/qurssan

فيخرج دخانًا من الطرف الآخر كأنما يحترق الحشيش داخله. أخذ يتحدث معي وظهر له رفاق آخرون.

فجأة هجمت دورية شرطة علينا فانطلق يجري وأنا أجري خلفه في حواري متشعبة. تاه مني وتهت في الحواري والأزقة الضيقة حتى وصلت لشارع مسدود. عدت من حيث أتيت لكني وجدته شارعًا مسدودًا أيضًا. من الجانبين أبواب ونوافذ خشبية مغلقة. ظللت أروح وأجيء في شارع مسدود من الجهتين وأنا خائف أن تقبض عليَّ الشرطة، يائسًا أدفع بابًا فيقودني لممر آخر شبيه بالأول، أو ربما هو ذات الممر.

t.me/qurssan

t.me/qurssan

تربية اللغات الإسلامية

سواء في الكويت أو حتى بعد عودتنا إلى مصر، درستُ دائمًا في مدارس خاصة تحمل ضمن اسمها كلمتين أساسيتين: «إسلامية» و «لغات». مزيج الأصولية والحداثة الذي اختاره بابا وماما أساسًا لتربيتي.

مدرسة «الهدى والنور» التي قضيت فيها السنة الثالثة الإعدادية بعد عودتنا من الكويت واحدة من المدارس الإخوانية الشهيرة وقتها. أبي نفسه ساهم في إنشائها في البداية، وهي جزء من قطاع المدارس والخدمات التعليمية، أحد القطاعات الأساسية التي اهتم الإخوان منذ الثمانينيات بالتوسع فيها، كاستثمار اقتصادي وصورة من صور العمل الدعوي. كنّا ندرس ذات المناهج التي تُدرّس في المدارس الحكومية، لكن مضافًا إليها مادة بعنوان «قرآن كريم» بواقع حصتين كل أسبوع، ومادة أخرى هي خليط من السير والنصائح الإسلامية، كما أن الموسيقى تستبدل بمادة أخرى باسم «أناشيد».

الآلات الموسيقية -باستثناء الطبول والدفوف- ممنوعة ومحرمة، على جدران المدرسة لافتات ومجلات حائط تتحدث عن خطورة الاستماع للمعازف. الأناشيد التي كنّا مجبرين على

t.me/qurssan

حفظها عبارة عن مزيج من أشهر الألحان والأغاني الوطنية تُحرف بعض معانيها، وتستبدل كلمة «مصر» بكلمة «الإسلام». المدرسة بالطبع ضمت لفيفًا من أبناء القيادات الإخوانية المحلية إلى جانب طلبة مسلمين من خلفيات متنوعة.

أنتبه الآن فقط كيف أني لم ألتقِ أبدًا بشخص مسيحي حتى سن الرابعة عشرة، كنتُ في عالم خاص لديه قيمه الأخلاقية و تصوراته عن الكون والفرد الصالح ورسالته في الحياة.

الانتقال من رحم مدارس الإخوان إلى مدرسة طه حسين الثانوية الحكومية كعبور المحيط لكوكب آخر، فلأول مرة وجدتُ مسيحيين في المدرسة، ومكتبة يوجد فيها كتب أخرى غير أذكار الصباح والمساء.

مكتبة مُكدّسة بالكتب التي تتراكم فيها منذ الستينيات.

العالم المثالي الخالي من الشتائم والسباب والذي يتحرك فيه الإخوة بالسواك والابتسامات الودودة بدا ضيقًا وبعيدًا. مع الانتفاضة الفلسطينية الثانية صُعّدت داخل التنظيم ورغم أني في المرحلة الثانوية فكنتُ أجلس مع إخوة في الجامعة. شاركتُ في صياغة هتافات سيُهتف بها في المظاهرات التي تلت مقتل «محمد الدرة». أصبحتُ عنصرًا فعالًا في مجموعة جامعة الأزهر، ثم ظهر حيدر حيدر.

t.me/qurssan

رفض تناول الوليمة

جاء أحد الإخوة بعدد من جريدة «الشعب» ووضعه بجواره، سارت الجلسة بشكل معتاد. البداية بالقرآن الكريم، ثم أخ يشرح أحد الأحاديث النبوية، وثالث يقرأ ويفسر جزءًا من كتاب فقه السيرة، ثم فتح الأخ الجريدة وأخذ يعيد بث ما هو مكتوب في الجريدة صوتيًّا.

رواية لكاتب سوري يُدعى «حيدر حيدر» نشرتها وزارة الثقافة المصرية، وتحتوي إلى جانب الجنس على إهانات للذات الإلهية والنبي محمد صلي الله عليه وسلم. هذا هو تلخيص الموقف، أما رد الفعل فالتجهيز لمظاهرة للاعتراض على نشر الرواية، وللمطالبة بحرقها.

«حرقها» حرفيًّا كرر الأخ الكلمة أكثر من مرة، وتلقائيًّا اعترضتُ. كنت الشاعر الإسلامي للمجموعة، وأتبعت اعتراضي برفض كتابة شعارات تطالب بحرق الكتاب أو أي كتاب آخر.

لا تعرف حتى الآن لماذا اتخذت هذا الموقف الصارم في هذه المسألة؟

وبينما كنت أبحث عن مواقف داعمة لي، وجدت إعلانًا في

t.me/qurssan

جريدة «الأخبار» التي اعتاد جدي شراءها عن جريدة «أخبار الأدب»، حمل الإعلان صورة غلاف العدد الجديد وعليه عدد من عناوين الموضوعات معظمها يركز على قضية حيدر حيدر، ويدافع عن حرية الرأي والتعبير وحق نشرها. تناقض هذا مع موقف جريدة «الأخبار»، فرئيس مجلس الإدارة ورئيس التحرير وقتها إبراهيم سعدة عارض نشر الرواية. لم تكن «أخبار الأدب» تُباع لدى بائعي الجرائد القريبين من مجال حركتي، لذا طلبتُ من أحد أصدقائي الجامعيين أن يشترى لي نسخة. من أول مرة فتحتها أدركت أنني عبرت عبر باب من الورق إلى عالم جديد، وأنه ما من سبيل للتراجع، فعالم آخر خلفي أُغلق بابه.

تمسكت بموقفك الرافض لمصادرة الرواية وحرقها ورفضت الاشتراك في أي مظاهرة ضد نشر الرواية. كان الإخوان ينفخون في نار القضية والطلبة ينظمون المظاهرات والوقفات، والتصريحات النارية تتوالى. استغلوا القضية للحشد استعدادًا للانتخابات التي اقترب توقيتها. بالطبع لم تكن تدرك كل هذه الأبعاد السياسية المتشابكة. لكنك، مثل مراهق يبني هويته الذاتية من خلال الانحياز لقيم ومبادئ والتمسك بها في محاولة لفرض مثاليته على العالم، تمسكت بإعلان موقفك الرافض لدعم أي نشاط ضد الرواية.

في واحدة من الجلسات الأسبوعية عرض أحدهم بعض أجزَاء

t.me/qurssan

من الروايةِ نَشرتها جريدةُ «الشعب». لم يعجبني ما قرأته، لكن في رأيي أيضًا هذا ليس مُبررًا للحرق. دخلتُ نقاشًا طويلًا مع الإخوة ارتفعت فيه الأصوات، احتدت المناقشة بيني وبين الأخ المسؤول الذي أخذ مُنفعلًا يحذرني من مثل هذه الأفكار. احتد النقاش أكثر فكان رده: «يا تبطل الكتب التي تقرأها وترديد مثل هذه الأفكار، أو لا تجلس معنا».

انصرفتَ. لم تعد ثانية.

اليوم الثالث عشر، الجمعة 4 مارس 2016

اكتملت الدائرة. العالم الخارجي يبتعد عني. تنطفئ داخلي جذوة الأمل في خروج قريب. كل الكلام عن الاستشكال أو نقض قريب محض أوهام. من الأجدى أن أبصق في يدي وأداعب زبي استعدادًا لمضاجعة اليأس لفترة طويلة.

t.me/qurssan

t.me/qurssan

شنبر، يشنبر، واسم الآلة الشنبرة

تُحظر الأدوات المعدنية الحَادة بكافة أشكالها، لذا تسود في السجون عمليات إعادة التدوير لكل ما يمكن تسريبه والحصول عليه لاستخدامه في غير ما صُمم له. أثارتني دائمًا التراكيب والكلمات التي تطلق على مثل هذه الأدوات المُعاد تدويرها. على سبيل المثال؛ علب الفول والتونة المعدنية، يُنزع غطائها بحرص ثم ينظف ويفرد، وتستخدم الحواف الحادة للغطاء الصفيح كسكين لتقطيع الخضراوات عند إعداد السلطة أو تقشير الفاكهة، وتقطيعها، أو حتى تقطيع اللحوم. ويطلق على هذه الأداة اسم «الشنبرة» والفعل شنبر، فيُقال شنبر الطماطم للسلطة بمعنى قطع الطماطم للسلطة، ويقول عند التهديد «والله هشنبرك» بمعنى سأستخدم الشنبرة كي أجرحك.

لا مكان لتلك الكلمات خارج السجن، لا حياة لتلك اللغة إلا داخل جدران السجن، كأنها لغة مسجونة معنا، رفيقة في الزنزانة.

اليوم التاسع والسبعون، الإثنين 9 مايو 2016

حلمت أني ضحية زواج تورطت فيه، صرت بعلًا لزوجة جاهلة

t.me/qurssan

سطحية مجوفة. أهلها مجموعة من الطفيليين البضان. نقيم في مكان يفترض أنه بيتنا، يزورنا «وائل عبد الفتاح»، في ذات الوقت يزورنا أقارب زوجتي، منهم شخص يشبه نزيلًا معى في العنبر. يثيرون القرف والإزعاج في كل مكان بالمنزل، وفي النهاية لا نجد أنا ووائل مكانًا نتحدث فيه إلا الحمام. ندخل هناك ونغلق الباب خلفنا بينما نعرف أنهم في الخارج يسرقون الراديو والتلفاز وكل الأجهزة الكهربائية، وهو ما لا يضايقني، لكن الأزمة الحقيقة هي كيفية التخلص من وجودهم.

اليوم الثمانون، الثلاثاء 10 مايو 2016

حلمت أني في شقة «د» الزميل في العنبر، وكنا على وشك التحضير لحفل بمناسبة رأس السنة. توافد المدعوون، لكنهم يرتدون أقنعة. اندمج الجميع في جو الحفل إلا أنا، قضيت معظم الوقت قلقًا من المداهمة الأمنية، وأتمنى أن ينصرف الجميع بسلام حتى يمكنني أن أذهب.

هذه ثاني مرة أحلم فيها بشخص من الموجودين في العنبر. هل هي إشارة لابتعاد العالم القديم؟ هل هذا هو عالمي الآن؟ هل تسللت جدران السجن إلى لاوعيي وامتلكت حتى أحلامي؟ هل أفقد الأحلام، نافذتي على الخارج؟ هل في اكتمال الحصار الآن تترسخ سلطة اليأس؟ هل في إعلان الاستسلام وقتل الأمل يكون هناك قدر من الرحمة وتسريع للتكيف مع العالم الجديد؟

t.me/qurssan

تلك الرائحة

تظهرُ الكُتُبُ وتختفِي في المكتبَة.

عمليات الاستعارة اليومية وخدماتها التي تتوزع على مساجين في أكثر من تسعة عنابر، تجعل بعض الكتب تغيب لأسابيع عن أرفف المكتبة، ثم تظهر على الرف هذا أو ذاك. لذا كنت أعيد فحص ما على ذات الأرفف التي فحصتها بالأمس راصدًا الكتب التي تختفي أو تلك التي تظهر.

ثم وقع بصري على كتَاب صغير لا يتجاوز حجمه المئة وخمسين صفحة. غلافه الأمامي أسود مُلطخ ببقعةٍ حمرَاء ومَكتوب عليه «تلك الرائحة وقصص أخرى.. صنع الله إبراهيم». انفجرت ضحكتي بصوت عالٍ في المكتبة، حتى انتبه العجائز المستوطنون فيها. سيطرت على انفعالي وأخفيتُ اندهاشي من المصادفة. سحبتُ الكتاب وأخذته معي للأسفل في زنزانتي، انتظرت حتى المساء وإطفاء أنوار العنبر، لأجرب اللمبة الأباجورة التي اشتريتها من سجين آخر بعلبتي سجائر كليوباترا. على ضوئها تمددت وفي يدي كتاب صنع الله إبراهيم الذي مُنع في الستينيات ليصبح كتابًا مسموحًا في بداية الألفية، وعليه ختم وزارة الداخلية، ومصلحة السجون توزعه في مكتباتها.

t.me/qurssan

اكتشفتُ من أول صفحات الكتاب أن النسخة التي قرأتها سابقًا لرواية تلك الرائحة لم تكن النسخة الكاملة. فنسخة السجن التي بين يديّ تعود إلى عام 1983 وقد صدرت في القاهرة عن دار مطابع المستقبل بالفجالة والإسكندرية. والمدهش أنها لا تحمل رقم إيداع. وتحتوي بالإضافة إلى الرواية على مقدمة طويلة كتبها صنع الله إبراهيم، ومقدمة يوسف إدريس التي كتبها لتقديم الرواية في الستينيات ولم تصدر أبدًا قبل ذلك، إلى جانب ثلاث قصص قصيرة، ومقال يحيى حقي الشهير الذي يُبدي فيه اشمئزازه من الرواية وألفاظها وتصويرها للقبح بتلك الفجاجة.

يروي صنع الله في مقدمته، كيف كتب الرواية بعد خروجه من سجن الواحات حيث قضى سنوات طويلة في قلب الصحراء في واحد من أبشع السجون المصرية على مرّ التاريخ. دخل صنع الله السجن بسبب نشاطه السياسي، لكن خرج منه أكثر إيمانًا بدور الفن والأدب وضرورته. في مقدمته يتذكر أن النسخة الأولى من الرواية التي كتبها في أواخر الستينيات صدرت بما يشبه المانيفستو كتبه كمال القلش، ورؤوف مسعد. وحفل هذا البيان بالعبارات التي تتحدّث عن قدرة الأدب على الوصول لحقيقة الوجود، ومُحَاربة الاستعمار بالفن والأدب من خلال تحدي القيم البرجوازية السائدة وكشفها، وهو الدور الذي يجب أن يقوم به الفن الثوري الحقيقي. في آخر حواراته الصحفية وقد تجاوز السبعين سيقول صنع الله إن الهدف الوحيد من الأدب هو المتعة.

t.me/qurssan

وبينما توفي كمال القلش في 2004، لا يزال رؤوف مسعد يطارد أشباح رغباته ويخوض حروبًا افتراضية على فيسبوك.

سواء كان الغرض محاربة الإمبريالية والبرجوازية أو المتعة، فلن يتذكر أحد غيرك لماذا تكتب.

تحمس يوسف إدريس للرواية، ومن موقعه كنجم الأدب الرسمي وقتها، كتب مقدمة تحدّث فيها عن الشاب النحيف ذي الموهبة المتفجرة. في ذلك الزمن كان النشر خاضعًا للتأميم، وسلطة الدولة، والرقابة على كل أشكال المطبوعات. لم يشفع بيان الأدب الثوري ولا مقدمة يوسف إدريس لصنع الله، ورفضت الرقابة نشر روايته. أثار الأمر لغطًا كبيرًا بين المثقفين، وفي دولة ناصر العسكرية كان الأدب يخضع لسلطة وزير الثقافة وضابط الجيش السابق عبد القادر حاتم، والذي قرر بنفسه التدخل في الأزمة.

استدعى عبد القادر حاتم صنع الله إبراهيم لمكتبه. استقبله وهو جالس وسط معاونيه، ثم بدؤوا في وصلة سخرية منه ومن الرواية. سأل وزير الثقافة صنع الله عن مشهد يحاول فيه بطل الرواية النوم مع عاهرة اصطادها زملاؤه، لكنه لم يستطيع مضاجعتها. استوقف الأمر وزير الثقافة وأقلقه فسأل صنع الله: «هو مبيعرفش ولا إيه؟» ثم انفجر هو ومن حوله في الضحك تقديرًا لخفة دم معاليه.

لم تُنشر رواية صنع الله في القاهرة. صدرت نسخة منها بعد

t.me/qurssan

ذلك بسنوات في بيروت، وهي النسخة التي قرأتها قبل دخولي السجن. لكن صنع الله يقول في مقدمته إن نسخة بيروت لم تكن كاملة وتدخل فيها الناشر وحذف بعض الألفاظ، وإن أول نسخة كاملة للرواية هي تلك الموجودة الآن بين يديّ.

مُعلقًا على اتهامه بخدش الحياء العام الذي طاله من مخبري عبد القادر حاتم يقول صنع الله في مقدمته:

«أو أن نصور على الورق كائنات أوشكت أن تختفي فتحاتها الجنسية، كي لا نخدش حياءً كاذبًا لدى قراء يعرفون عن أمور الجنس أكثر مما يعرف السيد الكاتب».

t.me/qurssan

تحقيق

«ما قولك في ما جاء بالمقال بالنص المُعنوَّن «ملف استخدام الحياة» والذي سطر فيه الصحفي أحمد ناجي عبارات خادشة للحياء العام حيث صوّر فيه مشهدًا جنسيًّا كاملًا مع إحدى صديقاته، وتُدعى ملعقة، بداية من مداعبة ركبتها وحتى قيامه بنزع الواقي الذكري بعد ممارسة الجنس معها؟».

من تحقيقات النيابة مع طارق الطاهر رئيس تحرير «أخبار الأدب».

t.me/qurssan

t.me/qurssan

حلمات أم نقاط، أيهما أخدش؟

سُجن صنع الله إبراهيم لأسباب سياسية، بعدها حُجبت وصُودرت روايته لأسباب أخلاقية. في حين كنتُ في السجن لأسباب أخلاقية. روايتي لم تُصادر، فالحكم الذي سجنت بسببه، لم يأمر بمصادرة الرواية حيث إن موضوع الدعوى هو الفصل الذي نشر من الرواية في «أخبار الأدب».

صنع الله كان في السجن مع رفاقه وأساتذته وأعضاء التنظيم، يتحاورون، يواسون بعضهم بعضًا، تولد بينهم روابط الإخوة والصداقة، ويحضرون لثورة في مجال الفن والأدب.

صنع الله كان لديه مَن يشاركه أفكاره، ومنهم رؤوف مسعد، وكمال القلش، مَن سيكتبان ما أشبه بمانيفستو للكتابة الجديدة يقدمان بها روايته الأولى.

أنا سجين في عنبر «البكوات»، معظم من حولي موظفون في الدولة، مستشارون ورؤساء محاكم، ضباط جيش وشرطة اُتهموا في قضايا مخدرات وقضايا فساد. يقرؤون بدافع تمضية الوقت ويسعون بكل السُبل لفتح نقاشات عما يقرؤونه، لا غرض منها سوى استعراض البلاهة.

t.me/qurssan

ذات مرة كنتُ جالسًا في حالي كما العادة، حينما تقدّم لي ضابط جيش سابق متهم في تشكيل عصابي لسرقة السيارات وسألني بصوت عالٍ أمام كل العنبر:

- يا أستاذ أحمد، بما أنك طول اليوم قاعد تقرأ، تعرف أم عنترة بن شداد اسمها إيه؟

سكتُ ورفعتُ رأسي عن كتاب إدوارد غليانو الذي أقرأه، فوجدتُ خمسة مساجين جميعهم حوله ينظرون لي بتحفز في انتظار الإجابة. كان شخصًا لزجًا ينقل كل حرف في العنبر لرئيس المباحث، وكنتُ في أول أيامي بالسجن، ولا أريد مشاكل فوق الخراء الذي أنا فيه. هززتُ كتفي وجاوبتُ إجابة الفتاة المهذبة:

- لا والله معرفش.

- إزاي دا سهل جدًّا، دا كلام؟ كاتب، ومش عارف أم عنتر بن شداد اسمها إيه!

وكان هذا الرجل يحب أن يناديه الجميع بلقب اللواء، فقلتُ:

- يمكن يا سيادة اللوا اسمها أم عنتر.

ضحك الواقفون حوله، وضحك هو ضحكة أسخف، وقال: «لا»، سألته: «طيب اسمها إيه نستفيد بعلمك؟»، ضحك أبضن ضحكة في الوجود وقال: «مش هقول لك»، ثم انصرف عائدًا لمصلبه.

t.me/qurssan

صنع الله إبراهيم كان يتحدث مع زملائه في السجن عن همنجواي والشِعر السوفيتي، بينما أرقى نقاشات ثقافية تورّطتُ فيها كانت عن أعمال أحمد مراد، ومحمد صادق، وأدب الرعب، وفي أوقات نادرة روايات صنع الله وخيري شلبي التي كان الزملاء يقرؤونها.

زميل بعد قراءته لرواية تلك الرائحة جاء لي حاملًا الرواية وقال: «دا بيتكلم عن الحلمات، مش خدش حياء دا؟!».

ابتسمتُ وقلتُ إنه لم يقل «الحلمات»، بل قال «نقطتي ثدييها»، وأن عليه ألا يقلق فالرواية مُنعت على أيامهم، فحتى النقاط كانت تخدش في هذا الزمن، لكن في زمن آخر يسمح بها في مكتبات السجون.

يقولون إن الفن والأفكار لهما أجنحة لا يمكن منعها عن الناس. بالتأكيد هذا صحيح، كذلك السجون لا يمكن منعها عن الناس.

اليوم السابع والثمانون، الثلاثاء 17 مايو 2016

روح تكافل غريبة الأبعاد يخلقها السجن. تكافل غير مشروط بطبيعة موقفك أو قضيتك. على سبيل المثال عم «س» متهم في قضية نصب صغيرة، ليست أول قضية، الرجل محترف ويفاخر بعودته للعمل فور خروجه. أنا طبعًا أحبه لأنه صريح ولا يدعي

t.me/qurssan

الفضيلة والبراءة مثل معظم الموجودين، والأهم دمه خفيف ويجيد إلقاء النكات الخادشة للحياء.

حصل عم «س» اليوم على إخلاء سبيل لكن الكفالة ألف جنيه، وهو لا يملك هذا المبلغ. لكن تم جمع هذا المبلغ من نزلاء العنبر خلال ساعتين وذلك عبر علب السجائر، تبرع كل نزيل بما يستطيع في شكل علبة سجائر وتم جمع هذه العلب وتبديلها بالمال لتسليمها للموظفة «هـ» لكي تدفعها في الخزينة وتنجز إجراءات إخلاء سبيله.

t.me/qurssan

طلقتي الطائشة

ليس لدي ميل ثوري ضد الاستعمار أو الإمبريالية في صورتها الليبرالية الرأسمَالية. هذه انشغَالات صُنع الله، وجيله، ودافعهم للبحث عن أدب ثوري حقيقي. صحيح أن صنع الله قضى مسيرته الأدبية يشيّد تركيبات معمَارية روائية معقدة وهرمونية ليثبت كل مرة أن الرأسمالية شريرة والشركات الكبرى ترث عرش الدم الأسود لاستعمار ما قبل الحرب العالمية الثانية، لكن في الأيام الأخيرة أعلنها في أحد الحوارات الصحفية واضحة صريحة: «المهم المتعة الفنية».

هل حقًا يكتب الكاتب من أجل إمتاع الآخرين؟ إذا كان الأمر كذلك، وهو كذلك على ما يبدو، فماذا عن مُتعته الخاصة؟ الضمير هنا أقصد به الكاتب، هذا الضمير الغائب دائمًا والقابل للنقد والتحليل والتأويل، بل والمحاكمة والسجن بسبب متعته الخاصة، مع ذلك لا يكون كافيًا أبدًا للمجتمع والجماعات المختلفة أن يبرر ما يفعله بمتعته الخاصة، بل يضع على هذه المتعة ألف ستار وستار، كالتنوير، والتثوير، والتأثير، والتعبير، والحوار.

طلقات طائشة متعددة يطلقها الكاتب ليشتت الانتباه عن لذته ومتعته الخاصة، بل يتصنع بعضهم الإيثار ويهمس بأن الغرض

t.me/qurssan

من الكتابة والأدب هو متعة القارئ، أما متعة الكاتب الخاصة فلا يجوز كشفها، وليس له حق التصريح بها أو مطالبة المجتمع باحترام حقه في تلك المتعة والفرح المختلس، فيأخذ في تعداد أفضال الأدب على التاريخ والحضارة والإنسانية، مثل مَن يبرر ممارسته الجنس كإسهام في دعم بقاء الجنس البشري.

منذ التحفظ عليّ، ثم نقلي في عربة المساجين من المحكمة للقسم، ومن قسم الشرطة إلى السجن، التقيتُ طوال الرحلة بمساجين من مختلف الجرائم الجنائية والسياسية، ومخبرين وعاملين في أجهزة الشرطة من رتبة أمين الشرطة وحتى لواء مساعد لوزير الداخلية. جميعهم كان لديهم فضول لمعرفة موضوع «القصة»، ولماذا، وكيف يُحكم عليَّ بسنتين سجن؟

بشكل آلي كنتُ أردد الخطوط العامة للقصة قائلًا إنها حول زلزال يضرب القاهرة في موسم رياح الخماسين فتغرق المدينة تحت التراب والرمال. العاملون في جهاز الشرطة كانوا يقاطعونني ويسألونني: «يعني غلطت في حد؟».

- لا الرواية مكنش فيها سياسة.

- لا بس زي ما أنت بتحكي كدا أكيد رميت كلام على حد.

- لا والله، هو قال لك علشان فيها كلمات.

- كلمات إيه؟

t.me/qurssan

- كلمات عادى زي اللي بتقولها لما اثنين يتخانقوا أو أنت ماشي في الشارع زي «يا خول»، «كس أمك». كدا يعني.

يمصمص رجل الأمن شفتيه، ثم ينصرف.

لواء كبير ورئيس قطاع أمني أوقف سيارة الترحيلات قبل انطلاقها من القسم، وطلب غسل السيارة من الداخل للخارج وأخذ يعاتب العساكر والأمناء على إهمالهم الصيانة وإهدارهم لموارد الوزارة، ثم توجه لي، أزاح نظاراته الشمسية من على عينيه وسألني بجدية:

- تفتكر نجيب محفوظ كان بيشرب حشيش؟

الإجابة التي كنت متأكدًا منها هي: «نعم، أكيد جربه». لكن في موقفي شعرتُ كأني أُبلغ عن نجيب محفوظ أو أُوشي به، فكرت هذه أيام مجنونة، وأنا في السجن منذ فترة طويلة لا أعلم ما يدور في العالم، وربما يلفقون قضية لنجيب محفوظ أو شبحه. تلعثمتُ، ثم اِلتزمتُ الصمت. لكن نظرات اللواء، وبدلته المزينة بالسيوف الذهبية ظلّت تشير لي أن أجيب، فقلت بعد تردد:

- مش عارف سيادتك.

ابتسم مستهزئًا من إجابتي:

- مش عارف! أُمال كاتب وصحفي إزاي؟ أقول لك أنا.. شوف

t.me/qurssan

الحشيش والمخدرات توسع الخيال، وتخليه يقدر يتخيّل ويشوف العوالم اللى بيكتب عنها، يعني عندك لما عمل شخصية سي السيد وأمينة، كل دا لازم له خيال. الحشيش يجيب الأفكار. بس كل الناس عادي بتشرب حشيش، لكن مش كل الناس تقدر تكتب أو تعمل اللي بيعمله نجيب محفوظ.

تظاهرت بالانبهار من بلاغة وعبقرية سيادته ورجحان عقله، فبعد أكثر من 300 يوم في السجن ومن العِشرة مع العاملين في وزارة الداخلية تعلمتُ الكثير عن أخلاق المداهنة والتعريص للرُتب الأكبر، فزدتُ وسألتُه إذا كان لسيادته ميول أدبية، وبالفعل كانت الإجابة كما توقعت.

هو واقف ببدلته الرسمية اللامعة ممسكًا باللاسلكى، الضباط الصغار وأمناء الشرطة حوله، المساجين ينظرون لي باندهاش ويتساءلون مَن هذا الذي يتبادل الضحكات مع سيادة اللواء. أنا ملابسي متسخة من النوم في القسم وآلام الحالب تضغط على مثانتي وكليتي. ولأكثر من 20 دقيقة أخذ يحكي عن شغفه بالكتابة وعن متعة الخيال، كان يفتح أصابع يده ويشير لأعلى كل مرة كان يقول فيها: «الخيال هو أعلى المتع الذهنية، وهذه أهم وأبقى حتى من متعة الجسد»، أهزّ رأسي، وأنا أفكر في جسده العريض المتهدل بفعل الشيخوخة، وأتخيّل أنواع المتع الجسدية الزائلة والمعنوية الباقية، وسيادته يقول:

t.me/qurssan

- أنا كان لي محاولات أدبية زمان، لكن توقفتُ بسبب ضغوط العمل. أنتظر خروجي على المعاش للعودة مرة أخرى، لدي آلاف الحكايات، وأفكار عظيمة لعشرات المسلسلات التلفزيونية.

كلاكما تمنيتما التوفيق بعضكما لبعض في مسيرتيكما الإبداعية. أنت ركبت سيارة الترحيلات، وسيادته انطلق لتفقد القطاع الأمني الذي يتولى مسؤوليته.

اليوم الرابع والسبعون، الأربعاء 4 مايو 2016

لا علاقة بين القضاء والعدالة سواء هنا في مصر أو في أي تجمع بشري. يستعير القضاء مجاز العدالة مثلما يستعير الوطن مجاز الأمومة.

تنهض المقاومة على ثلاثة أعمدة: الخيال، والإيمان، والثقة في النجاة.

اليوم السابع والسبعون، السبت 7 مايو 2016

أيقظونا وحالة اضطراب ورعب شديد تسود في العنبر. تفتيش المصلحة. نادوا على أسمائنا وكلما نادوا على واحد يخرج من باب العنبر. «ع» زميلنا الذي فقد عينه في ثورة يناير المباركة أوقفه الضابط أثناء خروجه وسأله «إيه اللي أنت مخبيه في عينك؟» فجاوبه «لا ياباشا معنديش/ مفيش عين».

t.me/qurssan

أوقفونا في الممر، أمرنا بالجلوس مقرفصين، دون أن تلمس ركبنا الأرض. أحد الزملاء أراح مؤخرته على البلاط، فنادى عليه الضابط لطمه بالقلم على وجهه، وأمره بأن يقف ووجهه للحائط ويرفع يديه للأعلى كطالب مذنب تتم معاقبته.

بعد ساعات من التذنيب دون السماح لنا بدخول الحمام أو شرب الماء أو فرد ركبنا التي تيبست من القرفصه. أمرونا بالدخول للعنبر الذي تحول إلى مكب للنفايات. ملابسنا أخرجت من حقائبها وألقيت على الأرض، وفوقها تم تفريغ صناديق القمامة. الوسائد القطنية التي نجح البعض في تهريبها تم شقها بالسكاكين واخرجوا الحشو من داخلها ونثروه في كل مكان. آثار أحذيتهم وأعقاب سجائرهم على الفرش الذي ننام عليه. حاولت تجميع متعلقاتي المتناثرة فلاحظت مصادرتهم للأكواب الزجاجية، شفرات وماكينات الحلاقة، أوراق لعب الكوتشينة، الملابس الملونة المدنية.

t.me/qurssan

القرار والمصير ودموع الخرتيت

حتى دخولي السجن ما رأيت نفسي كاتبًا. صحفيًّا أحيانًا، عاملًا باليومية في سوق الإعلام، عاطلًا عن العمل، مستمنيًا فكريًا، حلم يقظة، كرسيًّا بثلاث أرجل، مراهق فكريًّا، كاتبًا ربما.

كنتَ في الثلاثين، ولم تقرر بعد ما تريد، ولم تجد لذلك ضرورة.

أكثر من مرة، في عقلي ومن حولي، سمعت السؤال: «ماذا لو؟». وقلت ما كنت خطوت، ما كنت فعلت، ما كتبت، ولا نشرت. في السجن، وعلى المصلب أرقًا، تخيلتها مليون مرة لو كنت يقظًا، أو لو كنت نائمًا وأتتني الرؤية أن نشر «استخدام الحياة» سيؤدي بي إلا السجن، ما كنت نشرتها. بل ولا تستحق الكتابة هذه التضحية، ربما كان الأفضل أن أستمر في النشر على الإنترنت تحت اسم مستعار وكفي بها سبيلًا.

استيقظت في منتصف الليل محصورًا. ذهبت إلى الحمام، وفي زاويته وجدت الخرتيت يبكي محاولًا إخفاء دموعه بيده وبدخان السيجارة في فمه. لم ير أحدٌ الخرتيتَ يبكي من قبل، بل عُرف عنه صلافة القلب وغلاظة المشاعر، ضُرب به المثل في الجشع والطمع، وعبارته الأثيرة: «سبت لكم الجدعنة».

t.me/qurssan

لذا فرؤيته يبكي معناها أن المصاب عظيم، بدافع الفضول قبل الشفقة اقتربت، سألته هامسًا إذا كان كل شيء على ما يرام.

صوته مخنوق من الدموع، أكد أن كل شيء بخير وتمام. فكررت سؤالي ولم البكاء؟. فقال:

- شوية مشاعري تاعبني وعايزين يخرجوا.

استغربت الإجابة ولم أفهمها، فكررت سؤالي:

- لو أنت كويس بتعيط ليه؟

سألنى ما إذا كنت قد قرأت رواية «في قلبي أنثي عبرية»، قلت:

- لا، ولن أقرأها.

كانت رواية من النوع الرومانسي الإسلامي، أحد العناوين الرائجة. قال الخرتيت إنه يقرأها الآن:

- رواية فظيعة.. فظيعة، مليانة فقرات مؤثرة.

لم أفهم ما علاقة الرواية ببكائه، لكنه أكمل مبررًا سبب وجوده في الحمام بأنه ترك الرواية على مصلبه، لأنه كلما نظر للغلاف تذكر كلمات وفقرات منها فيبكي متأثرًا.

ظل يكرر محاولاته لإجباري على قراءة الرواية، لكني لم أستطع فعلًا وإن تصفحتها سريعًا حتى أفهم سبب بكائه، لم يكن هناك

t.me/qurssan

سر في الرواية، بل السر في مكان آخر. انتبهت لأول مرة لهذه القوة الخفية، للكلمات والأدب والرواية. قوة تتشكل من نص لنص، شفافة كما قطرات الماء، لا يمكن القبض عليها باليد، لكنها قادرة حتى على الوصول إلى قلب الخرتيت وتفتيته.

كان هذا بعد ثمانية أشهر من وجودي في السجن، ولثلاث ليال ظللت أراقب الخرتيت وهو لا يتحدث إلا عن الرواية مع كل من في العنبر.

شيء ما أثقل من مجرد متعة القراءة يختبئ داخل الأدب، شيء أعلى من الوعظ والتنوير، قوة مختزنة في جملة، في كلمة، في حرف.

في الليلة الرابعة، اتخذت القرار أن أكون كاتبًا.

اليوم السادس عشر، الإثنين 7 مارس 2016

قضى أحد الزملاء ثلاث سنوات رهن التحقيقات والمحاكمة، ثلاث سنوات إلا شهرين أي 34 شهرًا. اليوم عاد من المحكمة والفرحة تغمر وجهه والجميع يهنئه أخيرًا، حكم القاضي عليه بثلاث سنوات سجن، لا يدري بعد، هل سيسمحوا له بالخروج قريبًا حيث قضى أكثر من ثلثي المدة، أم سينتظر شهرين آخرين. لا تهم الإجابة.

t.me/qurssan

كان سعيدًا مُبتهجًا كأنما حصل على البراءة. فبسبب تعديلات قانون الحبس الاحتياطي أصبح الجميع هنا يحلمون بأن يكونوا مجرمين حتى يعرفوا رأسهم من رجليهم. أحيانًا ما يخبرني أحدهم في منتصف الحديث: «**يا بختك، على الأقل عارف إن لك ميعاد خروج، ومدة هتقضيها، لكننا هنا متعلقين، كل جلسة تتجدد الحياة في الأمل ويتقتل**».

أنهيت رواية «**قط وفأر في القطار**» لفتحي غانم، سأم ستيني بامتياز. واحد من عشاق ناصر المهزومين يطارده فأر يجسد كل شرور العالم التي أوهمه ناصر بوجودها.

«**إن العلة الحقيقية التي شقي بها أبو العلاء 50 عامًا إنما هي الكبرياء. الكبرياء التي دفعته إلى محاولة ما لا يطيق وإلى الطمع في ما لا مطمع فيه، وإلى الطموح إلى ما لا مطمح إليه**».

#طه_حسين #مع_أبي_العلاء_في سجنه

اليوم السابع عشر، الثلاثاء 8 مارس 2016

مع زميل آخر وصلتني حقيبة زيارة صغيرة تحتوي على القليل من الطعام، وعلى رسالة من أخي محمد ورسالة من ياسمين. أخيرًا أشعر بحضنهم.

t.me/qurssan

نظمنا دورة شطرنج للاعبي الشطرنج في العنبر. أحدهم نجح في تهريب قطع الشطرنج ورقعة ورقية يمكن اللعب عليها.

اليوم التاسع عشر، الخميس 10 مارس 2016

حلمت أني مختبئ في بيت العائلة القديم أتصفح الانترنت، فجأة يصلني تحذير من «ش» بعدم استخدام أي حساب من حساباتي على الإنترنت حيث يفترض أني لا أزال في السجن، ولا أحد يعلم بهروبي.

أحضروا مزيدًا من المساجين إلى العنبر. الجو حار وخانق ولزوجة الصيف ورطوبته تجعل بيضان الواحد في أنفه. المساجين الجدد يفترشون أرضية الممر، وينامون متكدسين بعضهم فوق بعض في المطبخ والحمامات ووقوفًا مستندين للحائط. أجلس طوال اليوم في مصلبي ولا أنزل من عليه. أقرأ في ثلاثية الأمالي لخيري شلبي، وأضحك من وصفه للسجن المرح حيث يدخنون الحشيش على الجوزة، بينما أتنفس هنا دخان خشب سجائر الكليوباترا، وأشتاق لرائحة الأكسجين الخالي من الفسا والضراط والبلغم والطعام الحامض.

t.me/qurssan

t.me/qurssan

النبطشية

ما إن صعدت لمصلبي العلوي أول مرة، حتى تقدم زميل صوي. عرف نفسه بمساعد النبطشي، وأشار لآخر أبيض الشعر، وصفه بالباشمهندس نبطشي العنبر.

النبطشية الأسبوعية ثلاث علب سجائر تُدفع له أو للسيد النبطشي، وهى لتنظيف العنبر يوميًّا وتصليح أي عطل قد يطرأ. هناك اثنان يقومان بالطهو، الأول يمكنك أن تشتري له مكونات طعامك من كافتيريا السجن، وسيطهو لك مُقابل علبتي سجائر أسبوعيًّا. الآخر سيحدد مبلغًا ماليًّا عليك وضعه تحت تصرفه من حسابك في الكافتيريا، لكي يسحب منه احتياجات الأكل، وسيحصل أيضًا على علبتين.

في الساعة الثانية عشرة ليلًا، يُطفأ النور وكذلك يُكتم صوت التليفزيون، تظل شاشته تضيء في فضاء الغرفة بصور ملونة بلا صوت حتى الساعة الواحدة.

توجد ثلاجتان. يمكن الاحتفاظ فيهما بأي أكل مجمد يأتيك في الزيارة. لكن غير مسموح الاحتفاظ بالأرز أو المكرونة فيهما. الثلاجتان مخصصتان لأكياس اللحم أو الفراخ. تُفتح الواحدة منهما مرتين في اليوم في الساعة الواحدة ظهرًا لإخراج نصيبك

t.me/qurssan

من البروتين، فراخ أو لحم، والثانية في الخامسة للصائمين إذا أرادوا إخراج طعام ما أو شراب لكسر صيامهم.

يتم اختيار النبطشي من قِبل رئيس المباحث في السجن تؤثر في عملية الاختيار عدة عوامل بداية من الثقة -ثقة رئيس المباحث بالطبع- وحتى القدرة على قيادة جموع المساجين مبلغ النبطشية الذي يُدفع يختلف من عنبر لآخر. في أول عنبر سُجنتُ فيه كانت ثلاث علب سجائر أسبوعيًّا، لكن حينما نُقلت على عنبر أفضل يعرف بـ«بكايته 1» كانت النبطشية خمس علب سجائر، حيث مستوى النظافة يفترض أنه أفضل وكذلك مستوى التنظيم. في ذلك العنبر لم يكن يسمح للجميع بدخول أي حمام من الخمسة، بل هناك حمامات مميزة يجب أن تدفع علبة سجائر زيادة أسبوعيًّا لكي تستخدمها، ويكتب اسم نزلاء الحمام الخمس نجوم على ورقة تلصق على عارضة باب الحمام. والسبب أنه يحتوي على «كابنيه» أفرنجي وليس بلدي من أبو حفرة. كما يتم تطهير الحمام مرتين يوميًّا باستخدام الكلور المخفف.

بفضل هذا النظام الدقيق الذي طوّره المسجونون للتعايش والتكيف مع أوضاع السجون وغرائب استبداد السجانين، وبفضل الأُلفة والمبادرة بالمساعدة والتفهم اللّذين استقبلني بهما نُزلاء عنبر 2/4. تكيفتُ سريعًا مع إيقاع اليوم في السجن بعد أول أسبوع. بدت الأيام كعجلة تدور في ذات الطريق، بذات معدل

t.me/qurssan

السرعة.

أستيقظ ما بين العاشرة والحادية عشرة.

في الأيام الجيدة تصل قوة اندفاع الماء للدش، فتنزل منها هبوط الماء المنعشة، وقد أكون محظوظًا أكثر بوجود ماء ساخن. أستحم، وأغيّر ملابسي الداخلية.

أتناول قطعة جبن ورغيف خبز من شنطة بلاستيكية أُعلقها في «عصفورة» تتدلى من الحائط.

أفرغ مغلف النسكافية في كوبي البلاستيك، أستلفُ من زميل آخر برادًا كهربائيًا وأصب الماء الساخن.

أقلبُ النسكافية، وأقضم من سندوتش الجبنة حتى يُفتح الباب في الساعة الثانية عشرة والنصف ظهرًا.

ساعة واحدة مسموح فيها بالتريض، أستغلها للذهاب للمكتبة البحث عن كتب جديدة وإرجاع القديمة، أحيانًا لا أصعد للمكتبة، بل أتمشى في الممرات محاولًا تحريك جسمي قدر الإمكان، أو أتصيّد بقعة يصلها ضوء الشمس المتسلل من القضبان التي تغطي سقف السجن كله. أشمّر أكمامي، وإذا لم يكن هناك سجانون أو مخبرون أخلع قميصي العلوي وأقف نصف عارٍ تحت الشمس أتحمم بضوئها، معوضًا نقص فيتامين «دال». أحيانًا أشارك في أنشطة رياضية، في الحقيقة لم يكن هناك إلا

t.me/qurssan

نشاط واحد وهو لعب تنس الطاولة. نلعبها دائمًا بفرق زوجيه، وذلك لأنها طاولة واحدة والوقت المخصص للتريض يستحيل أن يكفي الجميع، بينما يضمن اللعب الزوجي لعب الجميع.

بعد التريض تأتي فقرة قراءة الجرائد، تسمح لنا إدارة السجن بالاشتراك في عدد محدود من الجرائد. ووافقوا لي على الاشتراك في «الأخبار» وجريدة «المصري اليوم» فقط. تُفحص الجرائد أولًا من قِبل ضُباط السجن لذا تصلنا متأخرًا في الغالب بعد ساعة التريض.

في الفاصل بين صفحتين في الجريدة أبدأ فقرة البحث عن كنكة القهوة، حتى تمكنت ياسمين من إرسال شنطة لي مع زوجة مسجون آخر تحتوي طعامًا وجبنًا وملابس داخلية، بل و«كنكة» قهوة وبن. مرّت هذه الأشياء لي من تحت نظر السجانين باعتبارها أشياء المسجون الزميل، وحينما أخرجتُ الملابس وجدتُ ورقة ملتصقة بـ«التي-شيرت» حملت كلمة واحدة: «بحبك».

أعدّ القهوة، وأجلس على مصلبي أعيد قراءة رسالة ياسمين ورسائل الأصدقاء التي نجحتُ في الحصول عليها حتى وصول الجرائد. أقلب الجريدة في ملل، حتى أصل لأكثر صفحة مثيرة وهي الصفحة التي تحتوي على الكلمات المتقاطعة والسودوكو. دخلتُ السجن وأنا فاشل في هذه الألعاب، بل ولم أعرف كيف يمكن حل السودوكو، وكيف تنتظم مصفوفات أرقامها. وخرجتُ

t.me/qurssan

منه وأنا حاصل على بطولة السودوكو في العنبر، وأعاني من إدمان شديد تجاه الكلمات المتقاطعة.

موعد الغداء في الخامسة أو السادسة. آكل الطعام، ثم أنقلبُ على مصلبي أحيانًا أنام، وأحيانًا لا أنام مثل بطلة رواية عمو إحسان عبد القدوس.

أستيقظُ في السابعة، أنزلُ من مصلبي، وأبدأُ في المشي جيئة وذهابًا في العنبر أدخن السجائر، أحاول الاندماج في أي هراء، وتبادل الحكايات الشخصية كنوع من التفاعل الاجتماعي حتى يمرّ الوقت. يأتي موعد المسلسل العربي. أحيانًا أملُّ فأصعد مرة أخرى إلى مصلبي حيث أبدأ فقرة القراءة مُحاولًا الاندماج حتى أغرق في عزلة القراءة الأرجوانية الفستقية.

حينما يطفأ النور في الثانية عشرة، أضيء «لمبتي» التي اشتريتها بعد أول أسبوعين.

قدر الإمكان، حافظت على هذا النظام بغض النظر عن نتائجه. في مرحلة لاحقة أضفت له وقتًا محددًا للكتابة ولا يهم الناتج وإن حاولت أن ينصب الجهد على الرواية التي كنت أعمل عليها.

حرصت ألا أشفق على ذاتي أو ألعن مصيري ولو في سري. أيقنت منذ زمن أن حياة المرء ليست إلا نتاج تكيفه مع الإجبار والضرورة، وبهذا اليقين يمكن أن تخرج من كل لحظة بأفضل

t.me/qurssan

نتيجة، وذلك ينطبق في السجن كما ينطبق خارجه.

اليوم الحادي والأربعون، الجمعة أول أبريل 2016

معنا في العنبر متهمان في ذات القضية. تصاعدت الخلافات بينهما بالأمس، همس ولمز، تطورا لسب الدين وعراك. تدخل الزملاء لفض الاشتباك. هدأت الأجواء، لكن بعد ذلك أخذ الزملاء يرجون النبطشي عدم الإبلاغ عن العراك. إذا وصل الأمر إلى الإدارة فسيتم عقاب أحدهما أو الاثنين. النبطشي رفض كل الالتماسات التي قدمت له، وبرر ذلك بأن الأمر سوف يصل إلى الإدارة من خلال أحد العصافير هنا، وواجبه يحتم عليه الإبلاغ عن الأمر.

اليوم تم استدعاء الاثنين إلى الإدارة. وصدر الحكم على من تطاول أولًا باليد أن يغادر العنبر وينزل إلى الأسفل حيث عنبر الجنائي. كنت أستعير منه جريدة الجمهورية التي تأتيه كل يوم، ويوم السبت يأتي معها ملحق «دموع الندم».

t.me/qurssan

العصفورة والعصافير

مستجد، ما إن بدأ مساعد النبطشي في إخباري بمدونة النظام ،مواعيد الدفع ومقداره، حتى أخرجت دفتري وبدأت التسجيل خلفه. ذات الدفتر كنت أسجل فيه ملاحظاتي بلغة مشفرة حتى إذا وقع في يد أحدهم لا يفهمه، كما كنت أسجل كل الكلمات ،المصطلحات الجديدة التي أتعرف عليها، ومن أوائل هذه الكلمات «العصفورة».

المساحة الضيقة والازدحام لا يتركان مكانًا للشنط والحقائب التي تتراكم، وليس من السهل دائمًا العثور على مسامير لدقها في الحائط لتعليقها، فالمسامير أصلًا ممنوعة داخل السجن حتى لا تستخدم كأداة للشجار أو القتل، لذا فالبديل هو صناعة العصفورة؛ يربط حبلًا أو تحول قطعة قماش لحبل عن طريق جدلها، ثم يربط طرف هذه الحبل في قضبان النافذة ويُربط الطرف الآخر حول ماكينة حلاقة مكسورة الرأس، لتتحوَّل ذراع الماكينة لمشجب لتعليق الحقائب. هناك -أيضًا- تقنيات بقاء إضافية تتعلمها بمرور الوقت، فنظرًا لارتفاع درجة الحرارة وانعدام التهوية الفعالة في عنابر السجن يفسد الطعام المحفوظ في الأكياس المعلقة على العصافير سريعًا، لذلك فالفاكهة على سبيل المثال يجب التأكد من جفاف سطحها الخارجي وإلا

t.me/qurssan

أصابها العفن خلال ساعات، ويفضل تغليف كل ثمرة أو حبة طماطم بورق الجرائد، أما الحقيبة البلاستيكية التي تحتوي الفاكهة أو الخضار فيتم استخدام القلم لثقبها في أماكن متفرقة لصنع فتحات تهوية تساعد على تجدد الهواء، مما يساعد على إطالة مدة بقاء الفاكهة والخضار، حيث لا يُسمح بوضعها في الثلاجة المخصصة حصريًّا للأغذية البروتينية.

العصافير من جهة ليس جمع التكسير للعصفورة فقط، بل هم -أيضًا- الزملاء الذين يقومون بنقل كل حديث وكل همسة إلى الإدارة والمخبرين.

في سجون وعنابر أخرى حيث عدد الجنائيين أكبر من عدد متهمي ومجرمي الأموال العامة، من الصعب إيجاد العصافير. بل في ذات السجن، في العنبر المجاور لنا والذي كان يحتوي على سجناء جنائيين، مخدرات وجرائم قتل، كانوا يخالفون كل القواعد بأن يظل الضوء والتلفاز مفتوحًا طوال الليل ويفعلون ما يحلو لهم. هُرِّبت لهذا العنبر التليفونات المحمولة والمخدرات بأنواعها المختلفة، مرت فترة من الزمن اعتاد مخبرو المباحث أن يدخلوا العنبر ويفتشوا كل ما فيه، أن يقلبوا كل حجر، ثم يخرجون دون أن يجدوا ما كانوا يبحثون عنه، والسبب هو ميثاق الشرف بين الجنائيين، فالعصفورة هناك غير مرحب بها وبفضل هذه التعاضد كان يتم الكشف عن أي عصفورة، ثم تطبق عليه

t.me/qurssan

عدالة الزنزانة في اللحظة المناسبة.

حينما تنقطع الكهرباء لدقائق ويسود الظلام كانت الأصوات تعلو متكررة من ذلك العنبر: «غطي وشك». ثم فجأة ترتفع الصرخة؛ أصابت الشنبرة وجه العصفورة وعلمت عليه بجرح طولي عقابًا على خيانته. أحيانًا يكونون أكثر رحمة ولا يتم جرح وجه العصفورة، بل يتم الهجوم عليها أثناء استحمامها وشنبرتها في طيزها، لتحمل إلى الأبد توقيع الخيانة.

أما في عنبري حيث البكايتة والسادة رجال الأعمال ووكلاء الوزارات، فولاءهم كما يليق بمساجين من الطبقة الوسطى دائمًا وأبدًا للسلطة، بل يتسابقون على اللحس وتقديم فروض الولاء والطاعة لها. يغدقون على المخبرين بالسجائر الأجنبية والوشايات عن كل ما يدور داخل العنبر، كل هذا مقابل أن يتوسط المخبرون لهم لدى الضابط لكي يحصلوا على خمس دقائق في الزيارة زيادة عما هو مسموح لباقي زملائهم، أو يسمح لهم بإدخال مروحة أو براد شاي كهربائي أو حتى «كنكة» للقهوة، حيث إنها من ضمن الممنوعات تحت دعوى كونها آلة حادة قد تُستخدم للضرب أو القتل.

اليوم الرابع والثلاثون، الجمعة 25 مارس 2016

على الأقل هنا يمكنني دخول الحمام متى أردت. حينما كنت في

t.me/qurssan

قسم الشرطة، كان يجب أن أترجى أمين الشرطة وأنتظر الوقت المناسب لكي أطلب منه فتح الزنزانة.

وجدت في مكتبة السجن ترجمة عربية لكتاب روبير سوليه «مصر ولع فرنسي». يروي عن زيارة هوراس فيرنيه Horace Vernet وفريدريك جوبيل فيسكيه Frederic Goupil Fesquet إلى مصر عام 1839 ومعهم الآلة العجيبة التي ستعرف بعد ذلك باسم الكاميرا الفوتوغرافية. كان الغرض من الزيارة التقاط الصور للشرق والآثار المصرية القديمة، لكن لكي يحصلوا على تصريح بالتجول وجب عليهم مقابلة محمد علي، حيث عرضوا عليه التقاط صور له، لكنه رفض الفكرة خوفًا من أن تخطف الكاميرا روحه. فاستقر الأمر على أن يذهب الاثنان إلى قصر الباشا ويلتقطوا صورة لمنظر طبيعي، في حين يجلس الباشا يراقب أفعالهم السحرية. كانت عملية التقاط الصورة وقتها تستغرق وقتًا قد يصل إلى نصف ساعة، لضمان تعرض شريط الخام للضوء، ثم تظهيره.

جلس محمد علي ويده على مقبض سيفه يراقب متحفزًا، وحينما ظهرت الصورة النهائية نظر إليها وقال: «هذا من عمل الشيطان»، وتركهم وانصرف إلى غرفته.

t.me/qurssan

تبطشي عموم السجن

استيقظت ذات مرة على رائحة لا تطاق. بعد شهرين تكيف أنفي مع روائح الزملاء، بل في أحيان تسليت بتخمين من أطلق الضراط من رائحة الضرطة، لكن هذه المرة لم تكن الرائحة شرية، بل سيل من العفونة يهب من ناحية المطبخ والحمامات.

ينتهي كل عنبر بمساحة على اليسار حيث تصطف الحمامات، وعلى اليمين المطبخ وهو عبارة عن مصطبة حجرية بارتفاع متر محفور داخلها تجويف تسير فيها ثلاثة أو أربعة أسلاك حرارية متصلة بمقبس رئيس، وحينما نوصل السلكين تُسخن الكهرباء الأسلاك الحرارية فنضع فوقها شبكة معدنية وفوق تلك الشبكة يتم صف أواني الطهو. بجوار هذا البوتجاز الحراري توجد أحواض غسيل الوجه، أسفل منها تتكوم الأواني المعدنية والأطباق البلاستيكية التي نأكل فيها وترعى عليها الصراصير والحشرات. تغلق الحمامات بستائر بلاستيكة حيث ممنوع أن يكون للحمام باب. في الأعلى تمتد حبال الغسيل من اليمين إلى اليسار، عليها تصطف الكلوتات والقمصان البيضاء والزرقاء المغسولة لتجف على حرارة زيت الطعام الرديء وبخار الخراء المتصاعد من فتحات الكابينيه.

t.me/qurssan

لكن الرائحة التي أيقظتنى كانت شيئًا مخالفًا لكل الروائح القذرة والعطنة التي تعرفت عليها في حيز الحمام والمطبخ. رفعت رأسي من على الوسادة وأنا أشهق. كثافة الرائحة في الجو جعلتني أحبس أنفاسي، مع كل نفس أتنفسه كنت أشعر بالرائحة السمية تدخل جوفي، فتنقلب معدتي وتتلوى أمعائي حتى لأشعر أني على وشك أن أتقيأ خرائي. مددت يدي لزجاجة المياه ورفعتها لأشرب لكن حتى مذاق الماء حمل ذات العفانة. نظرت حولي، كان نصف العنبر لا يزال نائمًا والمستيقظون يضعون قطع قماش على أنوفهم. ناديت النبطشى:

- يا باشمهندس، هو إيه الريحة دي؟!

جاوبني دون أن يغادر مصلبه السفلي المغطى بستارة:

- مش عارف والله، حد عاين معاه أكل في مصلبه والأكل عفن.

لم أتحمل، نزلت من على مصلبي وتوجهت صوب المطبخ. كنت الآن في قلب الإعصار، قبل هذه اللحظة لم أعرف أبدًا أن الروائح العفنة يمكن أن يصل تأثيرها على الجسم لدرجة أن الدموع نزلت من عيني دون إرادتي. كنت مُجبرًا على استخدام حاسة الشم لتبين مصدر العطن. وفي ثوانٍ عرفت أن مصدر الرائحة هو السلة الزرقاء المخصصة للزبالة، وهي واحدة من ضمن ثلاث سلال مخصصة للنفايات.

t.me/qurssan

تطلب الأمرَ تدخل زملاء آخرين، لنكتشف أن هناك ما هو أقرب لنصف حلة من الكوسة المطبوخة بصلصة الطماطم في قاع السلة، وزاد من الأمر عفونة أن الزبالة كلها كانت ملقاة في السلة بلا كيس بلاستيك يحتويها. في انتظار الساعة العاشرة حينما يتم جمع النفايات من كل العنابر.

حدثت هذه العفونة لأن رصيد العنبر من أكياس الزبالة السوداء قد نفذ، والنبطشي كانِ في انتظار زيارته الأسبوعية حيث طلب من عائلته شراء كيلو أكياس زبالة سوداء من كارفور المعادي لأنها هناك أرخص، ورفض شراء حزمة أكياس زبالة من كافتيريا السجن لأن سعرها سيكون أعلى. برر النبطشي موقفه بأنه حفاظًا على مال العنبر، الطريف أن النبطشي كان موظفًا حكوميًا كبيرًا متهمًا بتلقي الرشوة وإهدار المال العام.

تقع على النبطشي مسؤولية إدارة العنبر أو غرفة الحجز في القسم، فهو ينظم الأماكن ويحدد مسَاحة كل شخص، يحرص على تطبيق قواعد السجن داخل العنبر، وهو الحكم والفيصل في أي خلاف ينشأ بين المساجين.

إلى جانب مُسَاعد النبطشى يعاون النبطشي مجموعة مختارة من المساجين، يتولون مسؤولية التنظيف الدوري القائم على مسح أرضية العنبر بالكلور والمنظفات مرتين يوميًا على الأقل، مقابل عدد من علب السجائر يمنحها لهم النبطشي مما يجمعه

t.me/qurssan

من بقية المساجين.

إما أن تدفع أو تعمل على خدمة الآخرين مقابل السجائر. هذه هي القاعدة الطبقية داخل السجن، ويحرص كل نبطشي على التوازن في العنبر بين المساجين الذين يمكنهم الدفع والمساجين القائمين على الخدمة. يقوم المسجونون العاملون بالحصول على السجائر وبيعها في الكافتيريا ليصبح لديهم رصيد يمكنهم من شراء الطعام بدل الاعتماد على جراية السجن والطعم الرسمي الرديء الذي لم نكن نتناول منه إلا اللحم حينما يتم توزيعه يومي الإثنين والخميس فقط، لكل مسجون قطعتا لحم. بعض الزملاء تكون حالتهم أسوأ من ذلك، يطلبون العمل في المصنع الملحق بالسجن أو يحصلون على مهمات أكثر للخدمة في العنبر كالغسيل أو تنظيف المصلب ليحصلوا على المزيد من علب السجائر، وعندما يأتي موعد زيارتهم يقومون بإعطاء عائلاتهم علب السجائر التي جمعوها لتقوم العائلة ببيعها في الخارج وتحويلها لمال لكي يظل السجين قادرًا على الإنفاق على أسرته.

في كل سجن هناك كافتيريا، يشرف على الكافتيريا أحد المساجين، غالبًا ما يكون أقدم من في السجن. نبطشي الكافتيريا هو السلطة الثالثة الأهم بعد المأمور وضابط المباحث، فالقانون يسمح لكل كافتيريا بتحقيق هامش ربح يصل إلى 25% هذا الهامش يتم توزيعه على القائمين على السجن، وهكذا فنبطشي

t.me/qurssan

السجن يتحكم -أيضًا- في مقدار المال الإضافي الذي يجنيه السجانون، بل وفي سعر بيع السجائر داخل السجن. بالتالي بتحكم في سعر العملة المحلية داخل السجن، يمكن اعتبار نبطشي الكافتيريا هو مسؤول البنك المركزي للسجن. بسبب هذا الوضع يمتلك نبطشي السجن صلاحيات واسعة، وعلى حسب علاقته مع المأمور والقائمين على السجن باستطاعته تحويل السجن -إن سمحوا له- إلى فندق فاخر، أو إلى جحيم يتعذب فيه المساجين والسجانون.

وصل السجن ضابط جديد ناعم الأطراف ذو كرش صغير حبوب، وعلى ما يبدو كان محبًّا للوجبات السريعة. حينها تمكن نبطشي الكافتيريا من التعاقد مع مورد الطعام لجلب أكياس من الخبز «الكيزر»، واشترى جريل ومقلاة بطاطس كهربائية من تلك المستخدمة في مطاعم الوجبات السريعة، وأصبح يبيع للمساجين سندوتشات الهوت دوج والهمبرجر. طبعًا الضابط سعيد لأنه يأكل مجانًا، لكن للأسف لم يستمر الوضع طويلًا إذ سرعان ما تدخل ضابط المباحث وقضى على تلك الملذات.

إمكانيات نبطشي السجن لا تتوقف على جلب المواد الغذائية، بل كل قطع الغيار والأدوات اللازمة لتصليح أي عطل في أي عنبر. تمكنا مثلًا من شراء سخان مياه كهربائي ليصبح بإمكاننا الاستحمام بالماء الساخن، وعندما احترق الموتور المسؤول

t.me/qurssan

عن رفع المياه تمكنا عبر نبطشي عموم السجن من شراء قطع الغيار اللازمة. طبعًا إذا كنت محل ثقة نبطشي السجن، فيمكنك الحصول على أشياء أخرى مسموح أو غير مسموح بها.

t.me/qurssan

بطانية

أشعلت سيجارة واتكأت على السور الحديد للممر الذي يطل على ساحة الدور الأرضي حيث العنابر الأخرى. كنا في ساعة التريض، الجو حار والرطوبة خانقة. لاحظت حركة غير عادية، في الأسفل لم يفتح باب أي عنبر ولم يخرج أي مسجون للتريض.

جلال غريب يغلف السجن ينبع من الأسفل كشجرة تتغلغل فروعها داخل كل العنابر، فيحل الصمت وتخرس الهمهمات.

من أحد العنابر في الأسفل خرج المخبر يتبعه أربعة مساجين، كل واحد يمسك طرف بطانية رمادية ميري متسخة. داخل البطانية استقر جسد سجين نصفه العلوي عارٍ، جسده شاحب ورمادي وقد استقرت صفحة جريدة على وجهه. من الأعلى راقبت الموكب الجنائزي في طريقه للخروج للعالم بجثة جديدة.

لم تكن المرة الأولى التي أشاهد فيه جثة لميت، لكنها المرة الأولى التي أرى فيها لامبالاة الآخرين تجاه الموت، وجثة تعامل بهذا الاحتقار. لا صراخ أو بكاء، لم أسمع من ينطق الشهادتين. السجان قرفان ويسب الدين لأن ما حدث يتطلب الكثير من العمل الورقي الذي يكرهه.

t.me/qurssan

طوال مدة السجن، كثيرًا ما سمعتَ التهديد من السجانين والضباط: «ثمنك هنا لا يساوي أكثر من عشرين جنيه»، ثمن البطانية الميري التي سيقومون بلفك بها وتسليم جثتك لأهلك.

اليوم السبعون، السبت 30 أبريل 2016

حلمت أني دخلت بارًا ومطعمًا، وكنت الزبون الوحيد. الساقي خلف البار أحضر جسد عصفور صغير متبل في البهارات، ووضعه على شواية فحم، وحينما استوى لحم العصفور، أحضر كأس مرتيني وأمسك العصفور وأخذ يعصره بقبضة يده، فتساقط الدهن سائلًا. زاد من عصره فتحول لحم العصفور إلى سائل كثيف ينز قطرة تتبعها قطرة في الكأس حتى امتلأت الكأس. ثم وضع جسد العصفور المهروس وقد صار عجينة من لحم وعظم على الطاولة. بسكين كبير أخذ في تقطيعه لقطع صغيرة، ووضعه في الكأس وطلب مني شربه.

t.me/qurssan

مُسير

في ثاني يوم لي في السجن كنت نائمًا في الظهيرة حينما أيقظتني يد أحدهم. وجدت سجينًا يرتدي الزي الأبيض، شعره مصفف أنيق، يبتسم ابتسامة تلفزيونية، وهو ليس من نزلاء عنبرنا. وضع كيسًا بلاستيكيًا أسود على المصلب وقال لي هامسًا: «الحاجات دي من علاء، ولو احتجت حاجة قول لي أو اطلب من الكافتيريا على حساب علاء». وجدت في الكيس «تي-شيرت أبيض، عشرة علب سجائر، ومنشفة». هدية ترحيب من علاء سيف في العنبر المقابل، أما حامل الهدية فأحد المسيرين في السجن.

مثل المأمور ومدير المباحث والنبطشي فـ«المُسَير» هو أحَد عناصر الإدارة الأساسية في السجن. هو في الغالب مسجون يحمل شهادة جامعية، لبق، حسن المظهر. المسير هو حلقة الوصل بين إدارة السجن والمساجين.

يستيقظ المسير في السابعة صباحًا قبل مجيء الموظفين، يستحم ويرتدي ملابس بلون ملابس السجن وحذاء رياضيًّا ليسهل الحركة طوال النهار في جميع أرجاء السجن. عند الساعة الثامنة يفتح السجانِ باب العنبر لينزل المسير لغرفته الإدارية أو

t.me/qurssan

بالأحرى مكتبه.

مكتب المسير في سجننا مساحة تحتوي على مكتب خشبي من طراز لويس الفرنسي لكنه متهالك بعض الشيء، إلى جانب ثلاثة كراسي مكسوة بالجلد، ووحدات أدراج، ووحدة أرفف كتلك المعتاد وجودها في الفنادق القديمة خلف مكتب الاستقبال. ربما ذلك لأن وظيفة المسير الأساسية أشبه بموظف الاستقبال في الفنادق، لكن أدراج وأرفف المسير لا تحتوي على مفاتيح الغرف أو العنابر بل تحتوي على بطاقات المساجين.

لكل مسجون يدخل السجن بطاقة/ تذكرة مكتوب فيها اسمه، وتهمته، ومدة عقوبته، ويوم الإفراج عنه، ومواعيد زيارته. في غرفة المُسير تصطف كل مجموعة من البطاقات في صندوق. فهذا صندوق عنبر 1/4 يحتوي على بطاقات كل المساجين في هذا العنبر، والبطاقة وموضعها في الدرج تحدد مكانك في السجن. إذا نقل مُسير بطاقة مسجون من صندوق 1/4 إلى صندوق 2/3 وحصل على موافقة رئيس المباحث، فالمسجون فورًا يجب نقله إلى العنبر/ الصندوق الجديد.

عند موعد الزيارة يتم إبلاغ المُسير بأسماء المساجين الذين لديهم زيارة، ولأنه يعرف مكان كل مسجون يقوم المسير بالنداء على المساجين في موعد الزيارة ليرتدوا ملابسهم ويستعدوا للخروج. إلى جانب دوره الإداري فالمسير عين مزدوجة على

t.me/qurssan

العالمين؛ عالم المساجين وعالم السجانين. يتحرك بحرية بين العالمين ويحصل على ثقة الطرفين. يدخل زنزانة العنبر في الساعة الخامسة أو بعدها بقليل مع انصراف الموظفين والإداريين من السجن. إذا كان لديك شكوى كمسجون يمكنك التوجه بها إلى المسير، وإن لم يعرف كيف يساعدك سينصحك إلى أين تتجه.

t.me/qurssan

t.me/qurssan

ثغرة في الجدار

بعد ثلاثة أشهر من سجني، أصبحت محيطًا بشبكات العلاقات داخل السجن ومنطق الإدارة وسلطانها. حافظت على حضور خافت، لم أغادر مصلبي كثيرًا أو أتحدث بجدية مع أي شخص. كنت نموذجًا للمسجون المحترم كما يعلق المخبرون. التزمت بتعليمات رئيس المباحث، رفضت كل عروض الكتابة والنشر أو تهريب أي شيء أكتبه لنشره في الخارج لأن ذلك قد يسبب حرجًا لرئيس المباحث وبالتالي سيثير حنقه ويوتر العلاقة التي تطلب تأسيسها وقتًا طويلًا. لم أدخل في أي صراع معهم وفضلت أسلوب المداهنة والصبر والرشوة؛ لأني دائمًا خفت أن يكون أول رد فعل لهم هو منع ياسمين من الزيارة، لم تكن لياسمين صفة رسمية لتزورني، ومع ذلك كانوا يسمحون بدخولها.

لم يكن لديَّ أي استعداد للرهان بخسران رؤية ياسمين، لكن أردت أن يسمحوا بدخول الكتب. المشكلة في مسألة الكتب أنه نظرًا لأني -وعلاء مثلي- أحمل تصنيف «عنصر أمني» فلا يمكن أن يسمح هو -كضابط مباحث- بدخول أى كتب لنا إلا بعد العرض على ضابط الأمن الوطني، والذي بدوره لا يأتي السجن إلا مرة كل شهر، وربما لا يأتي ويكتفي بزيارة سجن المزرعة

t.me/qurssan

المجاور.

أنهيت كل الكتب التي يمكن قراءتها في مكتبةِ السجن، والكتب والروايات المتاحة في العنبر التي يُدخلها سجناء آخرون. حاولت قراءة روايات البيست سيللر التي يقرأها الزملاء لكني لم أستطع معها صبرًا. لذا أمضيت الوقت أعيد قراءة الجبرتي، أو سيرة أبو زيد الهلالي، وسيرة علي الزيبق بل وصل الأمر أني قرأت كتاب «دلائل الإعجاز» لعبد القاهر الجرجاني كاملًا. بل وأوشكت على تفريغ نفسي لقراءة البداية والنهاية لابن كثير.

سمحوا لي مرة واحدة فقط خلال هذه الفترة بإدخال كتابين، بينما بقيت كل الكتب في مكتب رئيس المباحث. في كل زيارة يحمل محمد أخي وياسمين معهم كتبًا جديدة طلبتها أو أرسلها الأصدقاء. تتراكم الكتب في المكتب وأحصل على وعود من المخبرين بحصولي عليها قريبًا لكن لا شيء يصل.

حتى من لم يعتادوا قراءة الروايات والكتب كانوا بدافع السأم والملل يتحولون لقراء جدد، في كل عنبر ما يشبه نادي كتاب مصغر مُشكل من هؤلاء الذين يحبون القراءة وتصلهم كتب من الخارج. في سجننا كان من حظي أن المُسير قارئ نهم، وكلما التقيته أخذت أخبره عن الكتب التي تأتي ولا يُسمح بإدخالها وموجودة لدى رئيس المباحث. كنت أعرف مدى جنونه بروايات هاروكي موراكامي فطلبت إحضار نسخة من رواية «كافكا على

t.me/qurssan

الشاطئ» بالطبع لم يسمح الضابط بإدخال الرواية.

أخبرته:

- يا معلم انسى كل اللي أنت قريته لموراكامي قبل كدا، كل روايات الراجل دا كوم والرواية دي كوم.

لمعت عيناه مثل مدمن حقيقي:

- هي فين.

- هتكون فين يعني عند محما بيه، ما تشوف لنا حل في الموضوع دا بقى.

بعدها بيومين أتى المسير أمام باب عنبرنا الساعة السادسة، نادى عليَّ ومن ثغرة في الشبك الذي يغطي قضبان الباب أدخل لي أربعة كتب دُفعة واحدة؛ «لا تتكلم لغتي» لعبد الفتاح كيليطو، وروايات «ضباب» لميغيل دى أونامونو، و«اسأل الغبار» لجون فانتي، و«اختراع العزلة» لبول أوستر.

وصلت مع الإدارة ومن خلال المُسير إلى اتفاق غير معلن. في كل زيارة تدخل الكتب إلى غرفة رئيس المباحث طبقًا للقواعد، لكن بعد الساعة الخامسة وحينما ينصرف الموظفون ولا يبقى إلا السجانون ومخبرو المباحث والضابط النبطشي. يسحب المسير بموافقة رئيس المباحث ثلاثة أو أربعة كتب نقوم بقراءتها ثم

t.me/qurssan

إعادتها مرة أخرى إلى مكانها، ويسحب كتبًا أخرى بديلة. بالتالي إذا حصل أي تفتيش مفاجئ أو أتى ضابط الأمن الوطني يجد الكتب كما هي في انتظار العرض عليه، أما الجزء الأخير من الخطة فكل شهر وشهرين تخرج شنطة ممتلئة بالكتب التي تمت قراءتها، توضع بجوار حقيبة ملابسي وغياراتي الداخلية التي أخرجها في الزيارة، لتأخذ العائلة الكتب معهم ولا تتكدس في مكتب رئيس المباحث.

هذه الثغرة اللامرئية أثمن ما حققته طوال مدة إقامتك في السجن، وأهم ما عملت على الحفاظ عليه، ثقبك الخاص على العالم، فقط لتتأكد من استمرار وجوده فتنام على انتظار الأمل.

اليوم السادس والعشرون، الخميس 17 مارس 2016

في الليل، بعد إطفاء الأنوار. تتجمع مجموعة من الصلع في مصلب أحد الزملاء. من أسفل مصلبه يخرج صبارة نزعها من حديقة السجن. بالشنبرة يقسم ورقة الصبار إلى قطع ويوزع على كل جالس قطعة. في صمت على صوت أم كلثوم من إذاعة الأغاني يمسك كل واحد فيهم بقطعة الصبار ويدعكها في صلعته، برفق ثم بعنف حتى تحمر الصلعة. آخرون يمسكون في اليد اليمنى قطعة صبار وفي الأخري فص ثوم، ويتبادلون دعك أماكن الصلع بالصبار والثوم معًا.

t.me/qurssan

سخر المشعرون منهم، فرد الصلع بسخرية أعنف وعلى الإفيه الواحد بعشرة، ثم صمتوا مُتجاهلين أي استظراف على صلواتهم من أجل إنبات شعرهم، ثم لم يعد أحد يعلق على ما يفعلون، بل صاروا جزءًا من الروتين اليومي للعنبر.

جماعة دينية سرية. تنتظر المساء حتى يجتمعوا ويمارسوا طقسًا شعائريًّا من أجل السلام النفسي، صلاة خاشعة في انتظار الشعرة التي ستنبت وسط صحراء السجن.

اليوم السابع والعشرون، الجمعة 18 مارس 2016

بعد صلاة العشاء يجمعون العظام وبقايا الطعام، ويضعونها بجوار باب العنبر. تتجمع قطط السجن علىٰ الجانب الآخر من الباب ويرتفع المواء في انتظار مرور الحارس ليفتح الباب فنقدم الطعام للقطط.

أحيانًا لا يظهر أو يمر الحارس، فيتعاون سجين أو اثنان على نسريب العظام وبقايا الطعام من أسفل الباب للقطط، تمد بعض القطط الصغيرة يدها أسفل الباب. تتلامس يد السجين مع مخلب القطة، والطعام بين الاثنين.

t.me/qurssan

t.me/qurssan

رقابة

لكن ظلت لضابط المباحث سلطة تحديد ما هي الكتب التي تدخل والكتب التي لا تدخل. فأي جريدة أو مجلة يذكر فيها اسمي أو تفاصيل عن القضية يتم منعها، كذلك أي كتاب عليه اسمي.

تشبثت في سجني بطموح أن تصدر مجموعتي القصصية «لغز المهرجان المشطور»، لكي أوهم نفسي بأني حر وبأن الأفكار لها أجنحة ولها طيز ممكن تشخ منها وهي طائرة، لكن رفض ضابط المباحث إدخال مسودات مجموعتي القصصية. انتهى الأمر بأن طلبت من أحمد وائل ونائل الطوخي تولي مسؤولية مراجعة المسودات النهائية، على أن يعودا إليَّ في حالة وجود أي نقاط خلافية، ولذلك كانت ياسمين تسألني -كل زيارة- عن كلمة في قصة ما، أو تخبرني أن وائل يرى خطأً في جملة ما ويقترح كذا وكذا، فأرد عليها بالموافقة أو مناقشة اقتراحه.

اعترض ضابط المباحث على رواية «الناجي الأخير» لتشاك بولانيك بحجة أن الرواية لها علاقة بي لأنها تحمل اسم الناجي، وذات مرة كنت في مكتبه أختارُ الكتب التي سآخذها، عرضت عليه ما اخترته، فقلب بأطراف أصابعه في الكتب كمن يخشى التقاط عدوى ما، ثم توقف أمام كتاب يضم المراسلات المتبادلة

t.me/qurssan

بين حنا أرندت وأستاذها وحبيبها النازي أحيانًا مارتن هيدجر. حمل غلاف الكتاب صورة لمعسكرات الاعتقال النازية وسور تعلوه أسلاك شائكة. بحسه الأمني المتيقظ سأل: «دا كتاب جاسوسية وكدا يعني؟»، تلعثمت لثوانٍ، لم أعرف ما الإجابة المناسبة، إذا قلت «نعم» قد يقول إن كتب الجاسوسية ممنوعة، وإذا قلت «لا» قد يقول إن كتب الجاسوسية فقط هي المسموح بدخولها، اخترت الهبل:

- جاسوسية! يعني إيه؟

- جاسوسية يعني أكشن وهروب كدا.

سارعت بالنفي خوفًا من أن يعتقد أن الكتاب يحتوي على خطة للهرب:

- لا... لا أبدًا دي قصة حب، ودا كتاب فيه الجوابات بين اثنين كانوا بيحبوا بعض وكدا.

بخفة الدم المعهودة لدى ضباط الشرطة المصريين قال:

- ياه كل دي جوابات، طيب ما كانوا يتقابلوا يعملوا واحد أحسن.

احترت -ومثلي علاء- في فهم كيفية عمل الرقابة داخل السجن، فهناك أسماء كتاب ممنوع دخول كُتبها، حتى السجناء العاديين

t.me/qurssan

لم يكن مسموحًا لهم بإدخال كتب بلال فضل أو إبراهيم عيسي. لكن في حالتي أنا -ومثلي علاء- تتنوع العناوين والاختيارات، فيختار الضابط ما يمنع ويسمح به بناءً على حاسته الأمنية.

سألتُ -ومعي علاء- ذات مرة المُسير عن المعايير المتبعة في إدخال الكتب أو رفضها حتى لا نطلب من البداية كتبًا لن يسمح بدخولها فأخبرني:

- شوف، أنا سألته، قال لي أحمد ناجي ممنوع يخش له أي كتب فيها قلة أدب، وعلاء ممنوع أي كتب فيها سياسية.

ضحك علاء وجاوبه:

- طيب بسيطة أنا أجيب كتب قلة الأدب وهو يجيب كتب السياسة.

اليوم السادس والثمانون، الإثنين 16 مايو 2016

أشعر بالقرف والإرهاق طوال اليوم. مع الحر والرطوبة الخانقة في الزنزانة، لا تتوقف البرابير عن النزول من أنفي، والأدوية التي أتناولها لأجل محاربة دور البرد تنهك جسمي وتجعل عرقي برائحة المضادات الحيوية، أشعر برغبة في القيء طوال الوقت لكن لا شيء في معدتي لأخرجه.

t.me/qurssan

نادوا عليَّ أثناء نشرة الساعة 9 في التلفزيون، تقارير حول موافقة مجلس الوزراء على التشريعات الإعلامية والصحفية الجديدة، لكن الخازوق تأجيلهم للموافقة على تعديل القوانين السالبة للحريات والتي تتعارض مع مواد الدستور الجديد، لكن هناك خبر آخر عن تشكيل لجنة من وزارة العدل لتعديل التشريعات السالبة للحريات بحيث تتوافق مع مواد الدستور. طبعًا إذا تم هذا لن تكون النتيجة خروجي من السجن فقط بل قد يصبح لكل ما حدث ويحدث معنى. العجلة تدور وتتحرك ببطء لكن هناك حركة، أم يكون كل هذا أملًا كاذبًا؟

الأخبار في التلفزيون والجرائد يستحيل منها معرفة طبيعة المشهد في الخارج، لكن هناك حركة ما بالتأكيد، وإلا لما أصدر مجلس الوزراء هذا البيان.

t.me/qurssan

سُلطة الكاتب السجين

حينما كنا ننتظر سماع الحكم أنا وطارق الطاهر رئيس تحرير أسبار الأدب والمتهم معي. أتى ثلاثة أمناء شرطة وطلبوا منا أن نتبعهم. ساروا بنا في شبكة من الممرات الخلفية امتلأت بالموظفين والمتهمين، حتى وصلنا إلى غرفة يجلس فيها ضابط شاب خلف مكتب مُتهالك، ومعه اثنان ضباط برتبة أكبر. أخبرنا الضابط بالحكم، حبس سنتين لي وغرامة لطارق. أصبت بنوبة ضحك، بينما انفعل طارق واندمج في «مونولوج» ذاتي طويل وغاضب.

أكبر الضباط سنًّا ورتبة سألني ما هي القضية؟ شرحنا له الأمر باختصار، وجه أصبعيه نحوي بينما بقية أصابع يده تقبض على «سبحة» فخمة، ورد بأغرب تعليق في مثل هذه المواقف:

شوف يا ابني أنت كدا بقيت على أول طريق العظمة، حسبي الله ونعمة الوكيل فيه، أنا عارف القاضي بتاعك وهو أحكامه جديدة وغريبة، بس أنت هتطلع أقوى، وكدا أنت بقيت عظيم وسمنت اسمك في سجل التاريخ.

وسط ضحكاتي سألته:

t.me/qurssan

- وماذا أفعل بعظمتي معكم في السجن؟ ما تاخدوا العظمة وسيبوني ألعب في الطينة؟!

العظمة. الخلود. الرسالة. التنوير. ترتقي بالناس. تعلم الشعب وتنير دربه. فضل الشطافة في الدول الإسلامية على سائر إنجازات الحضارة الغربية. الأصالة والمعاصرة. لماذا تخلف العرب وتقدم الآخرون؟ الأنا والآخر. الشرق والغرب. مصر التي بناها الحلواني.

جاهدتُ لأهرب من كل هذا نحو ما لا أعرف. لكن في السجن، وتحت ضغط الاندماج بالبيئةِ المحيطة والتفاعل الاجتماعي، كنتُ أتلقى الكثير من التعليقات، بل أندمج بهزّ الرأس، والهمهمة في حوارات مثل تلك متقبلًا لنصائح واقتراحات بمواضيع وأفكار أكتب عنها. تصورات لدى الجميع؛ ضباط ومجرمين عن دور الكاتب كلها تتفق على كونه صاحب رسالة وصوت مَن لا صوت لهم.

يحمّلونك دائمًا أمانة أن تكتب عنهم، أن تصل بصوتهم إلى الآخرين، وأيضًا طريقة فعل ذلك.

تلقيت هذه التوجيهات باستمرار من السادة العاملين في وزارة الداخلية، والسادة المتهمين، والسادة الزملاء المجرمين. ينتبه لي أحدهم من بعيد، فيقترب ليبدأ حوارًا معي: «أنا عندي لك قصة تنفع مسلسل». المثقفون منهم يقولون: «تنفع في كتابك الجاي».

t.me/qurssan

آخرون بسببَ طول العِشرة في السجن، وحينما كانوا يلمحونني أكتب شيئًا ما كانوا يسألونني: «هتكتب عنّا في كتابك الجاي؟».

سواء كانوا ممَن عرفتهم في السجن، أو حتى أحرارًا يسيرون بحرية في الشوارع الممتلئة بكمائن الشرطة والأفخاخ، فكثيرًا ما قابلت أشخاصًا لديهم هذه الرغبة الغريبة؛ أن تُروى حكايتهم، أن تُكتب أو تُصبح حكاية الواحد منهم فيلمًا أو مسلسلًا.

قبل السجن وبعده، أحيانًا ما تلقيتُ هذا السؤال من بعضهم: «مش هتكتب عني؟». أحسد هؤلاء على ثقتهم في أنفسهم وثقتهم في نفسي البسيطة، فكيف يضمنون أن ما سأكتبه سيكون حكايتهم كما يريدونها؟ كيف يأتمنون شخصًا لا يعرفونه على تجربتهم المليئة بالأسرار والاعترافات، بل ويطلبون منه إعلانها على الملأ؟

هناك دوافع مُختلفة لدى الشخص الذي يرغب في أن يحكي حكايته لكاتب، مثلًا الرغبة في معرفة ما يخفيه الكاتب عنه، كيف يراه الكاتب وكيف سيعلن رأيه فيه، يريد أن ينظر في المرآة، أن يجعل من الكاتب مرآته، ويظن أن حنكته ودهاءه وعجائب مغامراته كافية لرسم صورة عظيمة عن ذاته، هناك دافع فني أكثر غرورًا، كأن يرى الشخص في حكايته رحلة عجائبية مليئة بالمغامرات المسلية، يريد أن يعرفها الناس ليمدحوا مدى ثراء حياته وتجربته، وبالطبع نباهته وقدرته على تجاوز تلك الصعاب

t.me/qurssan

وتحملها، وأكثر الدوافع حماقة حقوقها محفوظة لهؤلاء الذين يطمحون من خلال الحكي لأول كاتب يقابلهم لنيل الخلود، أو الأسوأ الحصول على المال، مقابل حكي حكايته للكاتب الذي سيكتبها في هيئة مسلسل تلفزيوني، لتنهال الأموال عليه.

تتعدد الدوافع لكن النتيجة واحدة كما تتجلى عند مطالعة أدب السجون. فالكتابة عن السجن هي كتابة عن الزملاء المسجونين، وفيها يتحول النص إلى رحلة أنثروبولوجية يلتقي فيها الكاتب ببشر من كل الطبقات والمهن والأعمال، منها الشرعي وغير الشرعي. تحت وقع الاكتشافات والانبهارات المتتالية يتحوّل انتباه الكاتب إلى حمل رسائل الآخرين ونسيان رسالته. في هذه الحالة تبدو الكتابة عن السجن كتكنيك يقوم فيه الكاتب بعزل تجربته الشخصية، ووضع شاشة وفلتر أمام عينيه، ليراقب ويسمع من حوله وليسلي نفسه وليسلي قرّاءه بعد ذلك بتحويل المساجين إلى كائنات درامية لا بشرية. ناهيك عن تحويلهم لأدوات سياسية كما يتبدى في كتابات المعتقلين السياسيين.

لم أتمكن من الحفاظ على هذا الجدار بيني وبين الآخرين. تحوّل بعضهم إلى أصدقاء. وحكاياتهم ليست دراما مسلية ولا خبرًا مُثيرًا في صفحة أخبار الحوادث. ائتمنني هؤلاء على أسرارهم أحيانًا، أروني صورًا لأطفالهم وعائلاتهم. بعضهم لا أعرف مصيره حتى الآن؛ ألا يزال في السجن؟

t.me/qurssan

بعضهم خرج وقطعوا كل الصلات بعالم السجن، بعضهم يسأل من بعيد لبعيد. لكن حتى لو جرفهم سيل النسيان، أبدًا لا أجد داخلي الرغبة لفضحهم أو استعراضهم. وحتى إذا تجاوزتُ هذا الدافع، فكلما هممتُ بالكتابة عن أحدهم، تبرز من سطح بحر اللاوعي بيضة حمراء في بحر من اللبن، تفقس البيضة سؤالًا معلقًا: هل من حق الكاتب انتهاك خصوصية هؤلاء والكتابة عنهم فقط بحجة أنه يسجل تجربته الشخصية أو يحاول فهمها؟

الكُتاب الذين يكتبون من أجل التاريخ أو يقدمون كتابتهم عن السجن بصفتها شهادة للتاريخ لا يتوقفون عند هذه النقطة. فاللحق وللتاريخ يحكي بالتفاصيل عن كل شخص قابله، ثم بعد نشر كتابه يأتي شخص آخر زامله في السجن فيرى أن ما كتبه الزميل يحمل إهانة له وتزويرًا للتاريخ فيكتب ردًّا مسجلًا هو الآخر كشهادة للتاريخ، وهكذا تتوالى الشهادات عن التاريخ والتاريخ. لكن بالنسبة للُكتّاب الذين «يلعنون ديك أم التاريخ». فلحظة واحدة تتشارك فيها العشاء مع عشرين شخصًا على صواني موضوعة على صناديق الزبالة في المطبخ، تفرض عليك واجبًا أخلاقيًّا تجاه العيش والملح، أن تحكي عن السجن وقهره ومذلة الرجال وأمراضه، دون أن تحول ضحاياه وأسرارهم لعناصر إثارة درامية لا أكثر.

t.me/qurssan

اليوم الرابع والعشرون، الثلاثاء 15 مارس 2016

أشعر أني محبوس في سجن مع طلبة في الإعدادية على وشك اكتشاف أعضائهم الجنسية. هناك حس كوميدي سخيف يتولد بين أي مجموعة من الذكور يجتمعون معًا، فما بالك وهم يعيشون بعضهم مع بعض. تم تفريغ كلمات اللغة من كل دلالتها إلا دلالتها الجنسية.

يقول أحدهم للآخر: «علبة السجائر هتلاقيها ورا»، فيضحك نصف العنبر، الآخر يقول: «ورا فين عيب كدا»، فيضحك نصف العنبر الآخر. وأشعر ببضاني تضمحل في كيس صفني. فوق/ تحت/وراء/ دخله/حطه/ دوقه/ لبن/ حليب.

هؤلاء رجال يشتعل رأسهم شيبًا. لكنهم بعيدًا عن رقابة المجتمع وعن مراكزهم الاجتماعية وأدوارهم العائلية وقيمتهم المهنية والمالية. يعودون ليصبحوا مراهقين في مدرسة ثانوي يمضغون إفيهات حامضة.

«يعني الصراحة أنا حاليًا لا يثير أعصابي إلا التقليد، حتى القديم، وما أرجوه حقيقة من الجيل الذي يلينا، والذي قد يصل بنا إلى العالمية، أن يكون أكثر إخلاصًا لهذه النقطة. الإخلاص للذات».

#نجيب_محفوظ_يتذكر #جمال_الغيطاني

t.me/qurssan

اليوم الأربعون، الخميس 31 مارس 2016

وجدت في المكتبة رواية نجيب محفوظ «ثرثرة فوق النيل». قرأت الرواية للمرة الأولى وعمري لا يتجاوز الثالثة عشرة، حين عثرت عليها في مكتبة المدرسة. أعدت قراءة الرواية اليوم وبدت لي رواية جديدة تمامًا، كل جملة لها معنى مختلف. تبدى عمقها في تشتتها وعبثيتها. وعلى عكس ما حدث عند أول قراءة، لم أنزعج من الطابع المسرحي، ما أزعجني أني اكتشفت صفحة «مقطوعة في الرواية. ثم المفاجأة أن هناك نحو ست صفحات في النهاية مقطوعون، تعكننت جدًا. هذا أسوأ وأحقر خازوق ألبسه في كتاب.

يمكن أن تحرق الكتب، تسجن كتابها، تمنعها، تصادرها. لكن أن تقطع صفحات منها فهذا هو العقاب الذي لم يفكر فيه أحد بعد. في آخر صفحة في الكتاب، كتب أحدهم سطرين أن هذا الكتاب جيد لكنه يحتوي على تجديف في العقيدة ومشاهد خارجه ويدعو القارئ أن يستغفر الله بعد قراءته. على الأرجح هو الشخص الذي قطع الصفحات، وقد أراد أن يحمي زملاءه المساجين من أخطار التجديف والمشاهد الخارجة.

t.me/qurssan

t.me/qurssan

سلطة الآه

رجل أعمال ريفي يدير استثمارات في حدود العشرة ملايين جنيه دخل علينا السجن ضحية لمؤامرة نصب صغيرة، قضى معنا ثلاثة أسابيع. في الليل أثناء سهري للقراءة على ضوء اللمبة الصغيرة والعنبر نائم، أسمع نشيج بكائه، جالسًا على مصلبه يشكو في تمتمة غير مفهومة، لم أكن أميز منها سوى جملة واحدة «تعالي لي يا أمّي».

يبكي الرجل بعويل صامت، لا ينطق سوى: «آه.. آه.. آه.»، تقطعها على فترات «تعالي لي يا أمّي». كان متماسكًا في النهار يقضي وقته في تبادل الأحاديث مع الزملاء وإعادة رواية قضيته مؤكدًا على براءته، لكن في ظلام الليل لا يجد من يشكو له سوى دموعه، يتصاعد نحيبه وأعلى درجة شكايته حينما ينادي على أمه، الرجل ذو الشعر الأشيب الذي روى بفخر مشاركته في حرب الخليج الثانية يأمل في العودة إلى رحم الأم هربًا من السجن، وحينما تتكثف الشكوى لا تخرج منه سوى تلك الآه التي يكررها على طول الليل.

انفعل عليه ذات مساء سجين آخر، زعق فيه: «مش كدا يا أخي، مش كدا كلنا تعبانين». لم يكن ما أتعبه هو شكوى المنادي لأمه،

t.me/qurssan

بالعكس كان هذا السجين تحديدًا أكثر مَن في العنبر عِشرة وألفة وقدرةً على إخراج الآخرين من حزنهم. يستمع بلا ملل لتفاصيل قضاياهم، ويطبطب عليهم، ويلعن من أوقعهم هنا، ثم يسخر من أخطائهم، ويحوّل الحزن إلى ضحكة وإفيه. لكن أمام تلك «الآه» عجز عن فعل أي شيء. كل مَن في العنبر كان عاجزًا عن إسكات صوت المنادي لأمه، بل أعجز من أن نبدي اعتراضنا.

هذه سلطة الشكوى العظمى، الشكوى غير الصامتة، وغير المتكلمة. بل «آه» تملأ الهواء وتمتص كل ما فيه من أكسجين، وكنّا جميعًا خاضعين لتلك «الآه»، جوقة صامتة خلف الآه.

t.me/qurssan

التكدير

تحسَّنَتْ أَوضَاعي بَعْدَ أَوَّل شَهْر. تمكنت من الحصول على مرتبة , فيعة سمكها لا يتجاوز الخمسة سنتيمترات، وضعتُ أسفل منها ،طانية لأفصل بينها وبين الرطوبة المنبعثة من أسمنت المصلب الذي ننام عليه.

خلقتُ إيقاعًا مُنتظمًا ليومي، وواظبت عليه، فأي خلل يجعل الوقت يتمدد ويثقل.

،دأتُ في تلقي الزيارات، وكانت رؤية ياسمين وأمي ومحمد أمي واحتضانهم عند كل لقاء ووداع، إعادة بعث للرغبة في الحياة ومواعيد لتجدد الأمل.

أهم فقرات اليوم حل الكلمات المتقاطعة والسودوكو في الجرائد لأنها تستنزف الكثير من الوقت، يليها فقرات القراءة، الآن مع اشتداد حرارة الصيف ورطوبته، أصبح القرف ملازمًا لكل ثانية تمرّ على الواحد. أنام على كتفي الأيمن مُمسكًا الكتاب ،دي مُحاولًا الاستغراق في رحلات «لوليتا» لنابكوف حتى أحس ،المرق يتجمع تحت الوسادة الإسفنجية الصغيرة. يتشرب الإسفنج العرق سريعًا، والحل قلب المرتبة أو الوسادة على الوجه الآخر الذي سرعان ما يبتل. في يونيو وأغسطس يصبح الوضع

t.me/qurssan

أسوأ بمراحل، كنتُ أنزع كيس الوسادة القماشي وأعصره لتنزل منه قطرات العرق، ثم أضع المنشفة على الوسادة لأتمكن من النوم عليها.

يشمل الصراع مع الحر والرطوبة معارك إضافية. ثلاجة المياه تُفتح ثلاث مرات في اليوم، تجلس في انتظار الموعد المقدس لكي يقوم النبطشي بفتح الثلاجة لتحصل أخيرًا على زجاجة المياه الباردة. تنتظر حتى يصبح ضغط المياه قويًا لكي تتمكن من الاستحمام، والتخلص من رائحة عرقك. لكن جحيم الصيف الحقيقي يفتح حنكه في الأعياد، وفي المناسبات إذا تضايق أحد المخبرين أو جاءت الأوامر لتكدير العنبر لأي سبب.

شرح لي سجين قديم، وسجان أقدم، أثناء تدخيننا السجائر، كيف أن أهم غاية عند إدارة أي سجن منع المسجون من «تشغيل دماغه»، أن يستخدم عقله على الآخرين من حوله مسجونين وسجانين، بداية المشاكل ومحاولات الهروب ومخالفة اللوائح تبدأ من هنا. وحيث إن الحراسة في السجن تكون أقل من المعتاد في مواسم الأعياد والإجازات الرسمية، تدفع هذه الأيام المباركة السجين إلى التفكير في أهله والاستغراق في حزنه ومشاغله، الأمر الذي يجعل المساجين أكثر حساسية وانفعالًا بعضهم مع بعض، لذا فحتى لا يقوم المسجون بتشغيل دماغه، يتم تكدير السجن كله بوسائل بسيطة.

t.me/qurssan

قضينا ثلاثة أيام دون مياه في أول عيد حضرته في السجن.. كانت المياه تأتي لمدة ساعة واحدة في اليوم، يتسابق كل مسجون لملأ جردله أو زجاجة المياه التي يشرب منها. بسبب مشاكل صحية في الكليتين، كنت ضمن المساجين ميسوري الحال في السجن الذين يشربون المياه المعدنية ولا يشربون مياه الحنفية، كنا نشتري «كارتونة» المياه كل أسبوع. وفي هذا العيد تدهور الأمر ذات يوم حتى أنني وزعت كل زجاجات المياه التي كانت معي لانقطاع المياه عن الصنبور.

كنا مسجونين عطشى، ورائحة الخراء والبول والصنان تفوح من الحمامات والمطبخ، زاد على ذلك أن أبواب السجن لم تفتح لثلاثة أيام، فتراكمت أكياس النفايات الممتلئة ببقايا الطعام المتعفنة.

ثلاثة أيام لا تفكر إلا في الماء، تنام متمنيًا أن تحلم بالماء، لعلك تشرب، لعلك ترتوي في حلم لم يأتِ، وتتذكر أن اليوم عيد فتتكدر أكثر.

في هذا التكدير تتوقف عن التفكير وتشغيل دماغك، ويصبح كل ما يشغلك كيف ستشرب وكيف ستشخ.

t.me/qurssan

اليوم الثاني والعشرون، الأحد 13 مارس 2016

لثلاث ساعات ظل الضابط الكاذب سابقًا والمسجون حاليًا والذي يصر أن يناديه الجميع بسيادة اللواء يحكي بفخر مشاركته في فض اعتصام رابعة. يحاول استفزازي وسؤالي عن موقفي أو رصد أي رد فعل على وجهي إزاء الجرائم التي يرويها.

نسمع طوال اليوم أصوات الريح وهي تضرب لوح الصاج العظيم الذي يفصل بين سجننا وسجن المزرعة. وضعوا هذا الصاج ليفصل بين السجنين لأن المساجين كانوا ينتظرون علاء وجمال مبارك حينما يخرجون للتريض ويسبون لهما الدين. لذا أصبحنا بسببهم نسمع صوت الريح ولا يصلنا هواؤها.

نظرت للسماء ساعة التريض فرأيتها صفراء، أجواء الخماسين الكابوسية الآن تغرق القاهرة. أفكر، على الأقل لست مضطرًا لكنس الرمال من المنزل أو مكافحة حساسية جيوبي الأنفية.

كنا على مشارف ثورة دينية هذا المساء، مهندس محليات متهم بتلقي رشوة اعتاد أن يجمع المساجين حوله ويعطيهم دروسًا في الدين والقرآن. الرجل مهووس بذاته، ومنذ يومين تحدى زميلًا بأنه سيكتب تفسيرًا للقرآن الكريم يصحح كل الأخطاء التي وقع فيها الشعراوي. صنع من المساجين المتهربين من التجنيد الذين يمنحهم السجائر ويستعرض عليهم جهله دائرة من المريدين

t.me/qurssan

وأخبرهم أنّ من لا يقرأ القرآن كافر. الولاد رفضوا الأكل من الطعام الذي يعده شيف العنبر بحجة أنه لا يقرأ القرآن لذلك هو كافر. انفجر عراك فقهي تخللته عبارات سب دين متبادلة بين الشيف ومهندس المحليات وانتهى الأمر بانصياع الجميع لتعليمات النبطشي، أن يعتذر المهندس للشيف ولجميع من في العنبر.

t.me/qurssan

t.me/qurssan

الدبدوب

النفوذ والقدرة المالية وغيرها من المميزات الطبقية لا يختفي أثرها في السجن. بل يعيد السجن خلق وتشكيل الطبقات الاجتماعية داخله.

في كل مرة بعد انتهاء الزيارة أجد شبابًا من المسجونين يتقدمون للمساعدة في حمل حقائب الزيارة، ولأنها كثيرة بشكل لا يمكنني حملها لوحدي فقد كنت أستسلم لعرضهم، ومقابل حملهم لشنط الزيارة حتى الزنزانة كان الفرد الواحد منهم يحصل على علبة سجائر.

لا يمكنك رفض عروضهم، لأنهم سيعتبرونك بخيلًا. فإذا كان ربنا فاتحها عليك، فاستلقِ على ظهرك واترك الآخرين يخدمونك. يوميًا تأتي العروض من مصريين وأجانب من طبقات فقيرة أو لا يوجد من يزورهم يعرضون خدماتهم المتنوعة من تنظيف الفراش وتهويته إلى تنظيف المصلب إلى إعداد المشروبات عند الحاجة. ورغم أني لم أحب هذه الكلمة، لكن يطلق على هؤلاء «الدباديب»، ومفردها «دبدوب». ومقابل خدمات الدبدوب تمنحه المزيد من علب السجائر، وأحيانًا تشاركه جزءًا من طعامك. حاولت التعامل مع الدباديب كنوع من التكافل الاجتماعي، لكني

t.me/qurssan

راقبت في حالات أخرى كيف تتحول العلاقة بين «البكايته» -وهو لقب الأشخاص الأغنياء داخل السجن- والدباديب إلى نموذج من علاقات الاستغلال الطبقي.

أحد البكاتية لديه دبدوب من البرازيل متهم بتهريب المخدرات، وكل يوم أثناء تنظيف الدبدوب لمصلبه يظل واقفًا، يشير إلى الزوايا ويعطيه التعليمات بمزيج من العربية والإنجليزية ولغة الإشارة. ثم ذات يوم تعارك الاثنان لخلاف حول الحساب. رأى الدبدوب البرازيلي أنه يستحق أربع علب سجائر بينما أصر البيك المصري على منحه علبتين. كان الدبدوب البرازيلي يمسك في يده كوب شاي، وحينما يئس من التفاهم مع البيك المصري، قام بصب الشاي على كتاب تفسير الشيخ الشعراوي المفتوح على المصلب اعتراضًا على نتانة البيك المصري.

انفعل البيك وأخذ يصرخ في العنبر، وهو ينطق الشهادة. أمسك مجلد الشعراوي المبلل بالشاي رفعه عاليًا وجعر صارخًا: «بيرمي الشاي على كلام ربنا، بيهين كلام ربنا. أنا عايز حقي يا نبطشي».

تحول الأمر من خلاف على علب السجائر وأعطِ الأجير حقه قبل أن يجف عرقه إلى فتنة طائفية، كادت أن تندلع وتتطور لولا تدخل مجموعة من المساجين لوأدها.

t.me/qurssan

مثلما تندلع الخلافات بلا أسباب منطقية في الزنزانة، يتصالح المسجونون دون سبب. بعد ثلاثة أيام، رأيت الدبدوب البرازيلي يرش مصلب البيك بخليط الكولور والديتول لقتل البق والحشرات في فراش البيك، بينما الأخير يمارس مهامه الإشرافية كناظر للعزبة الزراعية.

اليوم التاسع والثلاثون بعد المئة، الجمعة 8 يوليو 2016

حلمت أني صرت كوافير سيدات. لكن سافرت عبر الزمن وأصبحت أعمل ككوافير في الأربعينيات، لديَّ علم وأدوات من المستقبل تبهر الجميع وتزيد من شعبيتي. زبائني كلهم من العائلات المرموقة والبرجوازية العليا. تعرفت على زوجين شابين لكن بائسين. عرضت على الزوجة خدماتي واقتنع الزوج بقدرتي على تحسين علاقتهما.

دخلت الغرفة مُستخدمًا أدوات المستقبل من جل ومثبت شعر وكريمات وزيوت استرخاء. صفَّفت شعر الزوجة، ثم طلبت منها أن تستلقي عارية على وجهها.

«استرخي». قلت وأنا أدلك كتفيها. كنت أعرف أن الزوج يتلصص من مكان ما، وتعمدت أن تنزلق يدي للأسفل وتدلك كفليها. انتصب قضيبي وكان الانتصاب يؤلمني لكني أكملت

t.me/qurssan

عملي حتى جسست بطرف أصابعي بللها، فطلبت من الخادمة أن تستدعي الزوج.

دخل الزوج وخرجت أنا للصالة. روحي تطوف حول الزوجين، تشعلهم ليكتشفا الحب والرغبة من جديد. دخلت الحمام وحاولت إفراغ توتري وانتصابي المؤلم. من حوض المياه انفجرت نافورة من سائل أسود كثيف كأنه بترول.

t.me/qurssan

خليك نظيف

كل فترة، وخصوصًا بعد صلاة العشاء أو الظهر، يقف نبطشي الغرفة ليعيد سرد التعليمات أو يطرح المشاكل التي يواجهها العنبر. يكرر التعليمات الأساسية وهو يوجه نظره تجاه المساجين الجدد؛ «الإيراد». وكل مرة أنتظر تأكيده على أهم نقطة بالنسبة لي، وحينما ينسى أرفع يدي لأذكره: «جرادل الصابون والحمامات يا باشمهندس».

من خمس حمامات في العنبر لدينا اثنان فقط أفرنجي، والثلاثة الآخرون حمامات بلدي. ليست أكثر من حفرة في الأرض. وحتى الحمامات الأفرنجي لم يكن صندوق الطرد (السيفون) يعمل معظم الوقت. لذا فأمام كل حمام وُضع جردل مياه تذوب فيه قطعة من الصابون الميري، وإذا كنا في أيام الثراء يضاف إليه قطرات من الكلور أو الديتول. والغرض أن كل من يشخ أو يطرطر عليه أن يمسك الكوز ويرمي المياه بالصابون من الجردل في العين حتى لا يظل الخراء راكدًا فيها.

تشخ الغالبية ثم يخرجون من الحمام وهم يضعون أصبعهم في أنفهم لتسليكه بعدما سلك طيزه. اعتدت أن أتبادل مع قلة قليلة من قدامى المساجين الإشارات والتعليقات على كل تلك

t.me/qurssan

الممارسات الخرائية الجميلة.

حتى دخلت الحمام ذات صباح، فوجدت قطع خراء مُتكومة في هرم جميل على البلاط، لا في عين الحمام. خراء هرمي جاف، تحوم فوقه ثلاث ذبابات ويدور حوله صرصار صغير تائه. خرجت من الحمام وأيقظت الباشمهندس النبطشي وسحبته إلى الحمام: «اتفضل ياريس شوف بقي مين «بيحَمل» في العنبر بدل ما نلبس كلنا».

كنا أمام دليل جريمة واضح لكن لا نعرف من مرتكبها. فوجود الخراء بهذا الشكل يعني أن أحدهم حمل في طيزه ممنوعات، غالبًا حبوب مخدرة، ولم يتبرز في العين حتى يستطيع إخراج كيس الحبوب أو ما هربه في طيزه. وهو ما يعني أن هناك ممنوعات هُربت للعنبر، وهو ما يعني أن أثرها سيظهر عاجلًا أم آجلًا، الأمر الذي سيتسبب في تكدير العنبر أو تجريده من كل الكماليات بداية من التلفزيون وحتى الثلاجات.

وقف الباشمهندس النبطشي في منتصف العنبر وألقى مونولوجًا طويلًا، عن قذارة المشهد. أننا رجال محترمون ولا يصح هذا الأمر. من فعل هذا يؤذي العنبر كله. ثم طلب ممن قام بهذا أي كان التخلص من الممنوعات حتى لا يتسبب بالضرر لنفسه أو لنا: «كل واحد يخليه نظيف في نفسه».

t.me/qurssan

اليوم السابع والخمسون بعد المئة، الخميس 26 يوليو 2016

كلما رفعوا الآذان في العنبر واصطفوا في الممر الضيق الفاصل بين «المصالب» يدخل عم «ج» إلى مصلبه، وأشاهده من فوق يخرج الكتاب المقدس وسبحة معلق بها صليب خشبي صغير ويأخذ في الصلاة. يصلي عم «ج» أربع مرات في اليوم مع كل مرة يقيم المسلمون الصلاة. أحيانًا حينما يكون ساهرًا يستيقظ ويصلي الفجر معهم. حسب معلوماتي البسيطة فالمسلمون فقط هم من يصلون خمس مرات في اليوم، فكرت أكثر من مرة في التطفل عليه وسؤاله. لكني لم أرد أن أزيد بضانه بضنًا.

في العنبر كما في كل السجن حساسية طائفية مستترة بين المسيحيين والمسلمين، لكن موقف عم «ج» هو الأغرب حيث لا يتضايق مثل بقية المسيحيين بسبب سدهم للممر الوحيد في العنبر ساعة الصلاة، ولا يظهر أي اعتراض على قواعد رمضان والأغلبية المسلمة، بل يلتزم مقيمًا شعائر خاصة به ذات مظهر مسيحي وجوهر هرطوقي خارج التعلميات الكنسية.

t.me/qurssan

t.me/qurssan

ضحك وغضب

وصلتني أخيرًا حيثيات الحكم. حملت ياسمين معها نسخة في آخر زيَارة. في سبع صفحات، يقيم رئيس محكمة الاستئناف الحجة، يبرر ويفسر حكمه بالسجن لعامين. انتظرتُ حتى انتهت الزيارة، وصعدتُ للعنبر. أشعلتُ سيجارة وجلستُ أقرأ. مع كل سطر موجات من الغضب تتلاحق، تندفع لتعبر عن نفسها في شكل ضحكات، احتاجت بعض الجمل أن أعيد قراءتها أكثر من مرة؛ لأن نص الحيثيات كاملًا لم يحتوِ على همزات أو تاءات مربوطة.

هكذا: «والحفاظ على الاسره التي هي اساس المجتمع مقدم على الحفاظ على مصلحه الفرد او طائفة لا هم لها سوى تحصين انفسها من العقاب او جعل انفسهم بمامن من العقوبات المقيده للحريه بدعوى حريه الراى والابداع، فاى ابداع فيما سطره المتهم بكتابه من الفاظ خادشه للحياء داعيه إلى نشر الرذيله والفجور.

وان المشرع الدستورى حين نص في المادة 67 من الدستور على حريه الابداع الفنى والادبي، لم يكن ليقصد حمايه هؤلاء الذين نسبوا انفسهم إلى الكتاب يسعون في الارض فسادًا ينشرون الرذيلة ويفسدون الاخلاق باقلامهم المسمومه تحت مسمى حرية الفكر، والا لكان تناقض مع نفسه حين دعا إلى الحفاظ على الاسرة لانها

t.me/qurssan

اساس المجتمع بالحفاظ على الدين والأخلاق».

تسابق الزملاء المقربون على الاطلاع على الحيثيات، أحدهم وكان مستشارًا وقاضيًا متهمًا بتلقي رشوة أخذ يضحك وهو يقرأ بصوت عالٍ فقرات من حيثيات الحكم، أنقل هنا فقرة منها كما جاءت في النص بكل أخطائها وبلاغتها:

"فالمتهم الأول وان استعمل حقه الذي كفله له الدستور والقانون في التاليف والكتابه الا أن ذلك مشروط بان يكون في حدود القانون، والا تكون الغايه من استعمال هذا الحق غير مشروعه كما فعل المتهم بكتابه ما اسماه رواية استخدام الحياه مستخدمًا الفاظ وعبارات خادشه للحياء العام تدور حول تصوير ممارسه الرذيله بين رجل وامراة متناولا تفاصيل هذه الممارسه متناسيًا قيم وتقاليد واخلاق المجتمع المصري متجاوزًا حرية التعبير والتأليف التي كفلها الدستور والتي من شانها النهوض بالوطن وارساء الاداب والأخلاق والحث على التمسك بهما».

الفقرة السابقة كانت المفضلة عندى، ففيها يكشف القاضي جريمتي الحقيقة التي أعترف بها ولا أنكرها. فالأمر ليس ألفاظًا خادشة للحياء أو رجل وامرأة يتمرغان في الرذيلة. بل جوهر جريمتي أن تناسيت متعمدًا دائمًا قيم وأخلاق المجتمع المصري، بل أعترف أني لطالما احتقرتها، ولطالما انتهزت أي فرصة مناسبة لأبصق وأتبول عليها بل وأشخ إذا استطعت. أعترف كذلك أني لم أسعَ من خلال كتابتي للنهوض بالوطن أو إرساء الآداب

t.me/qurssan

والأخلاق، بل سعيت للحث على النظر والتفكير في ذلك الخراب الذي نسميه وطنًا، وحرقه ومغادرته إن أمكن. لم أجد في يدي ما أقدمه للمجتمع لأنهض به، بل وجدت في الكتابة فرصة للتعرف على نفسي وفهمها والتعرف عليك أنت يا من تقرأ الآن. وجدت في الكتابة صوتي، وفي القراءة صوتك وفي تواصلنا ذلك من خلال الأدب وجدت معنى للحياة التي هي أوسع من أن تكون وطنًا قوميًّا يتم خلقه بعلم ونشيد ومتحف وجيش ومدرسة أو آداب تعمل كرافعة للأخلاق ولإيهام الناس بوجود قانون كوني أخلاقي يجب أن يتبعوه.

تحلق الزملاء المحامون والمساجين حول الورق وأخذوا يقرؤون بصوت عالٍ فقرات من الحيثيات. قاضٍ آخر -وكان رئيسًا لمحكمة- متهم في قضية رشوة، علق برصانة: «الحكم دا باطل، دا بيقول رأيه، إيه الكلام الغريب دا؟».

كان يشير إلى ثلاث صفحات كاملة خصصها القاضي مستندًا لسلطة المنصة لمعنى الأدب وتعريف فن الرواية وشرح لقواعد البلاغة من استعارة وكناية ومجاز حيث يقول:

"والمحكمة اذ تمهد لقضائها ان الاصل اللغوي لمعني كلمة الادب هو الدعوه الي الطعام وتوسعا الذي يادب أي يدعو إلي المحامد والتحلي بالخلق الفاضل والقيام بامر جلل ويهدف الى توصيل المعارف وتهذيب السلوك، والأديب لسان المجتمع يعبر

t.me/qurssan

عن آماله والأمة تعبيراً صادقاً حتي يحظي بقبول المجتمع له ولكن اسفا فالأدب يعاني محنه ليس فقط في ذاته وأساليب لغته ومعانيه وأغراض معاينة بل حتي في القائمين عليه في مذاهبهم ومناحيهم.

والرواية هي أحد فنون الأدب وأكثرها انتشاراً ولها تأثير كبير في المجتمع حيث تتحدث عن المواقف وتجارب البشرية في زمان ومكان معين وتعطينا عبره ونصيحة أو قصة ودرس نستفيد منه في حياتنا».

أنا بالتأكيد لست لسان المجتمع ولم أسع لأكون «لسان المجتمع يعبر عن آماله وآلامه تعبيرًا صادقًا حتى يحظى بقبول المجتمع له». ولا أعرف كيف يمكن أن يكون الأديب صادقًا ويحظى كذلك بقبول المجتمع له. وهل يتحمل المجتمع هذا الصدق كما سأل طه حسين منذ سبعين عامًا؟ ثم كيف يجتمع هذا المجتمع ويتفق على شيء واحد، بل كيف يحظى كتاب واحد بقبول هذا المجتمع وهو المجتمع الذي يتكون بالأساس من ديانتين لكل ديانة كتابها؟ والأهم، لماذا أسعى بالأساس لأن أكون لسان المجتمع ولأفراد هذا المجتمع ألسنتهم، وإذا فعلت ذلك فمن سيتحدث بلساني؟

ثم أليست ألسنة هذا المجتمع وتعددها هي ما يشكل المادة الخام (اللغة) التي أستخدمها، وأصنع منها مأدبة لشخصين؛ أنا والقارئ. فلماذا أعاقَب إذن على استخدام لغة هذا المجتمع؟

ليست الرواية فنًّا موجهًا للجماهير الغفيرة، بل ظهرت بالأساس

t.me/qurssan

لتتجاوز الشعر والسيرة الشعبية اللذين يحكيهما راوٍ على الربابة لجماهير جلوس حوله، ولتصنع وسيطًا فنيًا يتوجه لهذا الفرد الذي يقف في مواجهة وحدة إنسان ما بعد الثورة الصناعية، يلتهم الآلة وتلتهمه.

الرواية ليست أقاصيص نضرب بها الأمثال لعلكم تتفكرون، بل تجربة وانفعال شخصي، حتى لو كان موضوعها تاريخيًا أو واقعيًا اشتراكيًا، فانفعال الكاتب الذاتي هو ما يصوغ الحكاية مهما كانت. وعلى عكس الأمثال وقصص الحكمة التي تحكي دروسًا عن الحياة، فالرواية تطمح لأن تكون أصدق تمثيل عن تلك الحياة بأخطائها ورذائلها ونهاياتها الحزينة و«دروسها» عديمة الجدوى.

أما وقد خالفتَ ذلك، فلم توظف حريتك لخدمة الوطن ومؤسساته، ولم تسعَ لأن تكون لسان المجتمع حتى تحظى بقبول المجتمع، ولم تكتب رواية تعطي العبر والنصائح، يعاقبك القاضي -وخلفه كل مؤسسات القضاء في هذا المجتمع- بتهمة الخروج عن الأعراف والتنكيل بفن الرواية وإهانة الأدب.

يتفرغ الحكم بعد ذلك لشرح علوم البلاغة والمجاز وعلاقتها بالأدب: «وغنى عن البيان ان من علوم اللغة العربية علم البلاغه ومن اساليبها اسلوب الكنايه والتوريه فلو كان المتهم عالما باساليب اللغه وادابها لاستخدام ايا منها في التعبير عما اراد اذا ما اقتضي سياق

t.me/qurssan

الرواية ذلك ولكن اني له بعلوم اللغه فقد اختار لنفسه احط الالفاظ التي لا تستخدم الا في مجتمعات يغيب عنها الناموس الاخلاقي».

كل ما سبق لكي يمنح القاضي حكمه مرجعية أدبية، ليؤسس في حكمه تعريف الأدب وغرضه ووظائفه وكيف تعمل أدواته من مجاز وبلاغة، ضاربًا الأمثال باقتباسات من آيات الرفث، والمحيض، والحرث، والنكاح. لكي ينتقل بعد ذلك إلى النقد التطبيقي على الرواية: **«اذ ثبت للمحكمه من مطالعه روايه استخدام الحياه والمكتوبه بمعرفه المتهم الاول انه استخدم الفاظا وعبارات بذيئة بذاتها واخذ يرددها بفصول الرواية جميعا متلذذا بترديد تلك العبارات والتى سماها هو بالبزيئه (هكذا كتبت كلمة البذيئة في الحكم) وسحرها وعقب صدور حكم اول درجه على احدى مواقع التواصل الاجتماعى وهذه الالفاظ والتى تنناى المحكمة بنفسها عن ترديدها قد حملت انتهاكا لحرمة الاداب العامه وحسن الاخلاق وفيها اغراء بالعهر خروجا على عاطفة الحياء».**

هناك شغف بشخصي المتواضع، فمعاليه لم يكتفِ بالأدلة المقدمة في المحاكمة، بل سعى لتتبع حساباتي على الشبكات الاجتماعية والإنترنت، وأخذ يقرأ ألفاظي البزيئه -تروقني كتابتها بالزاي كما جاء في نص الحكم- ويتخذ مما يجده على تلك الحسابات دليلًا في الحكم دون أن يكون من ضمن الأوراق المقدمة في القضية.

t.me/qurssan

من هذا الشغف بالأدب الذي على ما يبدو أيقظته القضية، ينزلق معاليه في عالم الأدب ونميمته، ففي محاضر وجلسات المحاكمة طلبنا شهادة د. جابر عصفور، وصنع الله إبراهيم، ومحمد سلماوي. بصفتهم أساتذة أدب ومشتغلين به وروائيين، وفي معرض رد القاضي ميسرة الدسوقي على شهادة شهود النفي، قال في حيثيات حكمه:

"كما ان استحسان البعض لما كتبه المتهم ليس سببا من اسباب الاباحه اذ ان فترة المراهقة عند بعض الناشئين قد تطول حتى تكتسح عمر الشباب منهم وجزءا من عمر الكهوله وسبب ذلك الاستسلام التام لعواطف طور المراهقة ووجود المغذيات الشيطانية الخبيثه فليس من البعيد ان يصير الانسان شيخا في سنه وجسمه ويبقي مراهقا في عقله ونفسه".

يدخل منطوق الحكم عند هذه النقطة إلى ساحة عالم الأدب الحديث، مستخدمًا لغة النميمة الأدبية والمجاز والتورية التي تغلب على المعارك الأدبية والثقافية، ليحول ثلاثة من كتاب مصر إلى مراهقين ذوي حب شباب يغرق وجوههم نتيجة لتغذيهم على «مغذيات شيطانية». صورة أدبية سَاخرة تُذكرنا بهجائيات زمن الجاحظ الطريفة، لكن في جوهرها تحمل موقفًا واضحًا في عدائه ضد هؤلاء الثلاثة رغم تنوع مواقفهم السياسية ودرجات قربهم من مؤسسات دولة ذلك المجتمع.

t.me/qurssan

د. جابر عصفور وزير ثقافة سابق وأستاذ جامعي وناقد أدبي من المحلة الكبرى. وصنع الله إبراهيم الذي يقف على يساره، والذي رفض -أمام الكاميرات- الجائزة التي سبق وأن قدمها له د. جابر عصفور لأنها أتت من دولة «تحرس المحتل وتنشر الفساد»، والثالث كاتب ورئيس تحرير سابق لجريدة الأهرام إبدو الفرنسية، وختم حياته في العمل العام متحدثًا باسم لجنة كتابة دستور 2014، ذات الدستور الذي يحاكمني به القاضي، والذي وصف مواده التي تنص على حرية الرأي والتعبير بأنها نتيجة لجهود تلك الفئة: «التي لا هم لهم سوى تحصين أنفسهم من العقاب»، ثلاثة أسماء تمثل طيفًا عريضًا من الكتاب والمثقفين المصريين يجمعهم حب الأدب والاشتغال به والإيمان بحريته.

في المقابل عن ماذا يعبر موقف القاضي ميسرة؟ أهي مجرد ذائقة شخصية أم موقف ضد المؤسسة التي يمثلها من الأدب والمشتغلين به مهما كان اختلافهم، فكلهم يتغذون على مغذيات شيطانية خبيثة؟ أهو غضب تجاه فئة نبذته في مرحلة ما لسبب ما، أم احتقار عميق لدى مؤسسات السلطة بمختلف أشكالها تجاه الأدب والعاملين به، أم أن الأمر ليس أكثر من «واد قليل الأدب» لا يتقن المجاز والتورية لذلك سنرسله إلى السجن ليتعلم الأدب؟

ثم لنفرض أن كل ما سبق صحيحًا، فماذا نملك نحن معشر الكتاب والقراء في مواجهة هذا؟ ماذا يملك الكاتب أمام أي

t.me/qurssan

• مركة؟

-يمس جويس، الذي أقسم يومًا بأن يعبر عن نفسه بأقصى
؛ من الحرية دون الخضوع لمفاهيم العائلة والوطن والكنيسة،
, -دد للكاتب في هذه المعركة ثلاثة أسلحة وهي المكر، الصمت،
والمنفى.

-عزيزي جويس، لقد سُجنت ولم يكن لي سوى الغضب والضحك.

t.me/qurssan

t.me/qurssan

وضع عنا آثامها

في معرض دفاعه عن فن الشعر والأدب وفضله يورد عبد القاهر الجرجاني (1009-1078) حديث محمد بن مسلمة الأنصاري: «ذاكرنا الشكر والمعروف، قال: فقال محمد: كنا يومًا عند النبي -صلى الله عليه وسلم- فقال لحسان بن ثابت: «أنشدني قصيدة من شعر الجاهلية، فإن الله تعالى قد وضع عنا آثامها في شعرها وروايته»، فأنشده قصيدة للأعشى.

t.me/qurssan

t.me/qurssan

مناشدة

ختمت عدالة المحكمة حيثيات حكمها بمنَاشدةٍ للقائمين على أمر البلاد والمشرعين: «والمحكمة وقبل أن تضع قلمها تهيب بالمشرع باعادة النظر في عقوبة الجرائم المنسوبه للمتهمين بالتشديد اذ ان نشر الرذيله في محاوله لهدم قيم واخلاق المجتمع امر عظيم يستوجب مواجهته بالشدة وعدم التهاون مع مرتكبيه كما تناشد الجهات المسئوله عن الرقابة على المصنفات محاربه تلك السموم التي تدس وسط الكتب وضبط وتقديم مرتكبيها الي ساحات العدالة حتى ينالوا عقاب ما اقترفته ايديهم ويكونو عبره لمن ينشد حرية دون ضابط من دين او اخلاق ولا يؤخذكم في الله لومة لائم او صاحب قلم مسموم او صوت عال ينعق على شاشات التلفاز والفضائيات بانها الرده وان الدولة تحارب المبدعين والمفكرين بنس هذا الفكر والابداع او الدين يتحدثون بان الاخلاق نسبيه اعتباريه لا ثبات لها وليس لها حقائق ثابته في ذاتها فهى خاضعة للتبدل والتغيير اليس من العار ان تترك مقدرات امة تحت رحمة هؤلاء يتصرفون بهذه المقدرات بخفة ومجون كما لو كانوا يلعبون الورق وكفانا ما نشاهده ليل نهار على الشاشات من سباب وشتائم وتطاول على اشخاص وجهات بدعوى الحرية بئست تلك الحرية التى لم تجلب لنا سوى ضياع الاخلاق وفسادها ولم نجن منها

t.me/qurssan

سوى الانفلات الاخلاقي الذي اصيب به الكثيرون منذ الاحداث التى شهدتها مصرنا الحبيبة».

هكذا جاءت الفقرة الختامية ببلاغة مدرسية خطابية وبأخطاء لفظية ونحوية فاضحة.

عاقبتني السلطة عندما كنت أصغر بعنف على أخطائي في حق اللغة، كنت كثير السهو والخطأ، وحتى الآن لا أزال أرتكب الأخطاء باستمرار، أعاقب على درجاتي المنخفضة في مادة الإملاء من المدرسين ومن أبي وأمي، ثم أكتشف في سن الخامسة والعشرين بالصدفة أني أعاني من «الديسلاكسيا»، وفي الثلاثين أقرأ حكم المحكمة الذي بسببه ضاعت من حياتي سنة في السجن في طرة وسنة أخرى في السجن الأكبر مصر ممنوعًا من السفر. منذ قرأت الحكم وحتى اليوم وأنا ألعن كل من عاقبني أو صحح لي خطأ إملائيًا أو كتابيًا، كس أم اللغة العربية، أليست أرخص من عاهرة شرموطة بعلبة سجائر ووجبة عشاء من كنتاكي «فراخ سبايسي» تحرق صرم طيزها في صباح اليوم التالي؟ كل ما يحتاجه المرء أن يمتلك السلطة، وبالتالي من حقه أن يمسح باللغة العربية بياض الورق، يكتب حكمًا يعطي فيه درسًا للكتاب وأصحاب القلم، بينما هو عاجز عن كتابة ثلاث كلمات دون خطأ إملائي أو نحوي، جاهل بقواعد الهمزات، لكن لأنه قاضٍ، ولأنه تلك السلطة المكتفية بذاتها المتحصنة بغبائها وجهلها، فمن حقه أن يلوث

t.me/qurssan

اللغة ويهتك عرض قواعدها ويسجن من يستخدمونها.

يمارسُ القَاضي سُلطته من خلال اللغة؛ يقرأ الأوراق والدلائل ويفسر الكلمات، ثم بسلطة اللغة وأرقام القوانين يصدر حكمه. كل القضاة من كل الثقافات والأنظمة القانونية لديهم هذا الميل لتفخيم لغة أحكامهم، معتقدين أن الفخامة والبلاغة تكسب أحكامهم الدموية طَابعًا نقيًّا سماويًّا، كأنما ينفذون مشئية الآلهة ويحافظون على سريان توازن الكون. تأمل مثلًا أحكام الإعدام وكيف يصوغ القاضي ضمن حيثياتها جملًا تدَّعي الحق، والعدل، والخير، والمصالح العليا، والأهداف السامية الخفية العدالة العمياء.

قاضينا لديه مواهب أدبية مدفونة، أو بالأحرى مدفوسة، لديه عداءات واضحة مع تيارات أدبية حددها في الحكم، واصفًا الشهود الذين طلبنا شهادتهم بأنهم مصابون بمراهقة متأخرة، مهاجمًا الصحفيين الذين يدافعون بأقلامهم أو على الشاشات عن حرية الرأي والتعبير. وفي النهاية يذيل حكمه بثلاثة أبيات شعرية، كأنما يريد أن يفرح بابا وماما ويقول لهما انظرا، أنا شاطر وأعرف الأدب وأحفظ الشعر:

إنما الأمم الاخــلاق ما بقيـــت ... فان همو ذهبت اخلاقهم ذهبوا
واذا اصيب القوم في اخلاقهم ... فاقم عليهم ماتمـــا وعـــــويلا
صلاح امرك للاخلاق مرجعه ... فقــوم النفس بالاخلاق تستقم

t.me/qurssan

لكن الراية ظلت مرفوعة حتى بعدما سُجنت، فبسبب ردود الأفعال التالية لسجني، تحمس عدد من الكتاب والمثقفين في البرلمان للتقدم بمبادرة لتغيير قانون خدش الحياء، وحذف عقوبة السجن منه تماشيًا مع الدستور الجديد الذي يمنع الحبس في جرائم الرأي. تقدمت النائبة نادية هنري، والنائب أحمد سعيد بمشروعين مختلفين لتغيير القانون. وفاق الجهد الذي بذله أصدقاء وسياسيون من خلف الستار لتغيير القانون كل التوقعات.

في الليالي الحارة وحينما تهب نسائم باردة في الفجر كنت أتخيل نجاح هذه المساعي، لو كانوا نجحوا في تغيير القانون، وخرجت من السجن بسبب ذلك. كان هذا ليكون النصر الذي سيضيف لليالي السجن معنى، أو ربما يحمي آخرين من الدخول للسجن وخوض ذات التجربة.

عرض مشروع القانون على اللجنة التشريعية، ورغم أن القانون حاز على تأييد وتوقيع أكثر من 160 عضوًا، لكن ممثل وزارة العدل أبدى اعتراضه على المشروع قائلًا إن الأمر من اختصاص وزارته، وأنهم يعدون لمشروع مُتكَامل لإلغَاءِ المواد التي تعاقب بالحبس في جرائم حرية الرأي والتعبير، ما إن صرح ممثل الحكومة بهذا الأمر حتى تغيرت آراء بعض السادة الأعضاء، وظهر عضو البرلمان الشهير الذي أخذ يهاجم مشروع القانون، بل وطالب بمحاسبة نجيب محفوظ لأنه خدش الحياء العام، ولأن

t.me/qurssan

أعماله تحضّ على الفسق والفجور.

بعد عدة أشهر كان الرئيس يفتتح واحدة من مشروعاته القومية؛ مزرعة أسماك أو محطة صرف صحي، حينما طلب أحد أعضاء البرلمان الحاضرين الكلمة مناشدًا الرئيس تأجيل قرار الحكومة بزيادة أسعار البنزين، فانفعل عليه الرئيس وشخط فيه بالإفيه الشهير «أنت دارس الكلام اللى بتقوله؟». حينما سُلطت الكاميرا على وجه عضو البرلمان والرئيس يشخط فيه تغير لون وجهه من لون الطماطم إلى الأصفر الباهت. أظن أنه بلل سرواله، كان يرتعد كقط خائف، ومن عبث القدر أن هذا هو عضو البرلمان الذي وقف ضد تعديلات قانون خدش الحياء العام، واستعرض عضلات جهله مُهَاجمًا نجيب محفوظ.

اليوم الحادي والستون بعد المئة، السبت 30 يوليو 2016

«إن كلمة «جارح» هي مجرد مرادف لكلمة «خارق» وبالطبع فإن العمل الفني العظيم هو دائمًا عمل أصيل، لذلك يجب أن يطوى دائمًا من حيث طبيعته، على مفاجآت صادمة».

نابوكوف

t.me/qurssan

اليوم الثالث والستون بعد المئة، الإثنين أول اغسطس 2016

بالأمس كنت أفكر في قضية إسلام البحيري، الرجل حبيب الأجهزة الأمنية والإعلامية ومع ذلك لم تحمه من غضبة الأزهر وعضات شيوخه. الفرق الوحيد أنه محبوس في سجن المزرعة في زنزانة منفردة، يُفتح له للتريض طوال النهار، بينما أنا أتعفن أنا هنا في عنبر متكدس، لا يتوقف جسدي عن إخراج العرق وأتعثر في المساجين النائمين على كل بلاطة.

ثم استيقظت اليوم لأقرأ في الجريدة خبر تأييد حكم الحبس على إسلام من محكمة النقض. تملكني غضب وضيق خشن. أخذت أحرق السجائر منذ الصباح، وأتدثر بصمتي مُحَاذرًا الانفعال. لن أجلس هنا في مكاني حتى أتعفن لمدة سنتين والحبل يلتف حولي. لن أكسب شيئًا من الانتظار، سأصدم رأسي في الجدار ما داموا يصرون على وضع الجدار أمامي.

سوف أسألهم الزيارة القادمة عن وضع طلب النقض الذي تقدمنا به، والذي لا يزال في الثلاجة طوال هذه المدة، إذا استمر تعنت الجهات القضائية، سوف أعلن إضرابًا عن الطعام مطالبًا بحقي في التقاضي.

t.me/qurssan

أين حرزي؟

لم يحدد الحكم ما الكلمات/الجمل/الفقرات التي عُوقبت بسببها؟ ما الكلمات الخادشة للحياء؟ ما الجملة التي نشرتُ بها الرذيلة وهدمت قيم المجتمع؟

سبع صفحات من القطع الكبير نتنقل فيها بين دروس الأدب والبلاغة.

إن قواعد صياغة الأحكام وإصدارها تنص على ضرورة أن يحدد القاضي الأدلة والأحراز التي أصدر حكمه بناءً عليها.

إذا كنت قاتلًا فلا بدَّ من جثة، وإذا كنتَ خادشًا للحياء فما الجملة التي خدشتَ بها؟

تتعالى المحكمة فوق ذكر هذه الألفاظ أو تعيينها، وبالتالي لا يعرف «خادش الحياء العام» ما سبب جريمته؟

بل لا يعرف المجتمع ما الكلمات المجرمة، وهو أمر خطير فعدم تعيين المحكمة للألفاظ الخادشة يجعل الأذى متروكًا في القواميس والمعاجم، وبسهولة يمكن أن تنزلق تلك الكلمات مرة أخرى للمجتمع فتسممه. كيف إذن يحمي الكُتَاب الآخرون أنفسهم إذا لم يعرفوا الكلمات التي قد تودي بهم إلى السجن؟

t.me/qurssan

سلطة المحكمة تشمل كل أفراد المجتمع، دون أن يمتلك أفراد ومؤسسات المجتمع أي صلاحية لمراجعتها. سُلطة المحكمة فوق اللغة حتى أنها تستطيع أن تصدر أحكامها من دون همزات أو تاءات مربوطة، لكن هذه السلطة لا يمكنها أن تذكر الكلمات التي كتبتها، تلك الكلمات خارج سلطات المحكمة، تلوث رداءها وتهدم قدسيتها وسموها المفترض الذي تتعالى به على الجميع.

هناك إذن تلك الكلمات التي لا تجرؤ أعتى السلطات على ذكرها أو التلفظ بها أو حتى وصمها كألفاظ مُجرمة. هذه الألفاظ السرية المخيفة التي تخرج من أفواه الناس عند الغضب، أو النيك، أو الهزار، أو العراك.

لكن لا دخل لك بسلطات المحكمة، أنت كاتب ولا يمكن لأحد أن يمنعك من استخدام هذه الألفاظ الجارحة الخادشة القاسية الغاضبة. كيف تتخلى عن تلك القوة المخيفة المدمرة للمجتمع وقيمه، كيف تتخلى عن اللهو بها.

اليوم التاسع والسبعون بعد المئة، الأربعاء 17 أغسطس 2016

حلمت أني في منزل عمرو كفراوي ومروة، وهناك وجدت لوحة بديعة حينما سألت لمن هذه اللوحة أخبروني أنها للأختين «قليني». اذهب للفنانتين واطلب عمل حوار صحفي معهما يكون

t.me/qurssan

على هيئة دردشة مفتوحة خلال يوم كامل نقضيه معًا.

أجلس معهما في سيارتهما. تتوقف السيارة على الطريق الواصل بين منية سندوب حيث وُلدتُ وبين سندوب. فجأة يغمى على واحدة منهما، وكأن هذا أمر طبيعي، أحملها ونسير باتجاه عربة أخرى في الضباب. فجأة ألمح في الضباب الكثيف طارق العريس يلوِّح لى سعيدًا لسبب ما بينما لا أستطيع أنا أن أبادله التلويح لأن يدي تحمل الفنانة المغمى عليها. أهتف لطارق بجملة تبدو حين نطقها سحرية وممتعة لسبب غير مفهوم، أقول له: «على طريق الضباب».

اليوم الخامس والثمانون بعد المئة، الثلاثاء 23 أغسطس 2016

احترفت تفسير الأحلام وقراءة الفنجان. رأيت كيف ينمو الشغف بالأحلام والرؤى.

الكل يعتبر نفسه مظلومًا، الكل ضحية لظلم كوني يمتزج فيه كيد النساء مع صلف السلطة، لكن الكل لديه أمل النبي يوسف. يومًا ما سأخرج من هنا لأستعيد حقي وحق أولادي.

في البؤس واليأس والذل والهوان، لا شيء يبعث الأمل سوى الأحلام.

تنبأ يوسف بمصير صاحبي السجن، وبينما يحلم كل من حولي

t.me/qurssan

ويندفعون لروى أحلامهم لكل من حولهم، يناسبني أكثر دور يوسف سأجلس مستمعًا لأحلامهم مسخرًا لغتي وألفاظي لبث الأمل فيهم.

سار الأمر بانسيابية، يأتي أحدهم ويروي حلمه، أمزج معرفتي البسيطة بقواعد التحليل النفسي وبما أعرفه عن المسجون وقضيته، ثم أنطق بالجمل والكلمات، وأنا أنظر لعينيه. كل جملة يجب ألا تنطق بمعنى محدد، بل تكون مفتوحة على التأويلات المتعددة كقصيدة نثر.

يمر يومان ثم يأتي المسجون: «أستاذ أحمد... والله أنت فيك شيء لله»، يخبرني أن ما قلته كان صحيحًا، وابنته فعلًا حصلت على وظيفة جديدة. ترسخت الأسطورة كمفسر أحلام. أضفت لها -أيضًا- قراءة الفنجان.

حددت الساعة 8 بعد تناول العشاء لقراءة الفنجان. لا أقرأ أكثر من فنجانين. المهم هنا الطقس، نصب القهوة ونحن نتحدث، أطلب منه أن يسمي الله ويشرب القهوة على ثلاث مرات. أضع طبقًا فوق الفنجان ثم أقلب الفنجان. دقيقة صمت، ثم أتناول الفنجان، وأشرح له. بعينك سنقسم الفنجان إلى أربعة أرباع، الربع الأول على اليمين يخص وضعك المادي، الربع التالي فوقه يخص حبيبك وأسرتك، الربع الثالث على اليسار يخص المستقبل، الربع الذي فوقه على اليسار صديق أو عدو، والآن على حسب الأشكال الشبحية التي يكونها تفل القهوة، يكون همس الفنجان.

t.me/qurssan

ذات صباح في سيناء

وصلنا سيناء أمس، السماء زرقاء وكذلك البحر، الجبال من خلفنا. أنا مرهق بقلب ثقيل، ولديّ هذه العلاقات العاطفية وقصص الحب والانكسارات التي لم أشف منها، وحياتي تطفو في بركة خضراء آسنة.

وضعتُ نظارات الماء على وجهي، وهممت نحو البحر متشوقًا لرؤية أسماكي وشعبي المرجانية وألوان البحر الأحمر الذي أصبحت مراقبة كائناته الأمر الوحيد الذي يبعث على السكينة في صدري، ثم رن الهاتف لأسمع مكالمة من أخبار الأدب، يخبرونني فيها بورود استدعاء من النيابة العامة لي أنا ورئيس التحرير الزميل طارق الطاهر.

ركبني الحزن، شعرت به جملًا يبرك على صدري لاضطراري للسفر إلى القاهرة ومغادرة سيناء والأصدقاء بعد أشهر طويلة من انتظار تلك الرحلة.

في الباص العائد للقاهرة، تذكرتَ بداية الأشياء، وخمَّنتَ من أين أتت الضربة.

في زمن الإخوان، وبعد مغادرة الأستاذة عبلة الرويني منصب

t.me/qurssan

رئيس تحرير «أخبار الأدب»، جاءنا شخص لا نعرفه، هبط من سلطنة عمان يرتدي بدلة بصديري، ويدخن سجائر رخيصة، لكن يضعها في علبة معدنية فخمة ويستخدم المبسم البلاستيك لتدخينها. منذ زمن الراحل جمال الغيطاني استقر أمر إدارة «أخبار الأدب» لتكون إدارتها مجهودًا مشتركًا بين رئيس التحرير ومجلس التحرير الذي يتكون من مجموعة من المحررين القدامى، بل في أحيان أخرى كانت مسؤولية تحرير العدد يمنحها الغيطاني لأحد الزملاء، خصوصًا إذا كان عددًا خاصًّا عن موضوع أو شخصية محددة عمل عليها الزميل.

حاول مجلس التحرير التعامل مع رئيس التحرير الجديد، لكن باءت كل المحاولات بالفشل، والنتائج خرائبية وخرائية، في مرحلة ما وصلنا لاتفاق يقتضي باقتسام الجريدة بيننا وبينه، وكانت النتيجة حالة نادرة وفريدة، حيث تجد مقال رئيس التحرير يكيل المديح لسياسات الإخوان الثقافية، بينما بقية الجريدة مواضيع ضد سياسة الإخوان ورئيسهم.

في النهاية، وصل الأمر إلى حائط مسدود، أعلن معظم الزملاء الإضراب عن العمل، ولشهور أخذ رئيس التحرير يصدر الجريدة بنفسه وبمعاونة مجموعة قليلة من الزملاء، قدّم خلال هذه الفترة أعمالًا عظيمة، فأحد الأعداد حمل على غلافه صورة باسمه لخيرت الشاطر والعنوان المصاحب كان شيئًا مثل «هل ينقذ الشاطر

t.me/qurssan

الثقافة المصرية؟».

تورط رئيس التحرير، الذي ينسب لنفسه لقب «دكتور»، في عدد من الإفيهات جعلته سخرية الإنترنت والوسط الثقافي؛ كإصراره أن كارل ماركس أعلن إسلامه في أواخر أيامه. كان يؤلف الجمل والعبارات التي تمدح الإسلام والنبي محمد -صلى الله عليه وسلم- وينسبها إلى ماركس، لم أفهم أبدًا سر ولعه بهذا الأمر؛ أكان يأمل من خلال هذه المواضيع إقناع اليساريين من قراء الجريدة بالعودة لصحيح الدين والانضمام للإخوان مثلًا؟

لكن الغرائب معه لم تنته بزوال حكم الإخوان، فبعد 30 يونيو ظل اسمه رسميًّا رئيسًا للتحرير، لكن الزملاء في الجريدة سيطروا على العمل بمنطق الانقلابات، بما أننا كنا في عام الانقلابات. أخذ مجلس التحرير زمام المبادرة وكنّا نصدر الجريدة كاملة، بينما هو محبوس في مكتبه، وأحيانًا سمحوا له بكتابة مقاله الأسبوعي.

بالطبع، لا حاجة لأن أقول إن مقالاته بعد 30 يونيو تحولت من اللحس للإخوان، إلى اللحس لمن قتلوا الإخوان. حاول إعادة وضع المكياج المناسب والبحث عن وسيلة للبقاء، وبعد عام في هذا الوضع الغريب، تم تعيين ياسر رزق رئيسًا لمجلس إدارة أخبار اليوم واختير الزميل طارق الطاهر رئيسًا للتحرير في 2014. وانتهت حقبته من أخبار الأدب، وإن ظل لشهور بعدها يظهر في التلفاز ويقدم نفسه بصفته رئيس تحرير أخبار الأدب الشرعي.

t.me/qurssan

تغير وضع الصحافة عمومًا في تلك السنوات بسرعة شديدة بينما كنا مشغولين بصراعات التحرير والإدارة في الجريدة، وأخبار الأدب -بحكم أنها في النهاية أحد إصدارات مؤسسة أخبار اليوم- مُقيدة بآلاف القيود. لم نتمكن من إنشاء موقع إلكتروني عملي وبسيط ويحتوي على أرشيفنا؛ لأننا كان يجب أن نلتزم باختيارات مؤسسة أخبار اليوم. كانت أعداد أخبار الأدب المباعة في الخارج أكثر من المباعة في مصر، وكنا نرغب في تحسين نظام توزيع الجريدة التي لم تكن تصل إلى الكثير من المناطق داخل مصر، لكن كل هذا كان مرتبطًا بوضع شبكة أخبار اليوم للتوزيع. كان الترهل، وانعدام الخيال، والبيروقراطية، وسيطرة الموظفين ومندوبي الإعلانات قد حول أخبار اليوم إلى مقبرة جماعية مفتوحة تتعفن فيها الجثث عارية تحت الشمس في الصباح وتلهو فيها الديدان في المساء، لكن كنا نقاوم لأنه لا يوجد تصرف آخر يمكن ارتكابه.

محمد شعير، واحد من أمهر الصحفيين والكتاب الذين تعاملت معهم وتعلمت منهم، أصبح مديرًا للتحرير، كنا نعد عددًا خاصًا عن وسط البلد، وقد أنهيت روايتي الثانية «استخدام الحياة» وأنتظر صدورها قريبًا، تحتل القاهرة نقطة الارتكاز الأساسية في الرواية. وتدور الكثير من أحداث العمل في منطقة وسط البلد. طلب شعير مني فصلًا لنشره ضمن الملف عن وسط البلد، كان هناك عدد محدد من الكلمات. بالتالي أخذت أبحث عن فصل

t.me/qurssan

مرتبط بوسط البلد، وعدد كلماته يناسب عدد الكلمات المخصص لمساحة النشر، اخترت الفصل الخامس وأرسلته.

نُشر العدد وبه الفصل الخامس من الرواية، كنت في هذه الفترة في زيارة عمل لبرلين، لم يكن لدي إنترنت طوال الوقت. لكن قبل عودتي لمصر وجدت رسالة من الغالي أحمد وائل تخبرني بأن هناك مشكلة. عدت للقاهرة وذهبت للجريدة لأجد ارتباكًا وتوترًا في المؤسسة، علمت بعد ذلك أن رئيس التحرير السابق قام بشراء أكبر عدد ممكن من نسخ الجريدة، ثم صور الفصل المنشور وأخذ يوزعه على العمال والموظفين في المؤسسة مرددًا في أداء مسرحي: «انظروا لأخبار الأدب بعد أن تركتها وسيطر عليها الشيوعيون، أصبحت تروج للجنس والإلحاد». شاحنًا بذلك العاملين في المؤسسة ضد الجريدة وضد القيادات الصحفية الجديدة في المؤسسة. حسبما روى لي طارق الطاهر ومحمد شعير بعد ذلك فقد شعر رئيس مجلس الإدارة الجديد وقتها بضرورة اتخاذ موقف ما للحفاظ على ماء وجهه أمام غضب الموظفين والعاملين في المؤسسة، لذا قرر عقابي بالإيقاف عن العمل لمدة شهر مع صرف راتبي.

شعرت بالغضب والظلم حينما أخبروني بالقرار، خصوصًا وأنه لم يتم التحقيق معي كما تقتضي اللوائح، بدا أن الزميلين طارق وشعير اختارا المهادنة في هذه المعركة، وبدا للجميع أن هذا موقف تكتيكي مناسب لوضع الجريدة ومُحاولات إنقاذها. هون

t.me/qurssan

الجميع الأمر عليَّ، قائلين بأنني يمكن أن أعتبر المسألة إجازة مفتوحة أتقاضى عنها راتبي كاملًا.

بعد عدة أيام وصلني على المنزل خطاب مسجل بعلم الوصول من أخبار اليوم، يخبرني بشكل رسمي بإيقافي لمدة شهر عن العمل بسبب قيامي «بخرق ميثاق الشرف الصحفي». كنا في شهر أغسطس 2014، ولم تصدر الرواية بعد. وما تخوفت منه حدث، وجدت زميلًا صحفيًا من جريدة أخري يتصل بي يسألني إذا حقًّا تم منعي من الكتابة، نفيت الأمر ورفضت التعليق ولم ينشر هو شيئًا. عاتبني بعض الأصدقاء لالتزام الصمت لكن وجهة نظري حينها أن مثل هذه الضجة ليست مفيدة للرواية وستؤثر على استقبالها، وتنقلها من عالم الأدب إلى عالم النميمة والإثارة على الشبكات الاجتماعية، والسبب الثاني هو محبتي واحترامي للزملاء في أخبار الأدب الذين رأوا أن التصعيد لا يصب في مصلحة الجريدة ومحاولات إنقاذها.

غمر النسيان الأمر، واستمتعت بإجازتي الرسمية، عدت لأخبار الأدب لكن علاقتنا تغيرت، سحابة من الغضب العدمي تغمرني كلما دخلت لمكاتب الجريدة في مبنى أخبار اليوم، لم أكن أعرف ما الذي أفعله في هذا المكان. من جهة كانت المرتبات التي نجنيها متدنية جدًّا ولا تتناسب مع ارتفاع الأسعار ومعدلات التضخم الاقتصادي في البلاد، وهو الوضع الذي يعاني منه

t.me/qurssan

كل الصحفيين العاملين في المؤسسات القومية. لكنه لم يكن بالوضع الجديد فمنذ سنوات صرت أعتمد على الكتابة والعمل في مجالات أخرى كمصدر أساسي للدخل. ظل ولائي لأخبار الأدب مبعثه حنين لجريدة دافعت عن حرية الرأي والتعبير المطلقة، ووقفت وحيدة مُنحَازة لهذا الحق في أزمات سياسية مُشتعلة كأزمة وليمة لأعشاب البحر، والآن أعاقب بتهمة «خرق» ميثاق الشرف بسبب ممارسة هذا الحق، أعاقب حتى بلا فرصة للدفاع.

كُنت سَعِيدًا حينما صدرَتْ الرِّوَايَةُ. شَعَرْت بِالتَّحَقُّقِ، وَالْخُرُوج أخيرًا مِنْ بَحْر مُظْلِم كُنت أَغَرقُ فِيهِ آخِر أَرْبَعَةِ سنوَات مُصَارِعًا أَمْوَاجًا مِنَ الدُّموعِ الْمَالِحَة، وَالْعَجز، وَالْأَخْطَاء التي لَا يُمْكِن إِصْلَاحُهَا والْخَسَارَاتُ الْفَادِحَةُ لِأَشْيَاء تُوُهّمت اِمْتِلَاكَهَا.

في حفل إطلاق الرواية في جاليري مدرار، أقيم معرض لرسومات أيمن الزرقاني، وعرض فيلم تحريك قصير لأحد فصولها. كنت سعيدًا لأني فعلت ما أريد وبطريقتي سعدت بالأصدقاء الذين أتوا، بفرحتهم وبفرحتي بوجودهم في حياتي وتشاركي معهم بسري، بحبي للأدب وحبي لهم.

اليوم الرابع والأربعون، الإثنين 4 أبريل 2016

حلمت أن العالم -بسبب التغييرات المناخية- ظهر فيه نوع

t.me/qurssan

جديد من الدببة الناطقة التي بدأت تهاجر من أماكنها وتطالب بحقوقها ويتم التعامل معها كلاجئين غير شرعيين. الدببة أصبحت حيوانات ناطقة لكن لسبب ما لا يتم النظر إليها ككائنات كاملة الإرادة والعقل، لذا تصدر تعليمات بمنع زواج الدببة من النساء البشريات. ثم يتسرب فيديو لممارسة جنسية سادية الطابع بين دب وسيدة آدمية. ينقسم العالم وتحدث اضطرابات كبيرة. وفي وسط كل هذا أقطع رحلة طويلة لأصل لشاطئ بديع بعيدًا عن هذا الصراع، حيث أقابل أختي وابنها ونسبح معًا نحن الثلاثة ونحن سعداء.

اليوم فجأة سقط على الأرض مسجون كبير في السن وحجمه ضخم، حتى أنه حينما سقط فاقدًا الوعي احتاج لنحو ستة أفراد ليحملوه. عرفت أنه مريض بالقلب، ونتيجة ضعف التهوية ووضع الزنزانة يصاب بمثل هذه الأزمات. جاره في المصلب جرى نحوه بعلبة أقراص، ووضع قرصًا تحت فمه. نادوا على السجان الذي بدوره نادى على طبيب السجن. فتح السجان باب الزنزانة، حملوه وأخذوه إلى العيادة.

اليوم الخمسون، الأحد 10 أبريل 2016

المطر والبرق والرعد ظلوا مستمرين طوال الليل، لم أستطع النوم. إلى جانب هذا، فلما يقرب الساعتين في الليل استمر نداء

t.me/qurssan

المساجين في زنزانة مجاورة على السجان، يصرخون ويخبطون بأيديهم على الصاج الحديد لباب العنبر، يكررون النداء «واحد بيموت يا شاويش».

t.me/qurssan

t.me/qurssan

والمحكمة جنب المشرحة

اتصلت بالزملاء في مؤسسة حماية حرية الفكر والتعبير، وتواصلت مع محمود عثمان المحامي، ومع الصديق الأستاذ ناصر أمين. ذهبنا معًا إلى محكمة زينهم حيث مقر النيابة، بصحبتي رئيس التحرير الجديد طارق الطاهر والمتهم معي في ذات القضية، ومحام من نقابة الصحفيين، ومحام من مؤسسة أخبار اليوم. في بهو المحكمة صافحني محامي المؤسسة متأففًا، وفي الطريق نحو المصاعد المزدحمة برواد المحكمة برطم كلامًا معاتبًا على نشرنا لكلام «قلة أدب».

تقع محكمة زينهم في نهاية شارع بيرم التونسي بالسيدة زينب، يمتد الشارع الضيق شاقًا أطلال مصر القديمة ومباني الأحياء الشعبية، بجوار المحكمة يوجد مستشفى بيطري خيري، ثم مشرحة زينهم أو مبنى الطب الشرعي، ثم المحكمة المبنية على الطراز الروماني حيث أعمدة بيضاء ضخمة تحول لونها إلى الأصفر الترابي المحبب للقاهرة، وأمام المحكمة ينتصب سور شاهق يخفي جزءًا من خرائب ومقابر مصر القديمة.

اتفقنا أن يدخل طارق الطاهر أولًا ومعه كل المحامين، وعلى حسب اللقاء مع وكيل النيابة وتعامله مع طارق نحدد

t.me/qurssan

استراتيجتنا، هل يعلنون عن وجودي وأدخل للتحقيق إذا رأوا أي قدر من التجاوب، أم يدعون غيابي وبالتالي لا نحضر التحقيق أمام وكيل النيابة هربًا من أي تصرف غير متوقع، كأن يتحفظ عليّ مثلًا.

غرقت في بؤس المحكمة؛ عائلات يفترشون الأرض المتربة، رائحة عطنة تملأ ممرات المبنى الضخم، على السلالم يجلس المتهمون والأصفاد في سواعدهم يدخنون السجائر ويرتشفون الشاي في انتظار العرض على النيابة، أطفال بصحبة سيدات عجائز تمسح أطراف عباءتهن السوداء تراب عدالة المحكمة، ثم ودون مقدمات يتوقف كل شيء، يظهر شخصان أحدهما في زي شرطي ويشقان الزحام ليخلقا ممرًّا داخل الممر وهم يصرخون مطالبين الجميع أن ينتحى، مطالبين الجالس أن يقف؛ لأن سيادة المستشار سيمر، ثم يطل جلالته على الرعية، يسير بخطوات مُتسارعة مُتحاشيًا أن تقع عيناه على أي شخص من المتسمرين في أماكنهم حتى يعبر معاليه، وفي عبوره تسبقه رائحة ثقيلة من عطور قوية ونفاذة، وكأنها درع يحميه من الروائح الزنخة لهواء المحكمة، التصقت بالحائط وسيادته يعبر، كان هذا أول لقاء لي بفخامة سلطة العدالة.

عرفت سُلطة أمنَاء الشرطة ورجالها وهى كسلطة كلاب الشارع مُخيفة بضجيجها، لكن إن مررت بها بلا خوف أو أدرينالين في

t.me/qurssan

جسمك فستنصرف من طريقك. عرفت سلطة رجل الدينِ، تأتي بابتسَامةِ عَريضةِ كنصيحةِ وحصَار حب مجنون يفرض عليك أن تكون كما يريده وإن رفضت أو حاولت الهرب سيقتلك في نوبة جنون عاطفي. شكرًا لميدان التحرير وأحياء عابدين وبولاق أبوالعلا، منها عرفت -أيضًا- سُلطة السلاح، الدبابة التي تحتل الشارع وتفرض عليك تغيير مسَارك. تكره وجودها لكن ستحتمي بها إن دعت الحاجة لتخلصك من خوفك وتدهسك. سُلطة صاحب القرش وبراغيثه التي ستمص دمك وتستغل تعبك. وأيضًا سلطة الدهماء والرعاع والهُمل وغيرهم من الهوام والقوارض وذوي الحوافر.

لكن معاليه لم يكن صورة أو مجازًا مثل أي شكل من أشكال السلطة. بل سلطة صافية، لا يحتاج للسلاح، لا يتلقى فتحًا من السماء، ولا يملك المال. سُلْطَةٌ لَا تَحْتَاجُ لِأَدَوَاتٍ لِمُمَارَسَةِ سِيَادَتِهَا، بَلْ تُعبرُ عَنْ نَفْسهَا بِلَفْظِهَا وَكَفى.

يَخْلَقُ اللَّهُ الْعوَالم أَوْ يُنهيهَا بلفظ الْكَاف والنُّون، كَذَلِكَ مَعَالِيَهُ يَنْطِقُ فَيُطَاعُ، وَلَا يُمْكِن رَدُّ حُكْمِه بِالْمَالِ أوالسِّلَاَح طَالَمَا نُطَقَهُ، حَتَّى إِنْ قَتَلته أَوْ هَرِبَتْ فَحُكْمُهُ موشوم عَلَى تَارِيخِكَ. مجال حكمه وسلطته ممتدة إلى المستقبل، وبينما يغفر الله فحكم القاضي لا ترده أو تحميه التوبة.

سلطة القضاء لا تستمد شرعيتها من أي شيء خارجها بل إنها

t.me/qurssan

ما تمنح الشرعية لكل أشكال السيادة التي تمارسها السلطات الأخرى، تحدد ما هو شرعي وما هو محرم، ما هو إجرام وما هو حق، وأفعالها ليست موضوعًا للسؤال أو المحاكمة. يمكن للحروب أو الثورات أو الانقلابات أو الاستعمار أو حتى التطور الصناعي أن تقضي على مؤسسات السلطة داخل الدولة أو تغير من طبيعتها أو طبيعة علاقات القوة داخل المجتمع، لكن أبدًا لا يمكن أن تمس سلطة معاليه أو تغيير طبيعتها، أو بهائها وهي تطل على المقابر.

غارقًا في تفاصيل مسرح العدالة مراقبًا من حولي، بدأت الحركة تخف تدريجيًّا، الموظفون أخذوا في الانصراف، اقتربت الساعة من الخامسة ولا يزال طارق في الداخل، وكيل النيابة كان عنيفًا في تحقيقه، أحد المحامين الذين حضروا معه أخبرني مقتطفات عبثية من التحقيق. هددهم باتهامي بتعاطي المخدرات لأن بطل الرواية بسام بهجت -في جزء من المشهد المنشور- يقوم بتدخين سيجارة حشيش، وحيث إن الرواية مروية بضمير المتكلم ولأن وكيل النيابة يعتبرها مقالًا، فاعتبر المكتوب اعترافًا بتعاطي الحشيش وممارسة الجنس. محامي المؤسسة خرج متجهمًا وسألني بجدية بالغة: «**مين صاحبتك الست معلقة دي؟**» في إشارة لاسم شخصية في الرواية كان وكيل النيابة مهتمًّا كثيرًا بها وبتفاصيل علاقتي بها.

قاومت الضحك والشخر لأن الأمر جدي وأي تصرف انفعالي

t.me/qurssan

تكلفته عالية، قرر المحامون أن أنصرف وألا نخضع للتحقيق مع وكيل النيابة هذا؛ لأن الأمر ميئوس منه ولا سبيل للتفاهم معه، محام آخر استغرق نصف ساعة ليشرح لوكيل النيابة الفرق بين المقالِ والقصة والخيال، وظل وكيل النيابة يجادل بأن ما أمامه هو اعتراف بالفجور وتدخين المخدرات ونشر للزنا، وإذا كان كذبًا فهو جريمةَ ونشر معلومات كاذبة. هنا تدخل طارق الطاهر ليضرب له مثلًا بمسلسل غادة عبد الرازق وأنه لا يمكن محاكمة غادة عبد الرازق لأنه في مشهد ما قتلت أحدهم. استدرك وكيل النيابة الموقف وسأله بجدية: «**إذن المنشور قصة مسلسل؟**» وحينما جاوبه طارق بالإيجاب، سأله وكيل النيابة بحماس وفضول: «**وأين إذن بقية حلقات القصة؟**».

لقطتي المفضلة من التحقيق مع طارق حينما انفعل بسبب طول مدة التحقيق وألقى خطبة عصماء عن دور القضاء والنيابة في الدفاع عن التنوير وحرية الرأي والتعبير استشهد فيها بموقف المستشار محمد نور وكيل النيابة الذي حقق مع طه حسين في قضية الشعر الجاهلي، وكيف انحاز لحرية الرأي والتعبير وأمر بحفظ التحقيقات مع طه حسين، هنا استوقفه وكيل النيابة وبجدية قاطعة: «**مين المستشار محمد نور؟ أنا معرفش حد بهذا الاسم**».

لم يتم الإفراج عن طارق الطاهر إلا في السادسة مساءً، كان هناك توجه لترحيله للقسم لكي يخلي سبيله من هناك، لكن في

t.me/qurssan

النهاية تم إخلاء سبيله من النيابة.

استقر رأي المحامين ألا نرد على أي استدعاء يصلنا من النيابة، وكان رأيهم أن ذلك سيجعلهم يأخذون مسارين؛ الأول أن يحفظوا القضية مثلما يحدث في الكثير من تلك القضايا التي يرفعها أشخاص ليسوا ذوي صفة، أو أن تتصدى النيابة بصفتها حارسة للقانون وفارسة درع أخلاق المجتمع، لتحيل القضية للمحكمة. قررنا –أيضًا– التزام الصمت، فإذا صعدنا الأمر إعلاميًّا يمكن أن يستفزهم ذلك أكثر، لكن إذا صمتنا فيمكن أن يغمر النسيان القضية.

من المهم هنا أن تعلو فوق تفاصيلك لتقدم نظرة أوسع عن الظرف السياسي العام.

تم إقرار دستور 2014 بالفعل، واحتوى على الكثير من المواد التي تحصن حرية الرأي والتعبير وتجرم الحبس في قضايا حرية الرأي. اعتبرت النخبة الإعلامية والثقافية أن هذا هو نصرها الذي ظفرت به جراء مشاركتها في ثورة 30 يونيو. وكان الرد من قبل مؤسسات القضاء تحديدًا هو رفض هذا الاستثناء والإصرار على تركيع الصحفيين. تعمدت النيابة العامة حبس الصحفيين احتياطًا على ذمة اتهامات تخص آراءهم السياسية وممارستهم لعملهم، فذهبت نقابة الصحفيين إلى القضاء الإداري الذي أكد عدم جواز حبس الصحفيين تماشيًا مع دستور 2014، لكن

t.me/qurssan

النيابة أصرت على موقفها وعلى صحة إجراءاتها، بل تعمدت النيابة فتح كل القضايا المتهم فيها صحفيون، ومنها بالطبع قضيتي.

في صيف 2015، بلغ عدد الصحفيين المحبوسين بسبب قضايا ذات علاقة بحرية الرأي والتعبير نحو 22 صحفيًّا جميعهم من أعضاء النقابة، ناهيك عن المحبوسين في قضايا تمس حرية الرأي دون أن يكونوا مقيدين في جداول النقابة. تصاعدت أزمة نقابة الصحفيين مع النيابة العامة وتزايدت حالات القبض على الصحفيين وحبسهم على ذمة قضايا وهمية، وانفجرت الأزمة بعد أحداث تيران وصنافير (أبريل 2016) حينما اقتحمت قوات الأمن مبنى نقابة الصحفيين للقبض على الزميلين عمرو بدر ومحمود السقا في مخالفة للقوانين التي تنظم التعامل مع مبنى نقابة الصحفيين، بل وأصدر جهاز النيابة العامة بيانًا في سابقة فريدة من نوعه ليؤكد أن كل شغله «مية مية»، وأنه سيقبض ويطارد الصحفيين في كل مكان. بالطبع لم تستطع النقابة والصحفيون توجيه غضبهم إلى جهاز النيابة العام، فاختاروا للمعركة وزير الداخلية الذي صبوا عليه غضبهم. في حين وجهت النيابة العامة لنقيب الصحفيين واثنين من أعضاء مجلس النقابة تهمة إيواء مطلوبين للعدالة، ثم بالتعاون بين جهاز النيابة والأجهزة الأمنية ومخبري الحكومة من الصحفيين تم توجيه الضربة القاضية لمجلس النقابة الذي قاد المقاومة السلمية ضد تسلط جهاز

t.me/qurssan

النيابة، حيث انتهى أمرهم بعد انتخابات نقابة الصحفيين في 2017، حينما تم إسقاط النقيب يحيى قلاش وأعضاء مجلس النقابة المؤيدين له.

لكن لنعد لصيف 2015، هذه المرة ذهبت أنا وياسمين لسيناء، أول مرة تذهب هي إلى طابا ونويبع، مكاني المفضل، الطقس بديع، والبحر صافٍ، وتقريبًا كنا وحدنا في الكامب. نمنا تحت النجوم، وصنعنا صروحًا من الأحلام، غارقًا في عالمها كنت أحب، وكان الماضي لا يطول الحاضر، بل رغبت أن أهرب بياسمين نحو المستقبل. ثم بعد عدة أيام من عودتنا استيقظت على تليفون من رقم لا أعرفه يحاول الاتصال بي أكثر من مرة، فتحت الخط لأجده زميلًا صحفيًّا من جريدة أخرى يخبرني بأنه يريد معرفة رد فعلي أو تعليقي على قرار إحالتي للمحكمة، سألته أي محكمة وعن ماذا يتحدث ومن أين أتى بهذه المعلومات؟

أخبرني أنه تسلّم الأمر من نيابة بولاق، وأنهم على غير العادة، قاموا بتوزيع قرار الإحالة على كل الصحفيين، وسألني: ما تعليقك؟

اعتذرتُ عن الرد لحاجتي للحديث أولًا مع المحامين، أغلقتُ الهاتف، زحفت من السرير نحو الحمام غسلت وجهي، وفرشت أسناني، ثم خرجتُ للصالة، ورميتُ بجسدي على الكنبة. لا ينبغي لنبي إذا أخذ لامة الحرب، وأذن في الناس بالخروج إلى العدو أن

t.me/qurssan

،صمعها حتى يحكم الله بينه وبين عدوه.

اليوم التاسع والعشرون، الأحد 20 مارس 2016

حلمت أني حبيس غرفة معتمة، في انتظار شخص ما. طال الانتظار ففتحت باب الغرفة، وجدت شيخًا ينيك طفلًا والفئران ،اهو حولهما. أدركت أني في كابوس، حاولت الاستيقاظ، لكني ... مقيد الحركة والشيخ بسلطان الكابوس يحاول إجباري على ...ماجعة فأر ضخم بحجم طفل رضيع. انتفضت صارخًا. فتحت ...ني، كنت في ظلام الزنزانة.

t.me/qurssan

t.me/qurssan

الظهر

فتح وائل عبد الفتاح مقر مشروعه «مدينة» في الزمالك استضافة «القعدة» التي دعيتُ لها بعض الأصدقاء والزملاء. نتُ فرحًا لوجودهم حولي. شعرتُ أن القضية لا تخصني وحدي، است المتهم الوحيد فكل هؤلاء يشاركونني التهمة.

كانت الجلسة بالأساس للقاء المحاميين ناصر أمين، ومحمود مان، لترتيب استراتيجيتنا الدفاعية، لكن وحيث إن النيابة سربت الخبر، ومعه نصّ حيثيات قرار الإحالة فقد ورطتنا دون أن نسعى في معركة إعلامية يجب إدارتها مثلما ندير المعركة القانونية.

من حولي في تلك «القعدة» صحفيون، ومخرجون، وكُتّاب، وعاملون في مجال الدعاية والإعلانات، ومنتجون، وعاطلون عن العمل، ومصممون جرافيك، وفنانون، ومبرمجون، لكنهم قبل ذلك أصدقَائي، وشلتي، وأحبائي. ولا أدينُ لهم بأي شيء، فبين الأصدقاء لا مجال للدّيون. وهل تدين البطن للظهر انتصابه وشده لها؟ لا ديون في المحبَّة.

كانت الدائرة تتسع يومًا بعد يوم. وأُفاجأ برسائل التضامن التي تصلني. قرر ناصر أمين أن نقوم باختيار ثلاثة أسماء من

t.me/qurssan

الكُتّاب والأسماء المعروفة لكي ندعوهم لتقديم شهادتهم أمام هيئة المحكمة، ووقع اختيارنا على د. جابر عصفور، ومحمد سلماوي، وصنع الله إبراهيم. يجب أن أشير هنا أنه لم تربطني أي علاقة شخصية بأي من الثلاثة إلا الأستاذ محمد سلماوي، ومع ذلك فبمجرد أن طلبناهم كشهود في المحكمة، أعلنوا موافقتهم وحماسهم للمُشاركة بأي جهد.

واحد من أكثر اللقاءات المدهشة بالنسبة لي كان اللقاء مع د. جابر عصفور في منزله بالدقي. ذهبتُ لشكره على الاهتمام والدعم، وكنت مع رشيد لتصوير فيديو قصير معه عن القضية أغلقنا الكاميرا وتوجه لي عصفور قائلًا:

- أنا معاك وكل حاجة، لكن خلينا نتكلم بعيد عن القضية، نتكلم في الأدب. أنت مش شايف إن استخدامك للألفاظ دي أضر بالعمل وبانتشاره؟

-أيوة بس الألفاظ دي لم أخترعها أنا.

- ولد! أنا اللي عملت الكلام دا، أنا مش بسألك عن أصلها. أنا قريت الرواية وأنت عايز تقول إننا فقدنا كل شيء وأصبحنا نعيش في فوضى، وتصور خراب العالم، وكيف أصبحت الشركات تتحكم فينا. لكن لمَ تستخدم هذه الألفاظ، مش ممكن تنفر القارئ وتخليه لا يكمل العمل أو تشوش رسالتك؟

t.me/qurssan

صمتُ لثوانٍ محاولًا استيعاب منطقه، لكنني لم أستطع، فهززتُ رأسي، وقلتُ:

- لا مش فاهم إزاى يا دكتور.

- يعني بص مثلًا لنجيب محفوظ، قال كل حاجة، لكن بلغة بسيطة وسلسة، تصل لكل الناس دون أن تنفرهم.

- أيوة وفي الآخر اتضرب برضه بسكينة في رقبته.

- لكن أثره موجود وتأثيره مستمر، شوف، خليك معايا للآخر، معلهش أصل أنا رجل تنويري قديم، أنت مثلًا دلوقتي روايتك دي اتطبع منها ألف نسخة، تخيّل وهي رواية رائعة لو كتبتها بدون تلك الألفاظ كانت تأثيرها هيبقى أوسع وأكثر انتشارًا.

- طيب يا دكتور لنفترض أني فعلت ما تقوله، وأن روايتي قرأها مليون شخص، بل تحوّلت لكتاب سحري وقرأه 90 مليون مواطن مصري. ما الذي سوف يحدث؟ ما الذي سيتغيّر؟ هل قراءة الناس لرواية ضمانة للتنوير؟ وما علاقة فن الرواية وطموح الروائي ورغباته بكل هذا.

- ألا ترغب في الانتشار، وأن يقرأ عدد أكبر كتبك؟

- يا دكتور أنا من جيل الإنترنت، لو رغبتُ في الانتشار أو الشهرة يمكن أن أضع صورتي عريانًا على النت، وبكرة هبقى

t.me/qurssan

أشهر من نجيب محفوظ على الإنترنت. لكن أنا مش هقعد خمس سنين أكتب في رواية علشان طموحي يبقى الانتشار، انا بشبع رغبات الشهرة في العمل الصحفي أكتر.

- لكن الكتابة تحيا بالناس، أنا زعلان إن ولادي وأحفادي الآن لا يقرؤون نجيب محفوظ.

استمر النقاش لأكثر من ساعة، كان من أكثر النقاشات التي خضتها غرابة. كنت أفهم ما يقوله، ويفهم ما أقوله له، لكن حاجزًا زجاجيًّا خفيًّا بيننا يمنع ويعوق التواصل كأني عاجز عن شرح نفسي له، كان الدكتور يردد بين كل عبارة «معلهش أنا راجل عجوز وبتاع تنوير». ولم أفهم منطق التنويرأبدًا.

تطرقنا خلال الحديث إلى مسألة الألفاظ تفصيلًا، وأخبرني بملاحظات مدهشة عن استخدامي للألفاظ الأجنبية في الرواية، كنت مذهولًا من حيوية ذهنه، وشعرت بالخجل من التزامه واحترامه للعمل الذي يدفعه لقراءة رواية كروايتي بكل هذه الدقة. كان يكفيه أن يعلن موقفًا مُنحازًا لحرية الرأي والتعبير ويكتفي بذلك، لكن اندهشت أنه قرأ الرواية وكتب عنها في الأهرام قبل القضية، أبهرني بحيويته وقدرته على متابعة المشهد الأدبي بدقة وانتباه لا أملك حتى ربعه.

في سجلي الصحفي وكتابتي هاجمت الثلاثة (عصفور، وصنع الله، وسلماوي) مرارًا. في أكثر من موضوع سخرت أحيانًا من

t.me/qurssan

فوبيا صنع الله إبراهيم من البيبسي والكوكاكولا والإمبريالية وسيطرة ذلك الهاجس على معظم أعماله. وسلماوي وجابر لطالما انتقدت مواقف وخيارات الاثنين السياسية، لكن الآن في هذا الموقف كان الدفء والمودة وشجاعة الالتزام التي أبدوها عاملًا حاسمًا في تغيير الكثير من قناعتي.

طوال هذه المدة وحتى لحظة دخولي السجن لم أواجه نفسي أبدًا بالسؤال الوجودي لمعنى وغرض حياتي. لم أمتلك شجاعة تقديم نفسي ككاتب. لدي أصدقاء مقربون وزملاء عمل لا يعرفون أصلًا أني أكتب الأدب، وأفضل دائمًا تقديم نفسي كصحفي كما هو مكتوب في بطاقة هويتي، لكن في هذه الأزمة كنت أجد كيف تبتعد الجماعة الصحفية، كيف أبدو غريبًا عنها وكيف تبدو غريبة عني، بينما تمتد أيادي أخوة الأدب لتحملني.

أمام محكمة الجلاء وقفت بصحبة ياسمين في انتظار الثلاثة. محمد سلماوي أول من وصل، نزل من سيارته مبتسمًا مشرقًا. لاحظ اضطرابي فأخذ يمازحني أنا وياسمين. كعادته بسطت شخصيته وما تتمتع بها من كاريزما سلطانها على الحضور. كنت أبحث عن صنع الله الذي عرفت أنه في الطريق، ثم لمحته يبحث عن باب المحكمة، ناديت عليه وصافحته. تصافح هو وسلماوي وتوجها بصحبة ياسمين إلى داخل المحكمة بينما ذهبت أنا لقهوة مجاورة مع بعض الأصدقاء في انتظار الأخبار.

t.me/qurssan

فاجأ وكيل النيابة الجميع بخطبة غرائبية حاول فيها بائسًا استعراض كل المحفوظات المدرسية التي يعرفها، احتوت على الكثير من السباب والطعن في شخصي والتشبيهات الفريدة فوصفني بالأفعى الصفراء التي تلتف حول أطفال الأمة وشبابها. قدم ناصر أمين دفاعه، وتقدم صنع الله إبراهيم للشهادة نافيًا صفة «البورنو» عن العمل واصفًا إياه بالأدب. انفعل وكيل النيابة وأخذ يصرخ فيه هل يمكنك أن تقرأ المقطع المنشور. تجاهله صنع الله فكرر سؤاله هل يمكنك؟ هل يمكنك؟ انفعل صنع الله ومد يده ليتناول الكتاب ليقرأه لكن قطع ناصر أمين عليه الطريق مُدَافعًا بأن هذا ليس له علاقة بالقضية. قدم العزيز محمد سلماوي أيضًا شهادته، ووصل د. جابر عصفور متأخرًا بعدما انتهت الجلسة وقد أصبح القاضي في غرفة المداولة، لكن حينما علم بوجود د. جابر طلبه لمكتبه.

خرج ناصر أمين ومحمود عثمان مُتفَائلين من الجلسةِ، كنا نتوقع حكمًا بالإدانة لكن استماع القاضي للشهود ولمرافعة الدفاع كَاملة إشارة لوجود نية لديه لإصدار حكم بالإدانة دون عقوبة، في العادة وطوال تاريخ القضاء المصري لم يسجن شخص بموجب المادة 178 مكرر، فغالبًا ما كانت العقوبة هي الغرامة أو السجن مع وقف التنفيذ. في 2010 حضرت محاكمة مجدي الشافعي الفنان والكاتب والذي تمت محاكمته بموجب ذات المادة واتهامه بخدش الحياء العام بسبب «كادر» في روايته المصورة

t.me/qurssan

«مترو». انتهت القضية بإدانته وتوقيع غرامة 5 آلاف جنيه عليه وعلى الناشر. توقعنا أن يكون هذا أسوأ ما يمكن أن يحدث لنا، لم نتوقع البراءة لكن على الأقل حاولنا استغلال القضية للتركيز على المادة 178 مكرر وغيرها من المواد التي تعاقب بالسجن في قضايا حرية الرأي والتعبير، بصفتها مواد تتعارض مع الدستور الجديد ويجب حذفها أو إلغاء بند العقوبات فيها.

كانت هذه الرسالة التي حاولنا التركيز عليها، وكان ناصر يأمل من خلال الدفع بعدم دستورية المادة أن يحيل القاضي القضية للمحكمة الدستورية فتكون خطوة لإلغاء المادة، حتى وصلنا ليوم إصدار الحكم 2 يناير 2016.

- براءة.
- إيه بتقول إيه؟
- والله أنا زيك، براءة فعلًا.
- بجد شكرًا، شكرًا يا محمود.

ظللتُ لثوانٍ بعد انتهاء المكالمة لا أستوعب الحدث.

كنتَ فرحًا فخورًا، بأصدقائك، بالمحامين، بأخوية الكُتّاب التي وقفت بجوارك. توقعتَ منذ بدَاية القضية أنواعًا من اللمز والغمز، ولم تتوقع أن يقف بجوارك كل هؤلاء الكُتّاب والعاملين في الحقل الثقافي، ومنهم من تبادلت معهم الاختلاف والهجوم والسخرية.

هربت من الاتصالات، ومن الإدلاء بأي تصريحات صحفية. لكن في

t.me/qurssan

المساء أثناء اتجاهي لمطعم «استوريل» للقاء أصدقائي والاحتفال معهم، رنّ هاتفي، وحينما قلت: «ألو»، اكتشفت أني على الهواء في برنامج لميس الحديدي. شعرتُ بالغضب، والحنق ولا أعرف كيف تورطت في هذه الزاوية. ألقت لميس مقدمة طويلة عن القضاء المستنير والذي ينحاز لحرية الإبداع والدستور، ثم سألتني في ما معناه، ولا أنت أيه رأيك يا أحمد، مش عايز تلحس معايا؟

همهمتُ وغمغمتُ، ثم قلتُ إن الحكم رسالة لجهاز النيابة العامة بأن يركز على مُمَارسة مهام عمله، ويحمي الدستور والقانون وحقوق المواطنين، ولا يتصور أن وظيفته الدفاع عن أخلاق الأمة أو تحديد ما يجب أن نفعله أو لا. شكرًا شكرًا يا أحمد، ثم انقطع الاتصال.

اليوم الثالث بعد المئة، الخميس 2 يونيو 2016

حتى ذكريات الجنس تتلاشى، لقد فشلت في الاستمناء مرتين. لا شيء في الذاكرة ولا حماس لأي فعل، لكن مضطر للفعل وإلا سأشعر مرة أخرى بآلام التهَاب القنوات المنوية.

اليوم الحادي والثلاثون بعد المئة، الخميس 30 يونيو 2016

في رواية «بندول فوكو» يقول أمبرتو إيكو: «إن المعرفة فقط بأنني إذا أردت يمكنني التذكر. تجعلني أنسى على الفور».

t.me/qurssan

نشبت خناقة في عنبر الجنائيين، من ضمن العواقب التي أنزلت بهم منع دخول الأدوات الحادة وجميع شفرات الحلاقة. بوم واحد في الأسبوع يدخل مخبر ومعه ماكينة حلاقة واحدة، وكل العنبر يحلق ويتطيب (أى يحلقون شعر آباطهم وعاناتهم) بتلك الماكينة. في الإثنين الأول من كل شهر سيدخل الحلاق بالماكينة الكهربائية ليحلق لكل من في العنبر ذات الحلقة بذات الماكينة بمستوى درجة واحد.

t.me/qurssan

t.me/qurssan

انتفاء القصد الجنائي

بعد عدة أسابيع صدرت حيثيات حكم البراءة. كان مخالفًا لكل توقعاتنا، اندهشنا من مستوى الإدراك والتفهم:

"وحيث إنه عن موضوع الدعوى فلما كانت النيابة العامة أحالت كلا المتهمين بتهمة خدش الحياء العام طبقًا للمادتين 178 و 200 مكرر أ / 2 من قانون العقوبات الأمر الذي يتطلب توافر القصد الجنائي الخاص الذي يتمثل في قصد المتهمين خدش الحياء العام او نشر الفجور والرذيلة وهو يتنافى مع ما قام به المتهم الأول الذي يعد عملًا أدبيًا من وحي خياله وإن ما تضمنه ذلك العمل الأدبي من ألفاظ وعبارات ارتأت النيابة العامة أنها تخدش الحياء به، هو في إطار عمل أدبي وسياق عام لقصه حاكها المتهم الأول من وحي خياله كما أن ما احتواه العمل الأدبي (القصة) على ألفاظ وعبارات جنسية هو أمر درج في العديد من المؤلفات و الأعمال الأدبية والأشعار قديمًا وحديثًا وهذا ما انتهت إليه شهادة كل من الأستاذ/ محمد سلماوي والروائي/ صنع الله إبرهيم والتي تطمئن إليهم المحكمة من أن العمل الأدبي لا يمكن الانقطاع من سياقه أو اخذ جزء منه وترك الآخر.

كما أن العمل الأدبي هو كيان واحد إذا انقطع منه جزء انهار ذلك العمل.

t.me/qurssan

كما أن المحكمة ترى أن تقييم الألفاظ والعبارات الخادشة للحياء أمر يصعب وضع معيار ثابت له فما يراه الإنسان البسيط خدشًا للحياء يراه الإنسان المثقف أو المختص غير ذلك وما يراه صاحب الفكر المتشدد خدشًا للحياء لا يراه صاحب الفكر المستنير كذالك».

استند القاضي في حكمه إلى انتفاء القصد الجنائي مضيفًا:

«ما يطرح في مجالات البحث العلمي في الطب مثلًا يكون بالنسبة للغير خدشًا للحياء إلا أنه لا يكون كذلك بالنسبة للأطباء مثلًا فإن العبرة في عقلية المتلقي وتقديره للأمور.

فالعبارات التي حوت تلك القصة محل الاتهام ارتأت النيابة العامة أنها تخدش الحياء لم يرتئها الأدباء والروائيون خدشًا للحياء طالما أنها كانت في سياق ومضمون عمل أدبي فني.

إذًا فإن المعيار في ذلك يختلف من شخص إلى آخر حسبما لثقافته وأفكاره وتعليمه فما أتاه العلماء والمثقفون قديمًا من أفكار وآراء واجتهادات كانت محل رفض ونقد لهم من مجتماعتهم آن ذاك أصبحت اليوم من الثوابت العلمية والإبداعات الآدابية التي تثري مجتمعنا».

t.me/qurssan

ضد المانيفستو

بلسان من النار يدافع الكاتب بكل كلمة يطلقها، لكن أمام القانون هو مجرد من أسلحته، ممنوع من استخدام لغته؛ لأن تلك اللغة هي دليل إدانته.

كأن للقانون لغة مشفرة، وحق استعمال تلك اللغة مقصور على حاملي بطاقة تسمح لهم بدخول قصر القانون. حتى إن كانت اللغة هي خبزك اليومي، ففي قصر القانون ستحتاج لمترجم وهذا المترجم هو المحامي الموكل بالدفاع عنك.

يدافع الكاتب ويهاجم بكل كلمة يطلقها، لكنه في المعركة دائم الحركة والتغيير والانقلاب حتى على المواقف الثابتة، بدون النقد والمراجعة الذاتية لا يمكن للكاتب أن يتطوّر، لذا فدفاعه عن عمله أمر مخجل، لأنه بعد سنة أو أقل أو أكثر قد ينقلب تمامًا على ما كتبه.

شعرتُ بالحرج والإهانة في كل حوار صحفي كنت مضطرًا لشرح ما أكتبه أو أحاول فعله، يتصور الصحفي أن لدى الكاتب فهمًا كاملًا لأبعاد العملية، ولا يدري أن الكتابة هي وسيلة للفهم من خلال التشكيك. كل مرة كنت مُضطرًا للدفاع أو الشرح تخيلتُ أن دفاعي وتصوراتي عما أكتبه هي سجن أشيّده لعلاقتي بالأدب.

t.me/qurssan

حاصرتُ نفسي وحاصروني في الألفاظ البذيئة، في الجنس، في تحدي التابوهات، في صراع الرقابة.

كَيْفَ سَتَخْرُجُ مِنْ هَذَا أَيّهَا الأحمد؟ وَهَلْ لِمِثْل تِلْكَ الْمَعْرَكَةَ نِهَايَةٌ حَتَّى يمكنكَ أَنْ تَخْرُجَ مِنهَا؟ وَالزَّهْرَة الثَّالِثَة، أَيْنَ ستضَعُ الزَّهْرَة الثَّالِثَةَ أَيّهَا الأحمد؟

اليوم السابع والستون بعد المئة، الجمعة 5 أغسطس 2016

عثرت على كتاب يجب رجه جيدًا قبل فتحه؛ لأن حروفه تختلط وتتبدل عند غلقه، حيث يسيل الحبر بين الصفحات ويشكل حروفًا وجملًا مختلفة. لذا، ففي كل مرة قبل فتح الكتاب يجب رجه حتى يعود الحبر مشكلًا حروفًا وجملًا جديدة، ثم تفتح الكتاب فتجد كتابًا جديدًا. كل مرة تغلق وتفتح الكتاب تجد كتابًا جديدًا، لذا إذا فتحت الكتاب يجب أن تنهيه؛ لأنك لو أغلقت الكتاب فسيضيع ولن تكمل أبدًا ما قرأته.

t.me/qurssan

تعريف البذاءة

«لست أعتقد أن البذاءة تقتصر بالضرورة على إثارة الشهوات الجنسية. أفهم أن الناس يطالعون أشياء لا تثيرهم على هذا النحو ولكنها أشياء تعتبر بذيئة على الرغم من هذا. وأود أن أقول إن الشيء يتصف بالبذاءة تبعًا للغة المستخدمة وكذلك تبعًا للأثر الذي يتركه في نفس القارئ العادي، ولهذا أعتقد أن هناك العديد من الأسباب التي تجعلنا نعتبر «يوليسيس» رواية بذيئة».

من مرافعة ممثل الادعاء أمام المحكمة الأمريكية التي طالب فيها بحظر رواية «عوليس» لجيمس جويس.

اليوم الثاني والثمانون، الخميس 12 مايو 2016

استيقظت بثقل غير عادي في كامل أعضاء جسمي. أحاول إيهام نفسي أني على ما يرام، لكن في الصباح وصلنا تأكيد لخبر الحكم على «ع» بالسجن المشدد 5 سنوات. تهربت منه طوال اليوم وهو أمر مستحيل لأنه ينام الآن في المصلب أسفل مني. الجميع يأتي لمواساته ويربِّت على كتفه، وأنا لا أجد الكلمات المناسبة لأضعها على لساني. أشعر بغضب كبير من أجله وبحزن أشد عليه وعلى عائلته.

t.me/qurssan

نادوا عليَّ في آخر زيارة، لم أكن أتوقع أن يأتوا اليوم. أخبرونى أخيرًا هذه المرة بالحقائق، لا أمل في خروج قريب، ولن نستطيع أن نقدم استشكالًا على الحكم قبل 1 يوليو القادم. بالتأكيد سأقضي الصيف هنا وكذلك شهر رمضان.

لا يأتي النوم. بيني وبينه حديقة معلقة كحدائق بابل، لكن الحديقة تسبح في سحاب كثيف، وأنا على الأرض أراه لكني لا أستطيع الوصول إليه، ولا أعرف كيفية الوصول إلى السحاب، ولا مفتاح الحديقة المسورة.

اليوم الثالث والثمانون، الجمعة 13 مايو 2016

موجة حارة شديدة من المفترض أن تستمر لمدة ثلاثة أيام. أتفصد عرقًا باستمرار ولا أتوقف عن شرب المياه. طوال اليوم أعيد قراءة رسالة أحمد وائل وفوفا، توحشت أصحابي.

t.me/qurssan

مانفيستو 300 يوم في السجن

أعلم أن هذه ألفاظ سوقية وشوارعية، إنها كلمات سحرية ذات قوة وتأثير عظيم على الأفراد. أعرف أن هناك أشخاصًا تحمر وجناتهم الممتلئة أو المنفوخة بالكولاجين عند قراءة هذه الكلمات، آخرون سينفجرون في الضحك، آخرون سيشعرون بصدمة كهربائية خفيفة ويكملون القراءة، آخرون ربما يجدون فيها بعض الشاعرية، وآخرين قد يعتبرونها فجاجة. وآخرون سيغرقون في الفجوة بين فجاجة تلك الألفاظ وشاعرية الأسلوب في بقية الجمل، وأخيرًا كما كشفت تلك القضية، فالبعض قد ينخفض ضغطه وتضطرب ضربات قلبه.

مَن قال إذن إن الكلمات لا تغيّر الواقع، أو تقتل وتؤذي ولاد الوسخة؟ ما كشفته تلك القضايا والمحاكمات أن للكلمات قوة أكبر مما تصورت.

إذا امتلكت بضع كلمات كل هذا التأثير وهذه القوة، فالسؤال هو كيف لكاتب، مطالب بالصدق مع نفسه ومع القارئ، ألا يستخدمها؟ إذا كانت اللغة هي وسيلة ذلك الكاتب فكيف يُمنع من استخدام مَجموعة كَاملة من الألفاظ؟ هل نتخيّل مثلًا منع الشيف من استخدام الخيار عند الطهو لأن الخيار يثير مشاعر

t.me/qurssan

البعض ويخدش حياءهم؟ هل نمنع العمال والمهندسين من استخدام القضبان المعدنية والخشبية؛ لأن القضبان تثير مشاعر البعض وتخدش حياءهم؟

للكلمات البذيئة حلاوة على اللسان، وطاقة يدركها الجميع، لذلك -عند الغضب- تخرج تلك الكلمات لاإراديًّا من أفواه الجميع. حُجبت هذه الكلمات ونُبذت من الأدب العربي منذ القرن التاسع عشر وحتى الآن، بدواعي الحشمة، وظهور طبقة برجوازية مُتمدنة ومُتعلمة مع مشروع التحديث العربي، أرادت هذه الطبقة التي درست للمرة الأولى في جامعات علمانية أن تخلق لنفسها لغة تستخدمها في الإعلام والأدب تميزها عن الطبقات الأدنى، وتضعها في قطيعة مع التراث الذي تحاول أحيانًا التملص منه، أو التوفيق بينه وبين متطلبات الحداثة.

الأدب هو مساحة الخيال وأرض اللاوعي، ينسى الجميع دراما الروايات، لكنهم يتذكرون مشاهد وجملًا، وأحيانًا تتسبب روايات في تغيير وجهة نظرك للعالم، ولنفسك، وللغة، وذلك من خلال إثارة الشك في ما تعرفه، وفي ما وجدت عليه آباءك، من خلال خدش القشرة الخارجية لما يسمونها «أخلاق» و«آداب»، من خلال استطعَام ذلك الطعم السكري للألفاظ المنبوذة والممنوعة.

السؤال موجه لأجيال كاملة من الكُتّاب؛ كيف قاومتم إغراء استخدام تلك الألفاظ المنبوذة والممنوعة، كيف وصفتم غيركم من الكُتّاب الذين استخدموها بـ «قلة الأدب» أو «الجنون»!

t.me/qurssan

خمسة كيلو مانجا

من بين كل المساجين كان أكثرهم سعادة.

أذكر ثالث يوم لي في السجن، كان هو مَن افتعل نقاشًا غرائبيًّا، انتهى بانتزاع أول ضحكة لي في السجن.

ضَخم الْجِسْم، أُبَيَّضُ الْبَشَرَة، عَظِيم الْأَطْرَافِ، بصَلْعَة لَامِعَة. أتى متهمًا بتلقي رشوة، وكان ينفي الأمر واثقًا من براءته، من أدنى سلالم الطبقة المتوسطة، لديه ابنتان وابن، الابنة الكبرى مخطوبة، ومن المفترض أن تتزوج قريبًا، ومع هذا فأهل عريس ابنته لا يعرفون أنه في السجن، رغم طول مدة غيابه، معظم أقارب الأسرة يقولون إنه سافر في مهمة عمل بالخليج، كان على ثقة من براءته، لدرجة أنه أخبرهم بتحديد موعد الفرح بعد أسبوعين من جلسة النطق بالحكم.

أسأله ممازحًا:

- يعني أنت فعلًا مخدتش الفلوس؟

يضحك وهو يحشر لقمة الخبز بالفول في فمه:

- طيب ولو خدتها هي فين؟ مش مُثبتة ليه في القضية؟ وبعدين هو أنا لو كنت خدت فلوس كان زمان دا حالي؟

t.me/qurssan

أضحك أكثر:

- يعني أنت متهم بأنك واخد رشوة خمسة آلاف جنيه، لو فرضنا مثلًا أنك خدتها كان حالك هيبقى إزاي مثلًا؟

الدليل الوحيد في قضيته هو تحريات الرقابة الإدارية، تحديدًا مُكَالمة مسجلة بينه بصفته موظفًا في وزارة الزراعة، مع أحد المتعاملين مع قسمه في الوزارة. وفي نهَايةِ المكَالمة حينما يسأله العميل إذا كان يريد أي شيء من الإسماعيلية يجيب بتلقائية:

- هات لي معاك خمسة كيلو مانجا.

من أجل التحقيق معه، وفهم الشفرة المقصودة في جملة «خمسة كيلو مانجا»، ظل في السجن 22 شهرًا، حتى أتى موعد النُطق بالحكم. كان سعيدًا واثقًا من خروجه بلا أدنى شك، وكنتُ مندهشًا من ثقته. بعض الزملاء خصوصًا من الموظفين طلبوا مني بصفتي مقربًا منه أن أفتح عينيه على الاحتمالات الأُخرى. لم تدبر الرقابة الإدارية قضية إلا وحكمت فيها المحكمة بإدانة المتهمين، والأهم، أن قضيته بالذات حقق فيها الابن الأصغر للرئيس، ولا يوجد قاضٍ سيُبرئ قضية حقق فيها ابن عبد الفتاح السيسي، ببساطة لأن من سلطات جهاز الرقابة الإدارية الرقابة على القضاة، وهم مَن يتولون القبض عليهم غالبًا.

سبع سنوات، وصلنا الخبر عبر أفواه المخبرين، وهو لا يزال أمام البوابة الرئيسة للسجن، استلقيتُ على مصلبي العلوي،

t.me/qurssan

ابتلعتُ قرص بنادول نايت، وأغمضتُ عينيّ حتى أنام، لم أكن أرغب في رؤيته بعد الحكم، هذا الواقع أقسى مما يمكنني تحمله، وهذا العفن تعبتُ من مقاومته، من جلخه وقشطه عن جسدي طالما أنا في هذا البلد.

كانت هذه المرة الوحيدة التي فكرتَ فيها في الانتحار بينما كنت في السجن. فكرتَ أن الانتحار -أيضًا- سيخلصك من كل هذا الغضب، من كل هذه الكراهية لهذا البلد.

t.me/qurssan

t.me/qurssan

مصر الخنزيرة

«وبدأ مد يفور تحت سطح ود ستيفن الهادئ وقال:

-إنني نتاج هذا العصر وهذه البلدة وهذه الحياة. سأعبر عن نفسي كما أنا عليه في الواقع.

فكرر دافن: حاول أن تكون واحدًا منّا. إنك أيرلندي في فؤادك، ولكن كبرياءك أقوى من اللازم.

فقال ستيفن: لقد ألقى أجدادي لغتهم، واستبدلوا بها لغة أخرى. لقد سمحوا لحفنة من أن يستبعدوهم. هل تتصور أنني سوف أدفع من حياتي ومن شخصي ديونًا ارتكبوها هم؟ لماذا؟

فقال دافن: من أجل حريتنا.

فقال ستيفن: لم يمنحكم إنسان محترم ومخلص نفسه وشبابه أبدًا منذ أيام «فون» إلى أيام «بارنل»، إلا وبعتموه إلى الأعداء، أو خذلتموه في وقت الحاجة أو لعنتموه وتركتموه إلى غيره. ثم تدعونني إلى أن أكون واحدًا منكم. وإنني سأراك ملعونًا قبل ذلك.

فقال دافن: لقد ضحوا من أجل مثاليتهم، ولسوف يأتي يومنا، صدقني.

وظل ستيفن صامتًا برهة شاردًا مع أفكاره، ثم قال في غموض:

t.me/qurssan

-إن الروح تولد البداية في مثل هذه اللحظات التي أخبرتك بها. إن مولدها بطيء وغامض، أكثر غموضًا من مولد الجسد. وحين تولد روح إنسان في هذا البلد، فإنهم يلقون عليها الشباك ليمنعوها من التحليق. إنك تحدثني عن الوطنية واللغة والدين. إنني سأحاول أن أفرّ من هذا الشباك.

ونفض دافن الرماد من غليونه.

قال: إنك عميق حتى لتستعصي عليّ. ولكن بلد المرء يأتي أولًا. أيرلندا أولًا يا ستيفي. ويمكنك أن تصبح شاعرًا أو صوفيًّا بعد ذلك.

فقال ستيفن في برود: هل تعرف ما هي أيرلندا؟ أيرلندا هي الخنزير الذي يأكل أبناءه».

جيمس جويس

«صورة الفنان في شبابه»

ترجمة: ماهر البطوطي

اليوم السابع والثلاثون بعد المئتين، الجمعة 14 أكتوبر 2016

وصلتني نسخة من ديوان منى كريم «ما أنام لأجله اليوم».

"أريد أن أضع احبتي في جيبي لأقبلهم كل دقيقة».

t.me/qurssan

اليوم الستون بعد المئتين، الإثنين 6 نوفمبر 2016

قطعت شوطًا لا بأس به في كتابة الرواية. الكتابة بالقلم والورقة مجهدة أكثر مما أتذكر، أو ربما يكون السبب الأوضاع الحلزونية التي أضطر لاتخاذها عند الكتابة معتمدًا على فخذي كمسند عند الكتابة. شيء ما ينحل من عضلاتي منسكبًا على الورق.

اليوم الثاني والسبعون بعد المئتين، الجمعة 18 نوفمبر 2016

أسبوع سيئ، لم أنجز فيه أي شيء، حتى التمرينات الرياضية البسيطة التي واظبت عليها توقفت عنها. شهر نوفمبر يمضي بلا قدرة على الكتابة في الرواية، توقفت عن ذلك أيضًا. معدتي لا تعمل بشكل جيد كذلك. والسبب هو الأخبار المتواترة عن العفو الرئاسي.

في الجرائد التي تصلنا، في التلفاز، بين جدران السجن لا حديث إلا عن نيتهم في إصدار عفو رئاسي خصوصًا عن مساجين قضايا الرأي. بعض السجناء بل وحتى السجانين يلقون بالتهاني في وجهي حينما يصادفونني. أحد الضباط أثناء دخولي للزيارة، أخبرني أن الأمر أصبح مؤكدًا: «سوف تخرج خلال أيام». كل هذا الأمل هو ضغط كبير على أعصابي، ومهما حاولت صرفه عن ذهني يعود من جديد، لكن ما يرهقني ليس عذاب الأمل، أفكر

t.me/qurssan

في أمي وياسمين، ياسمين تحديدًا أشعر بقلق بالغ على صحتها وأتخيل كيف سيضاعف عذاب الأمل من تدهور حالتها.

t.me/qurssan

ضرب الرأس في المرآة

توقعتُ دخول السجن مثل أي مشتغل بالشأن العام في مصر، فهناك دائمًا احتمال أن تُخطف من الشارع في مظاهرة، أو دون مظاهرة، واحتمال الاحتجاز بسبب رأي أو موقف سياسي عبّرت عنه. هذه ضريبة حاولتُ قدر الإمكان التهرب منها، تَسَلَّحْت بِالْجُبْنِ قدرَ الْمُسْتَطَاع وَسَيْطَرْتُ عَلَى لِجَامِ كِبْرِيَائِي واعتزازي بآرائي حَتَّى لَا أَضْطَرّ لِدفع أَثْمَان بَاهِظَة.

لكني سُجنت بسبب الكتابة الأدبية لا الصحفية، وكنتُ حتى دخولي السجن أخجل من تعريف نفسي ككاتب، شعرت دئمًا، وما زلت، بأن ما أكتبه ليس جيدًا بما يكفي ليس مُشبعًا لشهوتي، ودائمًا ما خجلتُ من الحديث عن الأدب وما أكتبه، مثلت دائرة صغيرة من الأصدقاء القراء الذين أكتب لهم، ودون دعم هذه الدائرة وضغطها عليَّ للنشر وتحمّسها لما أكتب لم أكن لأنشر، أو أمضي في هذا المسَار.

حصلت على مجموع منخفض في الثانوية العامة، ومثّل هذا الأمر صدمة للعَائلةِ التي كانت تمهد نفسها لتقديم أول أبنائها لمحراب كلية الطب، منذ صغري ناداني الجميع بلقب «دكتور»، لا بسبب أن أبي وعمي وخالي وأبناءهم جميعهم أطباء أو يدرسون الطب، بل لأنني أيضًا الابن الأكبر لطبيب الأطفال المحبوب، والذي

t.me/qurssan

بالتأكيد سيرث عيادة والده، لكن عَامدًا جاء مجموعي مُنخفضًا، ولم أكن أعرف أي كلية أرغب في دخولها، ولا ما أريد فعله أو دراسته، إلا شيئًا واحدًا كنتُ أعرفه ومتمسكًا به، لن أدرس الطب، أبدًا أبدًا أبدًا.

وجدتُ في دفتر الرغبات الذي نقوم بملئه قبل تسليمه لمكتب التنسيق تنويهًا عن «أكاديمية أخبار اليوم» والتي تمنح ضمن الشهادات التي تمنحها بكالوريوس الصحافة. بدعم وتشجيع من عبد الناصر السيد أستاذ اللغة العربية الذي كان صديقي اخترتُ هذا المسار، وقام هو بالحديث والتواصل مع والدي لإقناعه بهذا الخيار.

اخترتُ الصحافة لأنها بدت لي وقتها المهنة الأقرب لما أرغب في فعله -كم كنتُ خروفًا- وهي الكتَابة. كنتُ أكتب الشِعر وقتها، وفي الجامعة مع أحمد وائل طوَّرنا ولعًا خاصًّا بنوع آخر من الكتابة وهي النصوص المفتوحة. غرقنا أنا ووائل لليالٍ وأيام في نوبات من الهذيان والهلاوس الأدبية، نتبادل كتابة نص واحد، ونحن ندخن السجائر ونستمع للموسيقى. طمحنا لأدب لا يمكن تدجينه ولا احتواؤه، يحتفي بالخطأ أكثر من الصواب، وبالضلال أكثر من الحكمة، وحينما اكتشفتُ المدونات، وجدتُ فيها وسيلة مناسبة لنشر كل هذا مُتخفيًا.

عشتُ حياة مزدوجة لسنوات طويلة بعد تخرجي، كنتُ أعمل في «أخبار الأدب» كصحفي شاب أُغطي الأحداث الفنية والثقافية،

t.me/qurssan

وأقوم بالتحقيقات الصحفية. استخدم لغة رسمية متخشبة وجافة، لكن صارمة في معلوماتها، ومحددة في رسالتها، لكن منصورة عز الدين هي مَن اكتشفت هذه المدونة، كنّا في المصعد في الطريق للجريدة حينما سألتني ببراءة: «أنت عندك مدونة اسمها خيال الظل؟».

لا أعرف كيف وصلت لها أو كيف خمّنت، لكنها أشادت بالمدونة، وبأسلوب كتابتي وفي ما يشبه السؤال الذي لا ينتظر إجابة قالت: «لماذا لا تكتب بهذا الأسلوب؟».

بعد عدة شهور سلمتها مخطوط «روجرز»، وكنتُ أفكر في نشرها على مدونتي كنص طويل بصحبة أغاني «بينك فلويد»، لكن كانت هي مَن قالت لي: «هذه رواية جميلة».

وبصدفة غير متوقعة تلقيت عرضًا لنشر الرواية بعد أيام من محمد شرقاوي الذي كان يؤسس دار «ملامح» للنشر. وحتى بعد نشرها، ظللتُ لا أتعامل مع عالَم الأدب بالجدية الكافية، إلا بصفتي صحفيًّا ثقافيًّا.

تخضع الكتابة لأهوائي، وتقلباتي الشخصية، أكتب تحت الضغط الشديد والإلحاح الداخلي، لا أكتب بانتظام ولا بهدف لإنجاز بناء ضخم. أكتب بغرض التواصل مع أصدقائي من الدائرة المقربة التي أحب التواصل معها. أندهش حينما أقابل شخصًا لا أعرفه، ويقول إنه قرأ لي نصًّا وأعجبه؛ لأنني أبدًا لم أتخيّل أن ما أكتبه قد

t.me/qurssan

يهمّ أي شخص إلا أصدقائي.

لكن السجن كان صفعة لكل هذه الأوهام.

انْشَغَلْتُ بِالْبَحْثِ عَنْ ذاتي مِثْل كُلّ مَسْجُون يَمْتَلِك قدْرًا من الثَّقَافَة وَالْاِعْتِزَاز بِالنَّفْسِ. كنتُ أنظر في المرآة الصغيرة الوحيدة في العنبر، والمثبتة فوق حوض غسيل الوجه وأظل أبحلق في عينيّ لعلي أقابل أحمد الذي أريد، أو يريدني.

في السجن لا تقابل ذاتك أو تتعرف عليها، بل تحاسبها على كل الخيارات التي أدت بك لهذا الموقف، تنفعل وتصرخ في وجهها، وتخبط رأسك في المرآة. هل فعلًا يستحق الأمر؟

هل تستحق الكلمة المكتوبة كل هذه التضحية؟ الذل والمهانة اليومية والصراصير التي تمشي على جسدك أثناء النوم؟ وإذا كان هذا قرارك، فهل يستحق أهلك ومَن يحبونك هذا العذاب والتعب في كل زيارة؟ هل فعلًا هذا مصيرك ومسارك، أم أنهم يجبرونك بذلك على أن تكون كاتبًا بالفعل؟

تضايقت بشدة من الموقف المهين لنقابة الصحفيين وللجماعة الصحفية، كانوا يعبّرون عن دعمهم درءًا للعين والغمز واللمز، باستثناء خالد البلشي ومحمود كامل في مجلس النقابة. على النقيض كان موقف اتحاد الكتاب -الذي لم أكن عضوًا فيه- والتضامن الواسع من أخوية الأدب والكتابة.

السجن صفعة أفاقتك لتكتشف أنك عبرت الثلاثين دون أن

t.me/qurssan

،ر بشكل حاسم ما الذي تريد فعله. قلتَ لنفسك ذات مساء، ...ما تتأمّل سقف الزنزانة الذي يتقشر: «كفاية شرمطة يا أحمد، ا... في قلب معركة الأدب وماكينته، أنت الآن كاتب، ويجب أن ،أخذ الأمر بجدية».

في يوم من أيام السجن، قررتُ، وبشكل نهائي، أن أكون كاتبًا ...ما كنت. وبداية من ذاك اليوم أصبحت الكتابة جزءًا من روتيني اليومي.

لكن الجميع تتفتح شهيتهم للكتابة في السجن، فِي أيَامي الأولى لَاحَظت مَسْجُونًا يَنَامُ وَبِجِوَارِهِ كُرَّاسَات مَصْفُوفَة بَعْضهَا فوق بَعْض. كَثِيرًا مَا عبرت بِمصلبِهِ فَأَجِدُهُ منكفئًا عَلَى الْكِتَابَةِ بنهم وَتَرْكِيز. لم أكن أعرف ما الذِي يكتبه، لكن سلوكه مثّل تحديًا ومنافسة. أراه في هذا الوضع، فأذهب إلى مصلبي، وأظل أبحلق في الورقة البيضاء لساعة، أفكر في الرواية التي أريد كتابتها، ثم أكتبُ سطرًا واحدًا وأستلقي على ظهري وأنا أدخن، وأسرح في أشكال الدخان.

تجرأتُ وسألتُ الزميل العجوز صاحب الكراسات المصفوفة:

- لا مؤخذة ممكن اسألك سؤال؟

- اتفضل يا أستاذ أحمد، يا سلام تحب أعمل لك شاي؟

- الله يخليك، هو أنت دايمًا قاعد كدا بتكتب إيه؟

t.me/qurssan

ابتسامة عريضة غطت وجهه، شرح لي أنه يكتب مذكراته. ا
إن البعض يظنون أنه يتجسس على العنبر ويكتب ما يقوا
لينقله للإدارة، لكنه فقط يكتب يومياته. فتح لي كراسًا وسمح
بقراءة صفحة منه. يوميات دقيقة يبدأ كل جزء منها بالتاريخ
يحدد الساعة التي استيقظ فيها، ويكتب كل فعل يقوم بها.

«دخلتُ الحمام، فطرتُ اليوم بيضة مقلية وشايًا بحليب، قرا
في كتاب الدعاء المستجاب للشيخ الشعراوي» ثم ينقل الفقرا
التي قرأها، ثم يتابع: «تحدثتُ مع فلان عن عمله كمهندس ف
المطار، عرفت من الجرائد أن هناك مظاهرات في فينزويلا وأن الما
ستعلن إفلاسها، لعبت «البنج بونج» في التريض وكسبت فلانًا
كانت لديه ست كراسات مكتوب فيها كلها بخط صغير على هذ
المنوال، بمنتهى الالتزام سجل كل ما رآه أو قرأه أو أكله، حت
مواعيد وظروف دخوله الحمام، مثلًا يكتب: «المياه كانت مقطوعة
استعرت جردل فلان الفلان ودخلت الحمام تبولت واستنجيت».

تمالكتُ نفسي وأغلقتُ الكراس. الحياة مليئة بالأعاجيب. سألته
ما إذا كان يعرف كاتبًا يدعى مارسيل بروست؟ طبعًا لم يعرفه
لكنه أشار إلى كاتب فرنسي قرأ عنه ذات مرة يدعى سارتر؛ قا
له هذا غير ذاك، بروست كان يكتب مثلك هكذا.

صارحني بأنه يسجل كل شيء، لكن ليس كل ما يكتبه يصلح
للنشر. هو يسجل كل ما يحدث حتى لا ينسى، لأنه لا يريد أن
ينسى ولا يوم من أيامه في السجن، ولأن ما شاهده ظلم كثير، بل

t.me/qurssan

..امات متراكمة، ويشعر أن عليه واجبًا لكشف هذا الظلم الذي ..م عليه، وعلى مَن شاهدهم من مظلومين، أنه ينتظر خروجه من السجن حتى يقوم بمراجعة هذه الكراسات/ المذكرات ليختار ..ها ما يمكن نشره.

ثم جاء قرار الإفراج لصديقنا مارسيل بروست السجن، جمع أشياءه، صافح الجميع، أهداني قلمًا من أقلامه، خرج من العنبر، ..ن على باب السجن أثناء تفتيشه قبل الخروج عثر مدير المباحث على الكراسات، سأله:

- ما هذا؟

قال مارسيل بروست:

- مذكراتي.

رد الضابط:

- ممنوع، لا يمكن أن نسمح بخروج هذه الأوراق.

وقف مارسيل بروست حائرًا والضابط كذلك، لا يمكن للضابط أن يصادر هذه الكراسات لأن مارسيل بروست يمكن أن يتهمه بسرقة أشياء تخصه، ولا يمكن للضابط أن يسمح بخروج مثل هذه الكراسات التي تحتوي على توثيق لما يدور في سجنه، لذا قرر أن على مارسيل بروست التخلص من هذه المذكرات، وإلا لن يسمح له بمغادرة السجن.

t.me/qurssan

بدموع ساخنة انسابت على وجهه، وبشفاه تتمتم «حسبي الله ونعم الوكيل»، أخذ مارسيل بروست يمزق أوراق كراساته في ساحة السجن، ويلقيها في النار المشتعلة داخل برميل معدني.

كنت قد كتبتُ الفصل الأول من روايتي الجديدة، حينما وصلني نبأ ما جرى لمارسيل بروست، أصابني الهلع. يجب أن أحافظ على سرية ما أكتب وأخفيه جيدًا. وأضمن النجاح في تهريبه عند خروجي، وإلا سأخسر كل شيء مثل مارسيل بروست. لدى خروجي يمكن أن يسرقوا مني ذاكرتي ويأمروني بمسح كل ذكرياتي عن السجن ليحولوا عذابي إلى زمن مفقود، ليس باستطاعتي حتى البحث عنه.

اليوم الخامس والتسعون، الأربعاء 25 مايو 2016

في عهد محمد علي كان يتم وشم المسجون بحرف «ل» على كتفه في إشارة لليمان طرة، كذلك مجندو البحرية الذين يهربون، ويتم القبض عليهم، يتم وشمهم بسفينة وهلب. المخبرون حتى الآن حينما يأتي سجين جديد متهم في جناية يسألونه إذا كان لديه أي «دق». يخلعون عنه ملابسه بحثًا عن أي وشم من سجون أخرى.

t.me/qurssan

تطبيق العظام

بعد ثلاثة أسابيع من دخولك وجدتَ رفيق المعيشة المناسب.

من الصعب أن يحيا المرء وحيدًا في السجن، لذا تختار كل مجموعة يتآلف بعضها مع بعض أن تتشارك في المعيشة. مثلًا، كان لدينا نقص دائم في الخضروات والفاكهة، وفي بيئة غير صحية كالسجن هناك ضرورة لتناول هذه العناصر الغذائية، في حالتي كنت أتلقى زيارة من الأهل كل أسبوعين، يحضرون الخضروات والفاكهة من ضمن ما يحضرونه، لكن بسبب الرطوبة والحر فالخضار يفسد خلال أيام، ولا يمكن تخزينه في الثلاجة لأن الثلاجة مخصصة للحوم والفراخ.

بتشاركك المعيشة مع شخص أو أكثر تتقاسمون الطعام، بهذا يضمن كل فرد من المجموعة توفر الطعام الطازج طوال أيام الأسبوع.

يسكن رفيقي مصلبًا مجاورًا لي، جميع المصالب في عنابرنا مبنية من الخرسانة المسلحة والأسمنت، وبين مصلبي ومصلبه حاجز أسمنتي بارتفاع عشرة سنتيمترات، كنا نضع عليه كرتونة تحتوي على علب السكر، والقهوة، والشاي، والنسكافيه، إلى جانب بعض قطع البسكويت أحيانًا، وكتبي. أما أوراقي والكراس

t.me/qurssan

الذي أكتب فيه روايتي فكنتُ أضعه أسفل المرتبة التي أنام عليها

على ضوء اللمبة حيث أقرأ ترجمة عربية لرواية «أطفال منتصف الليل» لسلمان رشدي، يسهر رفيقي الليل وهو يكتب على ورق فولسكاب خطابات طويلة من صفحات متعددة، يكتب بالقلم الأزرق، وأحيانًا يخرج قلم التصحيح الأبيض يهزه ويمسح حرفًا خطأ أو جملة ندم على كتابتها. كان لديه شغف جنوني بكتابة الخطابات، وكنتُ أحسده على قدرته الجسدية على الكتابة لفترات طويلة بهذا الشكل.

لطالما كانت لديَّ مشكلة مع إمساك القلم والكتابة لفترات طويلة، في الامتحانات كنتُ أحيانًا أكتب إجابات مختصرة عن الأسئلة، لا أكتب كل ما أعرفه لأن يدي متعبة. منذ المراهقة بدأت في كتابة قصصي ويومياتي على الكمبيوتر، وبعد التخرج هجرت الورقة والقلم تماما، والآن في السجن كنت أتعلم من جديد كيفية إمساك القلم وكيفية الكتابة على الورقة المسطرة.

أولًا: تمكنا أنا وشريكي من شراء عدد قديم من مجلة زهرة الخليج، وهي مجلة اجتماعية ذات طباعة إماراتية فاخرة، كنا نستخدمها كمسند للكتابة، نضعها فوق الفاصل الخرساني بين المصلبين ثم نضع الورق عليها ونكتب، كان يحفظ أوراق رسائله داخل صفحات المجلة، هو أقصر مني لذا كان بإمكانه الكتابة في هذا الوضع، أما أنا، فبعد خمس دقائق كنت أشعر بعظام

t.me/qurssan

عضلات ظهري تصرخ من الألم، جربت الاستناد بظهري على الجدار ووضع مجلة زهرة الخليج على فخذي مع ثني الركبتين، وكان هذا أفضل وضع للكتابة وصلت له.

تسمت فَتْرَاتُ الْكِتَابَةِ حَتَّى لَا تشْعُر بِالْإِرْهَاقِ سَرِيعًا، تكتب فقرة ثم تفرد جسمك حتى لا تفاجئك عظامك وقد طُبقت وأغلقت على عضلاتك. ركبتك تطقطق، وفي الليل توقظك آلام الركبة بسبب البرد والرطوبة والنوم غير المريح، تفرد ساقك فلا تستطيع فردها كاملة لأنك أطول من المصلب، تظل ساهرًا تخاطب الألم عله يزول فتنام، وفي الصباح تؤلمك مع كل حركة، تضغط على أسنانك متحملًا آلام الركبة المثنية، بينما تكتب بالقلم الجاف على الورقة مستندًا إلى فخذك.

لكل كلمة كتبتَها في هذا الوضع داخل السجن ألمها وجُهدها، لتكن هذه حياتك إذن أيها الكاتب، درِّب نفسك على هذه الممارسة، هكذا ستكون حياتك، فاستعد لاستخدامها.

t.me/qurssan

t.me/qurssan

مضغ الوقت

تمد يدك في الهواء لتقبض على قطعة من الوقت، تنتزع أكبر قطعة تطولها، ثم تطويها إلى نصفين، وتطوي النصف ليصبح ربعًا، وتستمر في طي قطعة الوقت حتى تصل لأصغر حجم ممكن، ثم تحشو بها فمك وتبدأ في استحلابها ببطء وتقليبها بلسانك لتتحرك في فمك، يستمر المضغ ولا يذوب الوقت، تغمض جفنيك وتفتحهما فلا يتحرك عقرب الساعة، تصرف نظرك عن مراقبته وتبدأ في ابتكار كل الوسائل الممكنة لتمضية الوقت.

صادروا الشطرنج في طلعة من طلعات التفتيش، ظل رفاق اللعبة ينظرون بعضهم لبعض ويضربون كفًا بكف وهم ينفخون الهواء لعل الملل يتبدد، ثم طلع زميل بفكرة؛ من الصابون الميري الذي يوزعونه علينا أخذ ينحت قطع الشطرنج، استغرق الأمر منه يومين حتى أصبح لدينا القطع كاملة، وبعلبة ألوان أحضرتها أسرته في الزيارة قام بتلوين كل مجموعة بلون، ليصبح لدينا قطع بالأزرق وقطع بالأصفر، زميل آخر اتفق مع أحد الزملاء الجنائيين الذين يعملون في المصنع على إحضار بلاطة سيراميك بيضاء، وبمسطرة وقلم أسود سميك رسم المربعات السوداء على البلاطة، صنعنا رقعة الشطرنج الخاصة بنا وكنا فخورين بها.

لاعبنا الوقت مرات عديده وكان دائمًا ينتصر، مهما طال الدور

t.me/qurssan

ومهما استغرقتك اللعبة فلها نهاية معلومة، وحتى إن لم ...، فهناك ميعاد محدد يغلق فيه النبطشي النور، يُمنع اللعب.

اليوم السادس والخمسون، السبت 16 أبريل 2016

التهمت أربعة كتب جميلة في يومين؛ «ورد ورماد» رسائل محمد شكري ومحمد برادة، «جنوب بلا شمال» لتشارلز بوكوفسكي، ترجمة أماني لازار. «امرأة صديقي» رواية لتونا كيرميتس، ترجمة خالد مكاوي. «بيت حافل بالمجانين» حوارت صحفية مع كونديرا، وسوزان سونتاج، ونجيب محفوظ، وهنري ميلر، وبورخيس، وهمنجواي، ترجمة أحمد شافعي.

اليوم التاسع والخمسون، الثلاثاء 19 أبريل 2016

نفدت كتبي، فاضطررت للعودة لكتب مكتبة السجن، قرأت روايتين قصيرتين ليوسف إدريس «نيويورك 80» و«فيينا 60». ما هذا البؤس وهذه السخافة؟ فيلم من أفلام السينما النظيفة في الألفية الجديدة سيكون فيه حيوية وصدق أكثر مما في هذين العملين.

اليوم الحادي والستون، الخميس 21 أبريل 2016

القرف والزهق يتصاعد إلى الحلق ويترك مرارة على اللسان.

t.me/qurssan

والشوق لياسمين يتجاوز كل الحدود. والأحلام نافذة الهروب الوحيدة تتباعد. تعنت الإدارة يخنق كل ما تبقى لدي من صبر وإرادة. يخنقني حتى أني أخاف الكتابة عن الأمر هنا حتى لا تكون مشكلة إذا وقع الدفتر في يد الشخص الخطأ، أو صادرته الإدارة لأي سبب.

اليوم الخامس والستون، الإثنين 25 أبريل 2016

لا مجال للكسالى أو الغارقين في أحلامهم. سيُنظر لهم كفشلة، وإذا حاولوا استثارة مثل هذه الرغبات غير المقبولة لدى الآخرين، فسوف تواجههم الدولة بمنتهى الحزم والعنف. العنف المشرعن بسلطة القانون بالطبع.

في مسألة التقدم، تطورت أدوات الإجبار والتسلط بما يجعلها غير مرئية للمجموع، والهدف الأول لتلك الأدوات ضمان توارث الملكية الفردية، وزيادة الإنتاجية في المجتمعات الحديثة والصناعية.

اليوم الثامن والستون، الخميس 28 أبريل 2016

من اللاشيء سألني «ع» بينما نأكل معًا عن معنى وجودنا هنا، ظننته يقصد السجن، لكنه وضَّح أنه يقصد معنى وجودنا في الحياة كلها.

t.me/qurssan

t.me/qurssan

تلعثم

قبل دخولي السجن كنت أفكر في كتابة رواية تاريخية، وبعد صدور «استخدام الحياة» غرقت أكثر في القرن التاسع عشر وتاريخه، الزمن الذي ولدت فيه كل الأفكار الكبرى وماتت كذلك، لح على ذهني رواية بعنوان «تلعثم»، وحينما بدؤوا يسمحون لي بدخول الكتب طلبت من أحمد وائل كل المراجع التي يمكن أن يجدها عن تاريخ القرن التاسع عشر وعن تجربة «السان سيمونيين» في مصر.

بقوة قراري أن أصبح كاتبًا بدأت في كتابة الرواية داخل السجن، أولًا حتى أشعر أن أيامي لا تمر هدرًا، ثانيًا لأني بالقراءة والكتابة يمكن أن أصنع شرنقة تفصلني عن النميمة من حولي وتفاهة الأفكار والنقاشات، وتنسيني الرطوبة والحر ورائحة العفونة والحشرات عجيبة التصنيف.

أخذت أعيد ابتكار التجارب الإنسانية التاريخية في الكتابة على الورق، بعد أول صفحتين راجعت ما كتبت ووجدت بعض الأخطاء وبعض الكلمات والجمل التي أرغب في تصويبها، لكن لم تكن هناك مسَاحة للتصويب، قررت أن أكتب «على سطر وأسيب سطر»، حتى يكون السطر الخالي مسَاحة للتصحيح

t.me/qurssan

والمراجعة. استخدمت ثلاثة ألوان للكتابة، الأزرق لكتابة النص الأصلي، الأسود للتصحيح والإضافة والحذف، والأحمر لتسجيل ملاحظات شخصية حول الأحداث وتطويرها وعلاقتها.

بهذا الإيقاع المتمهل البطيء انتهيت بعد شهر من الفصل الأول، وحينما بدأت في كتابة الفصل الثاني واجهت مُشكلة أخرى: رغبت في تحريك فقرة من الفصل الأول للفصل الثاني، فابتكرت نظام ترقيم، رقمت كل صفحات الكراس، ثم رقمت كل الفقرات، وبذلك أصبحت مسألة نقل الفقرات أسهل، مثلًا، إذا أردت نقل الفقرة رقم 3 من صفحة 12 إلى ما قبل الفقرة 5 في صفحة 28، أقوم بوضع إشارة صغيرة قبل الفقرة 5 في صفحة 28، وأكتب 2 ص 12.

عرفت أني سأخرج ذات يوم، وحينما يأتي هذا اليوم فسأجلس على كرسي وطاولة آدمية، لا على طاولة من عظام ركبتي، أمام حاسوبي الشخصي، لأعيد كتابة الرواية ونقلها من دفتر السجن إلى شاشة الكمبيوتر.

تغيرت الرواية بعض الشيء، لم تعد عملًا تاريخيًّا مخصصًا للقرن التاسع عشر، بل أصبحت رواية عن «كامل رؤبة لاظ» شخصية نجيب محفوظ في رواية «السراب» التي قرأتها لأول مرة في السجن. فبعدما ماتت أم كامل وخانته زوجته وهجره إخوته، يتعرف على عطيات ويندمج معها في الملذات الحسية،

t.me/qurssan

وردًّا على تشويه صديقه نجيب محفوظ لقصته يقرر أن يكتب هو قصته الحقيقية، لا كما كتبها محفوظ، حينها يتم القبض عليه ومحاكمته وسجنه. ينجح في تهريب مخطوط روايته الجديدة معه لداخل السجن، ننتقل -في الرواية- بين يومياته في السجن وبين روايته التي يكتبها عن مجموعة من أتباع كنيسة الحداثة والعلم والعمل، يهاجرون إلى مصر بحثًا عن التزاوج الأسطوري بين جسد الغرب وروح الشرق، آملين في تحقيق التزاوج بين البحر الأحمر والمتوسط، لكي يبنوا مدينة المستقبل التي تتحكم في التجارة العالمية، ليعيدوا تشكيل الاقتصاد العالمي وقيادة حياة الإنسان نحو الأفضل.

اكتشفت من هذه التجربة، تبدل أسلوب الكتابة وتكوين الجمل، مع تغير أداة الكتابة من الكمبيوتر إلى الورق. كتبت النسخة الأولى من فصول الرواية في السجن، عامدًا أن تكون الجمل قصيرة وبلا استطرادات طويلة، ولأني أعرف أن ما أكتبه ليس إلا مسودة أوليةٍ فأحيانًا ما كنت أوجز بعض الفقرات، حينما أعدت قراءة ما كتبته بدا لي هذا الأسلوب جديدًا بالنسبة لي، كنت أمام صوت جديد، أندهشت وسعدت بطبقات الغناء التي أصبح بإمكاني الوصول إليها، لكن بعدما خرجت من السجن وأخذت أعيد كتابة ما كتبته، لاحظت أن الجمل تتمدد وتطول.

توقفت أمام جملة وبينما كنتَ تكتبها على الكمبيوتر، تلعثم عقلك وذاكرتك، أهذه الجملة مختصرة لأنك أردتها مختصرة؟ أم

t.me/qurssan

أنها مختصرة لأن عضلات ذراعك وعظام ركبتيك كانت تؤلمك؛ لأنك أردت الانتهاء من الكتابة تحت ضغط آلام جسدك؟

أين يفكر ويكتب العقل وأين يفكر ويكتب الجسد؟

اليوم الرابع عشر، السبت 5 مارس 2016

منذ وصلت هنا، ولدينا المسجون «ع» نائم دائمًا يتأوه من المرض. لا يأكل أو يشرب إلا السوائل. كل يوم ينزل لطبيب السجن ليعطيه حقنًا. حاولت فهم طبيعة حالته لكن يبدو أنها مشاكل معقدة في الجهاز الهضمي تحتاج لتدخل جراحي لكن إدارة السجن ترفض خروجه. لاحظت أن عينه اليسرى مفقودة. في واحدة من الساعات القليلة التي يفيق فيها من نوبات الألم سألته عن عينه، هل فقدها داخل السجن. فقال: «لا دي راحت في ثورة 25 يناير».

أصيب أثناء أحداث ثورة 25 يناير. كان عاطلًا عن العمل ورغم أنه لم يكن لديه اهتمام سياسي، اندمج أكثر في الأحداث السياسية بعد الثورة، بل تعرف على السياسة بعد الثورة. ثم ذات يوم وجد تليفون المنزل يرن ويطلبون منه الحضور لأحد المقرات الحكومية. وجد نفسه في قاعة اجتماعات مع عدد من مصابي الثورة، ظهر مسؤول حكومي أخذ يخطب فيهم ووعدهم بتعينهم في الحكومة وإرسالهم للعمرة. تنازل عن العمرة لوالده، لكن لا هو ولا والده

t.me/qurssan

سافرا لأداء العمرة لأن الموضوع طلع كذب ونصب.

مرت شهور أخرى فأتاه تليفون آخر يخبره بتعيينه في وظيفة حكومية. استلم وظيفته في قاع سلم جهاز إداري من أجهزة الدولة، لم يتم تدريبه ولم يخبره أحد ما الذي يفعله، فأخذ يقلد ما يفعله زملاؤه ويتبع تعليمات رؤسائه، لكن بعد أقل من ثمانية شهور على استلامه الوظيفة تم القبض عليه بتهمة الرشوة.

قضى حتى الآن نحو 18 شهرًا في السجن دون محاكمة. هو متهم بتلقي رشوة قيمتها 150 جنيه، في العادي أي قضية رشوة أقل من ألف جنيه يتم حفظها لدى النيابة، لكن في حالته تم إيداعه سجن 15 مايو لستة أشهر، تدهورت فيها صحته وانهار جسده أكثر من مرة.

سجن مايو أحد السلخانات التي يخاف منها الجميع. ممنوع إدخال الأكل في الزيارات. لا يسمح إلا بأكل التعيين. يلقون في الصباح الفول على ورقة «جرنان» متسخة وفوقه الخبز، هذا هو الإفطار. والغداء كذلك يلقون الأرز على الأرض وفوقه الخضار. لا معالق أو شوك بلاستيكة حتى، تأكل بيدك مثل الحيوانات وتتبول في حفرة. كل ثلاثين أو أربعين مسجون محشورين في غرفة واحدة ضيقة. مسموح لك بمساحة لا تتعدى الشبر وقبضة يد للنوم.

الجحيم كذلك درجات، لنحافظ على درجتنا الحالية.

t.me/qurssan

t.me/qurssan

ستارة تخص المرء وحده

أيقظوني ذات صباح، أمروا كل واحد بجمع أغراضه والانتقال إلى عنبر آخر، حملت مرتبتي ومشينا نحو عنبر 1/2 حيث يوجد علاء، استغربت نقلي إلى عنبره، لكن نباطشي العنبر، الذي كان نبطشي عموم السجن في الوقت نفسه، قال إن مصلبي الجديد سيكون فوق مصلب علاء، ضحكت، أنا وعلاء، عاجزين عن فهم تحولات السلطة، فلماذا يحظرون تواصلنا كل هذه الشهور، ثم ينقلونني لنصبح جيرانًا؟

في صيف 2006 اعتقل علاء سيف لأول مرة، وكانت هذه أول مرة أشعر بقدرة السلطة علي الاقتراب من محيط دائرتي الخاصة وبالعجز في مواجهتها، أذكر أني اتصلت بزوجته منال -كنتُ في المنصورة- وسألتها عاجزًا عن ما يمكن أن أفعله، ولم يكن في يدي ما أقدمه.

تعرفت على علاء في مُحيط دوائر المدونين في 2005. ضحكنا، رقصنا، تعاركنا، اختلفنا دائمًا واتفقنا في ذائقتنا المحبة للكوميديا السوداء والعبثية، تعاونا في مشَاريع صغيرة، لسنوات كانت مدونتي ضيفًا على «مجمعهما». باعدت بيننا المواقف السياسية بعد الثورة لكن ظل الود، نتبادل البسمة والسخرية

t.me/qurssan

من بعضنا البعض كل مرة نتقابل، وحين انتقلت لمجاورته استأنفنا نقاشاتنا وعراكنا القديم، يعلو صوتنا في خلافات حادة حول مستقبل الإنترنت وهل ستنقذ شركات مثل «أوبر» العالم أم ستخطفه. كان الزملاء في السجن لا يفهمون جوهر خلافتنا. أحيانًا تأتي العصافير ليسألوا: «هو أنت صوتك أنت وعلاء كان عالي امبارح ليه؟»، ولم يكن بالإمكان أن أشرح لهم أن خلافنا حول مستقبل البرمجيات الحرة وضرورة أن نعلن خسارتنا لتلك المعركة أم لا.

صنع علاء برنامجًا صارمًا ليومه داخل السجن، يضع معظم الوقت السماعات في أذنه، يواظب على السير في الممر الضيق داخل العنبر ليحافظ على نشاط عضلات جسده، كان قد قضي أكثر من عامين ونصف في السجن ولا يزال أمامه مدة أطول، نقل لى الكثير من خبرات البقاء والحفاظ على الصحة العقلية داخل هذه الجدران، وكانت رفقته بلسمًا للأيام الصعبة وتخفيفًا لثقل الوقت الذي يمر بطيئًا داخل السجن، وبعد حوالى شهر ونصف معه نقلوني أخيرًا إلى المصلب السفلي المجاور لعلاء.

قال علاء يومًا، في ما معناه، إن الإنسان حيوان قادر على التكيف مع أي شيء، لذا كان انتقالي لمصلب سفلي خطوة كبيرة في الترقي الاجتماعي.

علقت حبلًا بطول المصلب ووضعت عليه ملاءة قديمة. وداخل

t.me/qurssan

مصلبي، مستخدمًا الملاءة كستارة، أصبحت أخيرًا وحيدًا، أول لحظة خصوصية منذ دخولي السجن، خلعت ملابسي كاملة لأول مرة ونمت عاريًا خلف ستارة مصلبي. قضيت معظم الوقت نهارًا في القراءة وكتابة اليوميات، أو الخطابات، أو العمل على مخطوط الرواية الجديدة. كنت أستعير راديو علاء وسماعتيه، فأصبح بإمكاني الاستماع للموسيقى، كان لدى علاء مكتبة شخصية قيمة تحتوي على كتب بالإنجليزية، والكثير من الكوميكس والقصص المصورة بالعربية والإنجليزية، وقاموس أكسفورد الكبير، حيث أخذت أعيد تذكر الإنجليزية وحفظ كلمات من القاموس.

t.me/qurssan

t.me/qurssan

صرصار أبيض

تَعَرَّفت فِي السِّجْنِ عَلَى أَنْوَاع جَدِيدَةٍ مِنَ الْحَشَرَاتِ؛ ذباب، ناموس، براغيث، صراصير وأكثرها كابوسية: البق. نظرًا لانعدام التهوية والشمس كان من السهل أن تتكاثر وتستوطن البراغيث أو البق الفراش، لذلك، يُعد إخراج الفرشة إلى الشمس في ساعة التريض من الطقوس الأسبوعية، وأحيانًا يُضاف إليها رش الفرشة بخليط من الكلور والديتول.

تشدد لوائح السجون على أهمية الحفاظ على حد أدنى من النظَافةِ والوقاية الصحية، لكن بالطبع، آخر ما تحرص عليه إدارة السجون هو هذا الأمر. أتذكر يوم أتى وكيل نيابة شاب في زيارة تفتيش دورية على السجن، فتحوا له العنبر فدخل ببدلته السوداء وقميصه الأبيض، وهو يضع منديل على وجهه وأنفه ويتنفس من خلفه مشمئزًا مُتألمًا من الرائحة التي نحيا فيها.

في الصيف، وكل شهرين، يأتي مندوب لرش الحمامات والمطبخ بخليط ذي رائحة نفَّاذة مُقززة، تختفي الحشرات بعده لبضع ساعات وفي الليل تعاود الظهور وهي تتمشى من صنَاديق القمامة المكشوفة إلى أواني الطعام إلى ملابس السجناء الداخلية المنشورة على حبال في المطبخ. الأكثر انتشارًا هو نوع من

t.me/qurssan

الصراصير صغيرة الحجم أقرب للصرصار الألماني لا يتجاوز طولها 1.5 سنتيمتر.

الخبر الجيد أن هذا النوع من الصراصير لا يطير. والخبر السيئ أنه سريع التكاثر والانتشار. أحيانًا تظهر أنواع أخرى من الصراصير كالصرصار الشرقي الكبير، الشبيه بصرصار المجاري الذي يتخطى طوله عادة 2.5 سنتيمتر.

اعتدت بعد فترة على الصرصار عملًا بالعبارة الخالدة في السجن «الصرصار صديق المسجون»، كنت أقرأ رواية «باولو» ليوسف رخا، حينما شعرت بجسم ما على كتفي في الظلام، التفت فرأيت صرصارًا ضخمًا يتجاوز طوله 3 سم، بحركة أخوية أزحته عن كتفي، طار وحلق عاليًا حتى هبط على زميل نائم. أحيانًا ترفع الفرشة التي تنام وتجلس عليها طوال اليوم لتجد تحتها عائلة صغيرة من الصراصير تلهو وتصنع المجد، الخطر الحقيقي للصراصير لا يتمثل في وجودها أو الرائحة العفنة التي تنبعث منها، بل في الخوف أن يدخل صرصار إلى فمك أثناء نومك، فتختنق وتموت.

لكن الخطر الأكبر هو الصرصار الأبيض، طبقًا للوائح الصحية للسجن -وذلك حسبما أخبرني أحد السجانين القدامى- عند ظهور الصرصار الأبيض، يجب قتله و«تحريز» جثته وتسليمها للسجان لكي يبلغ الإدارة؛ لأن ظهور الصرصار الأبيض يعني

t.me/qurssan

انتشار الجرب أو وباء آخر في العنبر، وهنا لا بدَّ أن تتدخل الإدارة الطبية حتى لا ينتشر الوباء في السجن كله، وهو ما كان يحدث بالطبع، فيصبح الاستحمام بالصابون الكبريتي هو سبيل الوقاية الوحيد، هكذا توهمت أن الصابون الكبريتي هو خلاصي الفردي، وانتهى الأمر بأن أصبت بمجموعة أخرى من الأمراض الجلدية نتيجة استخدام الصابون الكبريتي مع عدم التعرض للشمس لأكثر من أربعة أشهر، بعدما تم حرماننا من ساعة التريض ورؤية الشمس بحجة أعمال الإنشاءات والترميم التي تحدث في السجن.

اليوم السادس والسبعون بعد المئتين، الثلاثاء 22 نوفمبر 2016

حضرت اليوم ندوة مثمرة بين زميل أمريكي، وآخر كويتي، وثالث برازيلي حول زراعة وصناعة الكوكايين، وطرق تصديره وتهريبه، وخطوط التهريب الرئيسة حول العالم. حكى الكويتي حكاية أكدها الأمريكي عن سفن تتحرك في المياه الدولية وعلى خطوط الملاحة البحرية الرئيسة محملة بأطنان كاملة، معروضة للبيع لأي مشترٍ قادر على التحميل من السفينة والنقل والتوزيع.

تعلمت درسًا مهمًّا للحياة بعنوان «**ثلاث طرق لتمييز الكوك الجيد عن الرديء**":

1. تضع مقدارًا من الكوك على ورق «فويل»، تسخن الورقة باستخدام الولاعة وتراقب التغييرات اللونية على الكوك، إذا

t.me/qurssan

تحول للون الأسود فهو خراء إذا تحول للون الأحمر أو الأصفر فالجودة مضمونة.

2. تحضر كوب مياه زجاجيًّا شفاف، تملأه بالكلور العادي الذي نستخدمه في الغسيل أو التنظيف، تضع مثقال ذرة من الكوك في الكوب، إذا سقطت بشكل عمودي فهو نوع رديء، أما إذا سقطت الذرة في مسار حلزوني فهو نوع جيد.

3. الزميل البرازيلي اعترض على كل هذه التعقيدات، وقال إن المسألة بسيطة، تفركه بين أصابعك حتى يظهر الزيت، وتعلم مقدار قوته من مقدار الزيت الذي يخرجه أثناء الفرك.

t.me/qurssan

فذلكة

مع أول القرن العشرين، أخذت مجموعة من الألفاظ والكلمات تختفي من الكتب المطبوعة، كأنما وقع جميع المتعلمين على ميثاق شرف بينهم يقضي بعدم كتابة تلك الألفاظ أو تسجيلها على الورق. ولهذا السبب، لم تعين جلالة محكمة الاستئناف -في حيثيات حكم الإدانة الذي أصدرته- هذه الألفاظ أو تذكرها، لم يكن اختفاء تلك الألفاظ نتيجة لهجرانها من قبل مستخدمي العربية، مع أن استخدامها استمر وازداد بين الناطقين بالعربية، لكنها حرمت فقط من الخلود بالكتابة.

ستختفي تدريجيًا، ستُنبذ شيئًا فشيئًا من عالم الأدب الحديث، ستُحرَّم بكل تأكيد في عالم اللغة الفصحى الجديدة التي ستتداول في الجرائد والمجلات والقنوات الإعلامية، ستُحاصر هذه أولًا في كتب التراث التي يعاد نسخها وطباعتها، ستظهر في الأسواق نُسخ نظيفة من «ألف ليلة وليلة» تختفي منها هذه الألفاظ، ستُحارب وسيُنكل بها، وستطرد لا خارج عالم الأدب فقط بل خارج اللغة المكتوبة الحديثة، ستستبدل بأسماء مشتقة من وظائفها، «الزبر» أو «الإير» سيتحول إلى «قضيب»، و«الكس» يتحول إلى «فرج»، تمامًا كعالم الآلة الذي نهض عليه القرن العشرين، ستتحول

t.me/qurssan

الأعضاء الجنسية إلى وظائف فقط.

التحريم هنا لم يكن بسبب أنها ألفاظ عَامية، فهذه الألفَاظ فصيحة ولها جذورها الصريحة الموضحة في المعاجم، في الوقت نفسه فهي الألفاظ المتداولة محليًّا للأعضَاء الجنسية حتي الآن في العديد من اللهجات العربية، شخصيًّا لم أسمع يومًا أحدهم يقول قضيب أو فرج، ومع ذلك تظهر القضبان والفروج في اللغة العربية المكتوبة فقط، في بعض الحالات، وبتأثير عقود الاستعمار الوحشي الذي قادته انجلتر وفرنسا للدول والثقافة العربية، تقوم مؤسسات السلطة في المستعمرات السابقة بطمس هذه الألفاظ واستبدالها بمثيلتها من الإنجليزية، ستصبح كلمة «كس» لفظًا خارجًا وإباحيًّا، بينما يصير لفظ «فاجينا/vagine» مقبولًا.

لن تختفي الإيروتيكيا ولا الكتابة عن الجنس بمختلف أشكالها، لكن من دون الألفاظ المعجمية الصحيحة الدالة على تلك الكلمات، والمعروفة والسائدة بين الناس. سيخلق المتعلمون العرب في القرن العشرين «جنسًا» خاصًّا بهم، «جنس» يعبر عنه بكلمات وظيفية أو شيئية كالقضبان والفروج، جنس شرط تحققه الحب كما في معظم الروايات العربية، جنس يختفي ويطفو بين حقل أزهار مجازات العربية حيث تفتح المرأة «زهرتها» ويعصر الرجل «ثمرتها»، أما الجنس كمتعة وشبق، كمحرك ودافع، فسيتضاءل

t.me/qurssan

امتياز مساحته التي سادت سابقًا في الكتب التراثية العربية.

بينما كان الغرب يستمني على القصص الجنسية في ألف ليلة وليلة ومؤلفات السيوطي، كان العرب يدفنون تلك القصص. بما ستفيد قصص الجان والبساط الطائر شعوبًا تحاول التحرر من احتلال الاستعمار الأوربي، عن طريق خلق صورة لهويتها القومية على نسق قيم العهد الفيكتوريي والحداثة الأوربية؟

ستمحى هذه القصص وتغيب تحت طيات علم تحقيق التراث الرصين، سيتحول مجرد ذكر هذه الكلمات لوحدها إلى إهانة وسبة وستوصف بالكلمات النابية، ستصبح جملة ناقصة بمبتدأ بلا خبر كـ«كس أمك» سبة.

حدث أن جرت العادة على استخدام بعض هذه الكلمات في سياق السب والتراشق اللفظي، لكن حتى في الحديث النبوي الذي انفعل فيه أبو بكر الصديق على الأعرابي وقال له «امصص ببظر اللات» نجد هنا سبة في جملة مكتملة تحتوي على فعل الإهانة، لكن الآن فذكر «الكس» لوحده أصبح سبة.

لقد حملت تلك الألفاظ عشرات الدلالات السلبية بداية من دلالات طبقية، حيث استبدلت طبقات المتعلمين المعاصرة تلك الكلمات بمثيلتها من الإنجليزية أو الفرنسية. وأصبح استخدامها دليلًا على شعبوية، ونزعًا لامتياز فئة المتعلمين المهذبين أبناء الناس «الكويسين» عن الناطق بها.

t.me/qurssan

بهذه الدلالات جرى استعمال هذه الكلمات والألفاظ على نطاق واسع مع انتشار الإنترنت، برزت في الشتائم أولًا، ثم في القصص الجنسية و«البورنوغرافية» المنتشرة على الإنترنت، والتي كانت بوتقة للقاء كل اللهجات العربية ومعرفة التنوع الفسيح الذي اكتسبته تلك الألفاظ في كل لهجة، شهد الإنترنت حملات رافضة لاستخدام تلك الألفاظ تحت دعاوى التهذيب والأدب. لكن الحملات لم تنجح في إيقاف الاندفاع العنيف للمستخدم العربي للتعبير عن نفسه واستخدام كلماته التي طالما حرمتها النخبة المتعلمة المحترمة منها.

يدفع الإنترنت بقوة إلى سقوط حائط الخجل والخوف من تلك الكلمات وهي تزحف شيئًا فشيئًا لتصبح جزءًا من لغة المشهد الإعلامي وتخرج من حجاب التحريم، كان التحول الأكبر في استخدام كلمة «العرص» والتي تحمس لها الإسلاميون لأسباب سياسية، لنرى كيف أن أكثر فصيل تظاهر بفرض قيمه الأخلاقية على اللغة وتحريم بعض كلماتها يستخدم اليوم ما حرمه الأمس.

تعود الكلمات المنبوذة شيئًا فشيئًا لعالم الأدب، تخرج من حيائها الذي فرضته عليها مشاريع الحداثة والتنوير العربية. لا يزال البعض يرى في الأمر ردة، وتدشن المقالات والموضوعات الصحفية حول تدهور الأخلاق واستخدام الألفاظ «الخارجة» على الإنترنت. لكن ما يحدث هو العكس حيث يحرر الأفراد

t.me/qurssan

لغتهم ويستعيدونها. ولأن لكل فعل رد فعل، فطبيعي أن تتصرف مؤسسات السلطة بتلك الحدة. وأن تحاول في زمن السيسي إعادة السيطرة على البلد التي كادت أن تضيع من أيديهم، وذلك بالتشدد في معاقبة كل مظاهر التمرد في السلوك الاجتماعي والثقافي.

إن القضايا السياسية قادرة على حشد المعارضة وعلى استخدام المظلومية لتحقيق تراكم في موقفها السياسي للضغط وتحقيق انتصارات ولو رمزية في المعركة السياسية. أما القضايا الاجتماعية والثقافية فالسلطة تراها فرصة لكي تستعرض أمام المجتمع حياءها وأخلاقها والقيم التي تدافع عنها. مثل وكيل النيابة المهووس بكتاباتي الجنسية، والقاضي الذي أصدر حكم الإدانة، تمثل لهما تلك القضايا فرصة لكي يظهروا بمظهر المدافع عن الأخلاق وقيم المجتمع ومنظومة الأسرة التي يرون في الكتابة تهديدًا لها. وحينما ترفع السلطة لواء الأخلاق أو الدين، تتوقع من الجميع أن يهرول خلف لوائها، تتوقع أن يختفي صوت المتهم الضحية لأنك أيها الفاسق كيف ستجرؤ على التحدث وقد كشفناك.

لقد اندهش القاضي في المحاكمة الأولى حينما علم أننا تقدمنا بطلب للشهود. كانوا يتوقعون أن نعتذر وأن نخجل، لذلك كان ردهم هيستيريًا على دفاعنا وهجومنا على تجاوزهم لدورهم

t.me/qurssan

الدستوري والقانوني. وكيل النيابة في المحاكمة الثانية أخذ يصرخ وهو يلوح بأوراق مُتعددة ليس لها علاقة بموضوع القضية، كان يتعقب كل ما أكتبه وأنشره على الإنترنت ويقول إن المتهم يدافع عن استخدام هذه الألفاظ، إن المتهم كتب مقالاً أعلن فيه أنه ضد قيم المجتمع وأخلاقه التي تقيد حرية الرأي والتعبير إن هوس وكيل النيابة، جعله -أثناء مرافعته- يلتفت في لحظة لمنصة المحكمة ويحكي كيف أنه وجد على موقعي الشخصي قصة بعنوان «السنيورة» واعتبر أن تلك القصة هي جزء من رواية استخدام الحياة. وبتفصيل ممل استغرق أكثر من أربع دقائق كاملة أخذ يروي القصة التي تدور حول بطل الرواية -حينها كان يشير بإصبعه لي- الذي يعاشر مجرمة وتاجرة مخدرات، ويشاركها زراعة وتجارة الحشيش. لقد نظرت في الأرض طوال المحاكمة وحاولت الاختباء خلف المحامين ناصر أمين ومحمود عثمان وياسمين حسام الدين، مُحَاولًا السيطرة على الضحكات التي كادت أن تنفجر من فمي. في لحظة بلغ استعراض وكيل النيابة ذروة مسرحية وأخذ يصرخ مُطَالبًا بتوقيع أقصى العقوبة انتقامًا للأسر التي دمرتها، وللأطفال والشباب الذين أفسدتهم وقذفت بهم لحفرة الرذيلة والمخدرات. وضعت يدي على فمي وقد أوشكت على الاختناق محاولًا كتم ضحكتي، فخرجت الضحكة في هيئة ضرطة كبيرة من طيزي.

t.me/qurssan

اليوم الرابع والثمانون بعد المئتين، الأربعاء 30 نوفمبر 2016

أنا متوتر جدًّا. أحاول تجاوز أوهام العفو الرئاسي، لكن موعد جلسة النقض اقترب. لا أعرف يومها هل سيرسلونني للمحكمة أم لا؟

الزملاء يقولون لا أحد يذهب إلى محكمة النقض. إذا لم أذهب إلى المحكمة فكيف سأعرف الحكم؟

اليوم التسعون بعد المئتين، الثلاثاء 6 ديسمبر 2016

تم تأجيل جلسة محكمة النقض من يوم 4 ديسمبر إلى 18 ديسمبر، وذلك لأن النيابة لم ترسل مذكرتها، والقاضي قال للمحامين: «**هو أنتم بتوع حريات الإنسان**». ما فهمته أن نيابة النقض أوصت بقبول النقض شكلًا لكن لم ترسل رأيها في الموضوع، والقاضي قال للمحامين إنه يريد بنفسه أن يفصل ويريدهم أن يترافعوا، لذا رأى المحامون طلب التأجيل حتى ورود المذكرة التفصيلية للنيابة لكي تكون مرافعتهم ردًّا تفصيليًّا عليها.

أنا في جهل وحيرة، أسوأ من جهل وحيرة فلاح كافكا، الذي أفنى عمره جالسًا أمام بوابة في الصحراء منتظرًا أن تفتح له البوابة لكي يقابل «القانون».

t.me/qurssan

اليوم الثلاثمئة، الجمعة 16 ديسمبر 2016

أحلم كثيرًا، يزورني أصدقاء وشخصيات بعيدة جدًّا، لكن لم تأتِ ياسمين منذ فترة طويلة في الأحلام، أشتاق إلى أن أحلم بها

اليوم الثالث بعد الثلاثمئة، الإثنين 19 ديسمبر 2016

نجحت من خلال وسائط مختلفة، في التأكد من أن محضر النقض قضت بخروجي، تأكد الخبر وسمعه زميل في الراديو، لكن إدارة السجن تنكر معرفة أي شيء.

«لم تصلنا إشارة» يقولون.

t.me/qurssan

الهوان

أيقظونا ذات يوم وطلبوا منا ارتداء الملابس الميري والخروج من العنبر. فتحت عيني، لم تتجاوز الساعة السادسة صباحًا، كل ما فهمته من العبارات المتناثرة أن هناك تفتيشًا من المصلحة. في الخارج سمعت نباح الكلاب وكنت أول مرة اسمعه في السجن، حركة غير عادية وهمهمات مكتومة.

ذهبت للحمام لغسل وجهي، وقفت في دوري أمام حوض غسيل الوجه حينما دخل الحمام مخبران لم أرهما قبل ذلك أخذا يزعقان ويأمران الجميع بالخروج، في الوقت نفسه كانا ينزعان الستائر من على الحمامات ويقلبان سلال النفايات، والحلل وأواني الطعام فوق النفايات.

خرجت مع الخارجين مُتحَاشيًا أن يراني المخبر الغاضب. في طريقي نحو باب العنبر فكرت في مخطوط الرواية، تظاهرت أني أتجرع رشفة ماء من الزجاجة البلاستيكية على مصلبي وسحبت الكراس من أسفل فراشي، ودفسته سريعًا وسط حقيبة ملابسي، لا أعرف ما ميزة المخبأ الثاني على الأول، لكن اعتقدت أن وجود الكراس تحت الفراش مثير للشبهات أكثر من وجوده في الحقيبة.

t.me/qurssan

يتكرر تفتيش المصلحة كل ثلاثة أشهر تقريبًا. لا يتم إعلام أي من مسؤولي السجن بموعد التفتيش، بل تهبط قوة من إدارة مصلحة السجون التابعة لوزارة الداخلية على السجن، تقوم باستلام السجن من المأمور ومن الضباط الموجودين، ومراجعة كل السجلات والأوراق، والحصول على مفاتيح الزنازين لتفتيشها. يصبح السجن في قبضة سجانين لا نعرفهم. أثناء خروجنا من الزنزانة وقف أمين شرطة بثياب مدنية بجوار ضابط شاب ينادي على الأسماء ممسكًا بطاقات المساجين، والضابط يراجع ليتأكد أن من في التذكرة هو السجين المنادى عليه، ويكون ذلك بالنداء النصفي. فأمين الشرطة يقول الشطر الأول من اسمك وأنت عليك أن ترد مجيبًا بالشطر الأخير. كأن يقول «أحمد ناجي»، فتكمل أنت «أحمد حجازى» لكن الضابط أوقفني، نظر في بطاقة السجن في يده ثم سألني:

- أنت تهمتك أيه؟

- جريمة نشر.

- إيه؟ جريمة نشل؟

- لا يا افندم، نشر، بشتغل صحفي ونشرت حاجة.

- مكتوب هنا خدش حياء، يعني اغتصبت واحدة، ولا اتحرشت بيها.

- لا، أنا خدش حياء عام.

t.me/qurssan

- مش أنثى يعنى؟

- لا، أنا حياء عام.

حشروني في ركن، وطلبوا منا القرفصة والجلوس على الأرض. أحدهم ظل واقفًا، شخط فيه الضابط الشاب أن اجلس، همهم بما معناه أنه لا يمكنه الجلوس على الأرض لمشكلة في ركبته، قبل أن يكمل الجملة قاطعه الضابط بلكمة في وجهه، تكوم الرجل أرضًا.

أتوا بالكلاب البوليسية أخذت تشمشم فينا ثم دخلوا بها إلى الزنازين.

في الدور الأرضي كان الوضع أشرس، الشتائم هي كل ما نسمعه، يمزقون المراتب والبطاطين بالسكاكين، أجبروا مجموعة من المساجين على خلع ملابسهم والوقوف ووجههم للحائط. ظللنا في هذا الوضع نحو أربع ساعات، بذلت فيها كل جهدي حتى أختفي. العنف في هذه الحالات غير مبرر وليس له أسباب، بل عنف استعراض القوة، واستمراء للذة التكبر والإهانة. بالتالي أنت حرفيًا في مُقَابل الكلاب المسعورة، وهي تمزق كل شيء بحثًا عن أي مخالفات، وسلسلة المخالفات التي تبحث عنها تبدأ من الأقراص المخدرة وحتى المعالق المعدنية أو الأكواب الزجاجية إلى جانب الأجهزة الكهربائية والإلكترونية.

لا معركة لتفوز بها هنا.

t.me/qurssan

لأي سبب إذا وقعت عيونه عليك ولم تعجبه أي حركة أو إصابه مظهرك بالضيق، فبإمكانه أن ينكل بك أمام الجميع، وإذا حدث هذا فيجب أن تتقبل الصفعات في رضا وانكسار، فأي بادرة مقاومة سوف تستفز هذه السلطة.

تتغذى كلاب السلطة على الإهانة، ومقاومتك لها تعنى أن لديك شيئًا لم ينكسر بعد، ووظيفة الكلاب أن تكسره.

حينما سمحوا لنا بالعودة للعنبر كان كل ما في العنبر ملقى على الأرض، ملابسي فوقها كيس الطماطم والخضار، صادروا كنكة القهوة المعدنية، وطفاية السجائر التي كانت عبارة عن علبة تونة مستعملة، لكن لم يمسوا الكتب ولم يمسوا مخطوط الرواية.

الرعب من الكلاب السعرانة يلازمك، يستوطن قلبك حتى الآن.

الكلاب السعرانة هم غالبًا ضباط حديثو التخرج، أو أمناء الشرطة يعملون في المباحث الجنائية، أو أي ابن كلب مجنون يحمل مسدسًا في هذا البلد المتداعي.

تعلمت الدرس يومها، يجب ألا يراك المجنون، لكنك ارتكبت الخطأ في حجز قسم الخليفة أثناء ترحيلك للخروج من السجن، دخل ضابط ومعه أمين شرطة مجنون، طلب من الجميع أن يقفوا ووجوههم للحائط ويرفعوا أيديهم، لسبب ما لم تستطع أن تمنع

t.me/qurssan

نفسك ونظرت بطرف عينك إلى ضابط الشرطة وهو يخطو نحو الزنزانة، هوت الصفعة من يد أمين الشرطة على وجهك، ثم جرك بعيدًا عن الحائط، وبعنف دفعك إليه حتى اصطدمت به، كرر ذلك مرتين وهو يسب ويلعن، استكنت ولم تبدِ أي مقاومة، لا انفعال على وجهك، حتى جبهتك التي تورمت لم تتحسسها. هذا هو الهوان.

نجحت الاستراتيجية حين لم تبد مقاومة، تركك وصفع مسجونًا آخر يقف على ركبة ونصف، في قسم بولاق تكرر الأمر نفسه، لمحك ضابط حديث التخرج تدخن، فتح الزنزانة وصفعك، أمسك ملابسك وجرك خارج التخشيبة بينما كنت تعتذر وترتعش.

يومها فكرتُ: لن أكتب عن هذه التجربة، لن أحكي لأحد، وإن حكيت فسأجعلها قصة طريفة مرحة، مليئة بالمبالغات المتناقضة حتى تنتزع الضحكات، محشية بدراما الصراع بين الطبقات الاجتماعية المحشورة في زنزانة واحدة. فكرتُ: كيف يمكن الكتابة عن المهانة دون قناع البطل المهزوم؟ فكرتُ: المهانة التي في قلبي أسود من أن تكون ميلودراما. فكرتُ: الهوان وكسرة النفس لا يمكن أن تداويها الكتابة.

t.me/qurssan

t.me/qurssan

شكر

ما كان لهذا الكتاب أن يظهر بشكله النهائي دون الملاحظات التحريرية لمحمد ربيع، والنقاشات وقراءة المسودات مع أحمد ندا، هنا السيسي، محمد عبد الروؤف، أحمد وائل، ياسمين عمر، وائل عبد الفتاح، إلي جانب فريق التحرير والمراجعة اللغوية في دار صفصافة، ومنحة مؤسسة آفاق للكتابة الإبداعية، ومنحة مركز الأندلس لدراسات التسامح، وبرنامج زمالة الكتاب في معهد الجبل الأسود (BMI) بجامعة نيفادا لاس فيجاس. حيث من هناك يشكرهم الكاتب على.. المحبة والرعاية ثانياً والصداقة أولاً..

لنرفع نخباً أخيراً لها.

t.me/qurssan

حرز مكمكم

هذا الكتاب هو عن القراءة والكتابة كمقاومة؛ عن الأسوار التي تعلو والأبواب التي تغلق لتحبس بداخلها روحًا متمردة.

يقدم أحمد ناجي في هذا الكتاب تجربة جديدة، يمزج فيها ذكرياته بقراءاته، ليقدم لنا عملًا ممتعًا وموجعًا في الوقت نفسه.

يحكي الكتاب عن تجربة ناجي في السجن، لكنه ليس فقط عن هذه التجربة، إنه عن صدى الكتب والكتاب على كاتب يجد نفسه في وسط أزمة لم يسع إليها ومعركة لم يخترها.

يتنقل ناجي في الكتاب بين يوميات السجن وذكريات الصبا والشباب منتقيًا تلك المواقف حول الكتب والأدب.

ويسرد بلغة تتروح بين السخرية والمرارة تاريخًا موازيًا للعلاقة بين السلطة والأدب من خلال سرد حكايته الشخصية، وتضفيرها مع حكايات أخرى لأدباء تحدت كتبهم شهوة الوصاية لدى السلطة، وأعاد بعضها رسم المشهد الأدبي المصري بالكامل.

أحمد ناجي: كاتب وروائي ومجرم. مواليد المنصورة 1985. صدر له روايات: روجرز، استخدام الحياة. ومجموعة قصصية واحدة "لغز المهرجان المشطور". يعيش حاليا في لاس فيجاس بأمريكا حيث يواصل محاولاته وتجاربه لتطوير صناعة الطعمية المصرية.

SEFSAFA PUBLISHING HOUSE

t.me/qurssan